* المقدمة للمترجم *

الحمد لله الذي بلّغ شريعته بالامثال. وانزلها باوضح مقال. تسهيلًا على العباد. بما انها خير الزاد. فتناولها العالم والفاضل. واستنار بنورها الامّيّ والجاهل. فاضحت قانوناً للاعمال. وميزاناً للاقوال. فسقياً لمن تمسك بعرى حبالها الوثيقة. واستنار بحسب معانيها الدقيقة. فانها لخير منهاج واحسن طريقة *

اما بعدُ فيقول العبد الفقير الى رحمة مولاه القدير جرجس زوين الماروني اللبناني لما كانت الامثال وسيلة تتخذها الحقيقة تاثيراً في العقول والالباب . لما فيها من التصورات الجليّة . والتشخيصات الحسيّة. وقد رائنا رب الشريعة المسيحية . اتخذها منهاجاً لتعاليمه الخلاصية. على انها اقوى الطرق نفوذاً وفاعلية . بما انه قد صرّح له السجود بان عامة الشعب لايدرك اسرار ملكوت الله ان لم تتشخص لعقولهم بصور وامثال تجذب





بتمويهها التصورات والالباب . فلهذا قد نرى مولف هذه الامثال الاب الجليل الفاضل البادري بوناونتورا جيرودو اليسوعي العالم العامل قد حذا هذا الحذو اقتفاءً باثار رب الشريعة الالهية والديانة المسيحية *

فان اهمية هذه الحقايق العظمى المحجوبة تحت برقع هذه الامثال الشفافة بل وطلاقة عبارته الصريحة اتت به تاليفاً فريد الشبه . اى نعم لقد حاول كثيرون اقتفاء اثاره لكننا لم نرَ له من مماثل . فمن ثم عندما تاكدنا عظم الفايدة الناجمة لمطالعيه . قد حركتنا الغيرة لاستخراجه من اللغة الافرنسية الى العربية افادةً لتلك الانفس التقية من ابناء اوطاننا العربية . وعلى القارى ان لا يتخذها امثالاً للصبيان . وان ارتاى ذلك فقد جاريناه على قوله مكررين عليه جواب من تقدم وقال بهذا الشان ان اغلب الناس فى اكثر سنيّ حياتهم ما هم الّا صبياناً بل صبيانٌ كبار . فلمثل هولاء الصبيان قد صُنّف هذا التاليف . ويتاكد مقالنا من امثال كثيرة منه نظير مثَل الامير العديم الايمان . ومثَل يوسف الجديد . ومثَل الفيلسوف الجبري . وغيرها من الامثال التي ليست لصبيان حديثيّ السن . واذا امعنا النظر فى

تلك النتايج الادبية التى استخلصها المصنف ولو بظاهر السذاجة نظير مثل الخشبة في الماء. ومثل بطرس المغفّل . وحلم الراهب المضحك . فنتحقق حينئذٍ بانه اذا اتجه التاليف الى التصور والمخيلة . فما ذاك الّا ليتوصل بسهولة الى الصواب جاذباً اياه لتامل ما هو جزيل الاهميّة من الحقايق الادبية والمبادى الدينية *

ونترجى من نعم المولى المنان ان يفيد به مطالعيّ هذه الترجمة كما افاد انفساً جمة صرفت اوقاتها بتلاوة الاصل . وان شاء الله نظير مثل الزرع الانجيلّي تجد ترجمتنا هذه ارضاً تاتي بالواحد ماية . واني لافرحنّ متعزياً لكوني اتيت به كحبة رمل في تشييد تلك المدينة الموعودة بالحيوة المؤبدة والسعادة المخلدة . المدينة التي هي وحدها لا تزال مجدّدة . حسب وعد من وعد الذى سبحانه وتعالى . اذ شاء ابقاء العالم حيناً . لا بد من انه في ذاك اليوم الرهيب المكنون في خزاين اسرار حكمته الالهية يهتف صارخاً بتلك الكلمات المبيدة كل العوالم والكاينات *

* بسم الاب والابن والروح *
* القدس الاله الواحد امين *

* المثال الاول *

* في ولد يتيم عديم الطاعة والامتثال *

ان احد ملوك الفرس اذ لم يكن له وريثا لملكه اخذ ولداً يتيماً. صغير السن. جميل المنظر. لقيه يتسول في الازقة. فارسله الى بلاطه قاصداً ان يتبنَّاه لكي يرث الملك بعده. فلما تسربل الولد بحلل اولاد الملوك بانت ظرافته وتلالات محاسنه فاضحى زينة البلاط الملوكي وزهوته. فغب وفاة الملك قد وُجد مسطرًا في وصيته بان يُبذل الجد والجهد بتحسين آداب الولد المذكور وتهذيبه الى ان يبلغ من العمر خمس عشرة سنة. فان قام بموجب الاعتنا والنظر المبذولين نحوه. وامتاز بالصفات الحميدة والمزايا اللايقة بابناء الملوك. فان الملك مولاه قد تبنَّاه واتخذه وريثا لعهده. واذا جاء مخالفًا الظن والامال غير مستفيد من حسن التربية والتهذيب. بل انه

سلّم نفسه لما يشين ابناء الملوك من الرذائل والقبايح ۰ فبموجب وصية الملك ذاتها يُعرّى ذلك الولد من ملابسه الملوكية ۰ وتُسلب منه نعمته بل انه يُطرد من البلاط الملوكي ۰ ويُحكم عليه بان يصرف حياته بالاتعاب والاثقال المحكوم بها على من استحق السجن المؤبد *

فعندها قد وقعت المبادرة الى اجرآء وصية الملك فسُلّم الولد الى احسن مدبرين واشهر معلمين وتوجهت نحوه الانظار بحسن التربية والتعليم وبكلما يأول لنجاحه وتقدمه ۰ اما هو ففي كل صبوته لم يظهر الّا اميالاً منحرفة بل نفوراً كليًا لما من شانه ان ياول لفايدته ونفعه الذاتي ۰ فاخذ يستشيط غضباً على معلميه ۰ ممزقًا الكتب ۰ دايسًا اياها برجليه ۰ متلفًا كلما تسلمه من لوازم علمه *

فعند نموه في السن اطلعوه على وصية الملك مولاه ۰ وكانوا يقدمون له يوميًا من الجهة الواحدة صولجان الملك والتاج المعدّين له ۰ ومن الجهة الاخرى العار والعذاب المحكوم عليه بهما ۰ فكل هذه الملاحظات والاعتبارات كانت عديمة التاثير ۰ بل انه في نموه في السن كان ينمو في كل مزية مغايرة للامال به ۰ على انه كان يفني الزمان منشغلاً بملاعب الصبيان ۰ اما الطين فكان آلة لبيوت

يبنيها . والاوراق لقصور يشيدها . فالويل ثم الويل لمن
تجاسر من معلميه وتلفَ له بعض ملاعبه . فانك كنت
تراه باكيا نائحا ونار الغضب تتقد باحشائه . وبدلا من
ان يتفرغ لدرسه فكان اذا انفرد وحده يرجع الالاعيب
الصبيانية ماقتا كل علم وتهذيب . بل انه لا يُعلم كيف
تلقّن اقوالاً سفيهةً سمجة كان يتفوه بها . الى ان خابت
الامال من اصلاحه . ولم يزل منتقلاً من نقيصة الى اخرى
غايصاً في بحر ما قبح من الرذائل والقبايح . اما الخشونة
والشراسة والشراهة فلم تكن الا بعض مزاياه السيئة . فكان
لا يتلفظ الا باحاديث تترجم عن وخامة امياله مادحاً ما ذُم
من العيوب . مفتخراً بالانهماكات الدنسة . متولعاً بساير
انواع الخلاعة * فعلى هذه الصورة بلغ هذا الولد الخامسة
عشر سنة من عمره متصفا بما ساء من المزايا المفسودة
والاخلاق الردية . فعندها انعقد الديوان وأحضر ذلك
التعيس المنكود الحظ فتُليت على سماعه وصية الملك
مولاه . وجرى الفحص على سيرته لكي تتحقق سريرته .
فحينئذٍ اتفقت الاراء على عدم اهليته بالعرش الملوكي
وشجبت ارباب الديوان سوء تصرفاته حاكمين بتعريه من
ملابس ابناء الملوك . بل وبارساله الى الاتعاب الشاقة

المحكوم عليه بها من نفس وصية الملك . فتُلي على سماعه ذلك الحكم المريع . فارتعدت فرايصُهُ واصفرت الوانه ولاحت المرة الاولى في حيوته امارات التاسف والندم على وجهه . لكن يالخيبة اماله . ويالنكد حظه . لقد نفذ الحكم عليه . ولات حين ندم *

فحقاً ان حالة هذا الولد التعيس تفتت الاكباد تشفقاً عليه . فيا لسوء حظه . ويالشدة تعاسته . ياللخسارة العديمة التعويض . لكن لعمري ان قبح سيرته لاكره وامقت من صرامة عقوبته . فويحاً له اما ادرك ماكان يتوقع من الامال ويتحذر من المخاوف . وانت ياصاح العلك تجهل ذلك وانت هو ذاك الولد الذى بموجب التبنّي قد اوعدك الله تعالى بملك ابدي ان سلكت سلوكاً لايقاً بالكرسي المؤبد المعد لك في السما . كما وانه قد تهددك بعذابات مؤبدة ان سرت سيرةً مغايرةً نعمة التبنّي *

ثانياً انك على مثال ذلك الولد قد أُستخرجت من حضن الفاقة والشقا . وطُهّرت من خطيتك الاصلية بمياه المعمودية . وانتشحت بثوب النقاوة فاضحيت اذ ذاك لذة اعين سكان البلاط السماوي . لكنك قد اسرعت الى تدنيس ذلك الثوب النقى وعدمت كل محاسنك *

ثالثًا قابلنّ حياتك مع حيوة ذلك الولد . لعمري انك تراها ملطخة بالادناس والقبايح . هذا وانت تعلم متاكدًا ما عتيد ان يحل بك . وقد شاءت الرحمة الالهية ان تنتشلك مرارًا من الورطات الجهنمية التى قد سقطتَ بها واقتلعت من قلبك موضوعات قد تغللتَ بحبها . وانت لم ترجع الى ذاتك متعلقاً بالله ربك . بل انك صررت على محبة دنياك الغرور . هذا وانك سارع لخطوات الى ديوان الحكومة الجازمة اما باهليتك للسماء مقر السعادة . واما بزجك في الجحيم مقر التعاسة . فالدموع وان سحّت والزفرات وان تسعّرت . فلن تجدينّ نفعاً فى يوم القضا الرهيب *



* المثال الثانى *

* فى العبد المتغافل *

ان رجلًا غنياً يُدعي امين احبَّ عبداً له اسمه عاصي ونقله من اتعاب الفلاحة الى خدمة داره قاصدًا ان

يعتقه بعد حين. فتاكيدًا لاستمالته اليه وتعطّفه عليه. دعاه في احد الايام قائلاً له: يا عاصي ان لي بك حاجة لاحد الاغراض. فما تلك الا مرسلة ارسلك بها مسافة بعض ساعات من هنا. فان احسنت اجرائها فانت معتوق عند رجوعك. بل واني ازيدنّ على اعتاقي لك احسانات ونعماً تطيب بها نفسك. اما المرسلة فهي هذه: انك تعرف الرجل المسمّى بطرس وتعهد دار سكناه. فخذ وادفع له الدنانير المستحقة بذمتنا وايتني بوصل منه. فهذا كلما اريده منك. لكنه لايخفاك الامر بانك متى قطعت مسافةً من هنا فتجد طريقين. الواحدة تاخذ يميناً والاخرى شمالاً. فاتبع اليمين فانك تصل الى دار بطرس. اما طريق الشمال فتلقيك في دار يهوذا. فاني منهيك من ان تضع بها رجلًا. على انه لرجل مكّار طماع. يدّعي كل شيء لنفسه. فيقبض من ثمّ على الدنانير. فحذارِ حذارِ ان وقعت في هذه التهلكة فيأول حبي لك الى البغضة والعدوان. وبدلًا من ان اعتقك منعماً عليك بنعمٍ تقر بها عينك. فاني اوثقك بالقيود وارسلك الى حقلي حاكماً عليك بما شقّ من الاتعاب والاثقال. وانك لن تخرجنّ من هناك مدى الحيوة *

فاجابه العبد قائلاً :يامولاي اني مستعد لاجراء اوامرك بدون توقع الامال ولا تحذر المخاوف .على ان مواجب الفروض المقرونة برغبة مرضاة خاطرك انما هي اخص الاسباب التي تحركني الى العمل . قال هذا واخذ الدراهم ومضى في سبيله *ففيما هو ساير في الطريق اخذ يتهلل طرباً قائلاً في نفسه . يالها من حرية سعيدة قد تقت اليها دائماً. انها لقد قربت وحان اوانها . ففي الغد اصبح حراً معتوقاً . وبداء يعلل نفسه بآمال محالية متفكراً بانه متى عُتق يمكنه بالقليل من الدراهم التي تحت قبضة كفه وبما يسمح له بعد مولاه ان يتعاطى بعض الاشغال . ثم استدرك كلامه قائلاً :لو كان معه من الدراهم عشرة فوق ذلك لسهل عليه الامر . وعندها هتف صارخاً ياللحماقة الفظيعة . اني اطلب عشر دنانير وها هوذا معي ثلاثون . وما المانع من اخذ عشرة منها ترى من يعلم بذلك . امّا بطرس فتكفيه العشرون . قال هذا وفتح الصر وافرز عشر دنانير . هذا وجاز في طريقه معللاً نفسه بالمحال قائلاً: ان اخذت الدنانير الى بطرس فاني متأكد بانه رجل بخيل قاسٍ وانه لايكافيني بشيء عن تعبي . اما يهوذا على خلاف ذلك . ان ذهبت اليه فانه

يقدم لي خمراً اشربها وفاكهةً اتفكّه بها. وفيما هو متفكر بذلك ولّا به قد وصل الى مفرق الازقة. فتحير في امره ولم يعرف الى اية جهة يتجه. اخيراً عول رايه بالذهاب الى يهوذا قائلاً بانه اذا ما ارتاح عنده لحظةً فيذهب بعد ذلك الى بطرس. قال هذا واتجه شمالاً. فعندما راءه يهوذا احسن ملقاه وترحّب به قائلاً له: لعل صاحبنا عاصي اتانا بدراهم. فاجابه العبد بالايجاب. فاردف الرجل كلامه قائلاً: لعلها كثيرة ياعاصي. فاجابه العبد انها لعشرون ديناراً. فقال يهوذا ما هي الاجزئية. ومع هذا لابأس بها. واخذ يترحب بعاصي مقدّماً له الاشربة المكيّفة والمواكيل اللذيذة. فعندها خاطبه العبد قائلاً: ياسيدي ان الدنانير ليست لامرك. فاجابه يهوذا ولمن هي. فاجابه العبد انما هي لبطرس. فقال يهوذا ولا باس بذلك انه لمحتاج اليها. لكن ياعاصي ان هذه الدنانير هي دين لي بذمة مولاك وانا الان مفتقر اليها اعطنيها وهلمّ نغتنم اوقات الصفا مصرفين النهار بالمأكول والمشروب. فقال العبد لابدّ لي من وصل بها اسلمه لمولاي. فاجابه يهوذا: اني اعطيك بها خطاً يشعر بوصولها ليدي. فامضاي وامضا بطرس سيّان لدى مولاك. فحينئذٍ

ذاك العبد الاحمق الجاهل القرآة والكتابة الغير مدرك قيمة الوصل وصحته سلّم الدنانير الى يهوذا واخذ منه وصلاً . وبدآ بعد ذلك يصرفان النهار بالاكل والشرب وبما راق لهما من الملاهي واللعب الي ان حان اوان رجوعه الى دار مولاه *

عند ذلك اخذ العبد يقدم رجلاً ويوخر اخرى متندماً على سوّ تصرفه . جاهلاً عاقبة امره . فحالما رآه مولاه قال له: لقد تاخّرت بمجيئك. فاجابه العبد بانه لم يُؤذن له بالانصراف الّا ان اضافه اهل الدار عندهم . فسأله المولى . وما حال بطرس : فاجابه العبد انه لعلى احسن حال واجمل عافية. أهل سلمته الدراهم ياعاصي. اني لم اخالف لك امراً يامولاي . اين الوصل. هاك به . ففتح المولى الورقة واذ هي بامضا يهوذا . حينئذٍ صاح بالعبد صارخاً: أليهوذا سلمت الدراهم . اما هذه هي امضاه . امّا العبد فارتاع ولم يحر جواباً . فاردف المولى كلامه قائلاً : ومع هذا انك لم تسلمه الّا عشرين ديناراً . فاين العشرة الاخر . فعندما ظهر سوّ تصرف العبد وبانت خيانته انطرح على اقدام سيده هاتفاً: يامولاي اني لعبد خائن ومنكود الحظ . لقد اضحيت موضوع رجزك وغضبك .

فاني قد خالفت ما به امرت . واجريت ما عنه انهيت .
فاقتصّ مني عن عصاوتي كيفما تشاء وتريد . فاني مستحق
كل عقوبة . فاجابه المولى يا عبدًا متمردًا وخاينًا . انك لم
تفِ بوعدك . اما انا فاني مقيم على كلامي . وآمر حالًا
بارساله الى الحقل مغللًا بالقيود . وانهى من ثم حياته باشق
الاتعاب وانكر العذابات . اما مولاه فلم يرتض حتى
ولا بأن يسمع عنه خبرًا *

فهل من تصرّف اكثر حماقةً وجهلاً نظير تصرف هذا
العبد الخاين المنكود الحظ . فهات الان نتخذنّ من ذلك
بعض اعتبارات وملاحظات . فانها قد تطابق تصرفاتنا
وسلوكنا *

اولًا فلنتاملنّ نكرانه الجميل . رددنّ الان في ذهنك
كل الاحسانات التى قبلتها من الله تعالى مولاك . على انه
قد اخرجك تعالى من العدم واقامك على صورته ومثاله .
بل انه لكثرة رحمته قد استخرجك بنعمة خصوصية من
حيّز الهلاك ووضعك في حضن كنيسته المقدسة . حتى
انه اذا ما امتحن صدق امانتك بخدمته . فانه ينقلك
الى فردوسه السماوي . حيث تتمتع بسعادة فايقة طور
العقول . فهذه هى الغاية التى خلقك لاجلها . ياترى

هل انك تستطيع ان تشتهي وتتمنى غايةً اسمى شرفاً واعظم حظاً من هذه. فحتّى انه يساعدك تعالى على البلوغ اليها . قد خلق العالم باسره وشيّد فيه بيعته المقدسة . اما في تكوينه اياك من نفس وجسد وتركه لاختيارك استعمال كل المخلوقات قاطبةً . فلا يطلب منك تعالى سوى امرٍ واحد . ولا ينهيك الّا عن امرٍ واحد . امّا ما يطلبه منك جلّ وعلا فهو انه حال بلوغك اشدّك وغب ان تكون مضّيت سنّ الطفولية واخذت ان تميّز الخير من الشر . تدخلنّ في سبيل الاستقامة متمسكاً بحبال التقوى وحسن العبادة . سالكاً في طريق وصاياه الالهية . ولا تستعملنّ احساناته وانعامه الّا لخدمته عزّ وجلّ ولاجل خلاصك الابدي . مقدماً كل شيء ومتمماً كل شيء اكراماً لمجده تعالى . امّا ما ينهيك عنه . فهو بان لا تدخلنّ مطلقاً في سبيل الاثم وفي طريق الكفرة لاتسلك ولا تصرفنّ في خدمة العالم والشيطان خزاه الله تعالى تلك الوزنات التى لم يسلمك اياها الله خالقك سوى لمجرّد خدمته تعالى . ولا تدفننّ خافياً شياء مما وهبك من الخيرات . ولا تستعملنّ انعامه لمرضاتك الذاتية ولارواء غليل اطماعك وكبريائك

واميالك المنحرفة . والحالة هذه بادرنّ الآن الى الفحص والتدقيق عمّا فعلته للآن *

ثانياً فلنتاملنّ عصيانه . لاحظنّ الآن كيف انه توصّل الى تلك العصاوة . وأنه قد اعتمد على مجرَّد الجزاء الموعود به عن طاعته ولم يعباء بالطاعة ذاتها . بل انه لم يفتكر الا بعتق نفسه . ولم تخطر قط في باله الطرق الموصّلة الى ذلك العتق . فعلى هذه الصورة تزعم ابناء البشر اجمعون بان يخلصوا . وما من احد يريد ان يهلك . ومع ذلك فانهم لايفتكرون بالواسطة الوحيدة للخلاص والنجاة من الشجب المؤبَّد . اعني بها واسطة الطاعة والخضوع لاوامر الله تعالى المقدسة . ثانياً ان ذاك العبد العاصي يزعم بانه يخضع طايعاً ومع ذلك انك تراه لا يعلل نفسه الا بافكار تحيده وتبعده عن الطاعة والامتثال . فكيف تدّعي ياصاح بانك تحفظ شريعة الله وانت لاتتلو ولا تسمع ولا ترغب ولا تهوى سوى ما باينها وضاددها . بل وانك لاتردد في ذهنك ولا تتصور في عقلك ولا تملئ قلبك الا افكاراً واميالاً مغايرة لشريعة الله المقدسة . ثالثاً ان ذلك العبد العقوق كان يدّعي الطاعة وعدمها في وقت واحد زاعماً با

يصنع اولاً ما هو منهي عن صنيعه . ثم يبادر بعده الى اجراء ما هو مأمور بصنيعه . وهذا لعمري لمن اعظم المشكلات . على ان الانسان يروم ان يخدم اولاً العالم . ثم بعده يتجه الى خدمة الله تعالى . فيما انه قد غلب الاتفاق بان يفاجئ الموت بغتةً قبل ان يكون الانسان خدم الله تعالى بل انه لايكون سعى سوى بما يرضي العالم *

ثالثاً فلنتاملنّ جسارته . فهذه قد ظهرت على ثلاث انحاء . اولاً على انه يتوهم بان اعماله وتصرفاته تكون مجهولةً لدى مولاه . ياترى هل انه يتفق بان بعض الانام المتفلسفين يقنعون انفسهم بان الله تعالى يجهل أعمالهم وتجاديفهم . او انه مع علمه تعالى بها واطلاعه عليها لا يعاقبهم عنها . امّا نحن الذين نؤمن بان الله تعالى يرى كل شيء فكيف نتجاسر في ان نخطي بحضرته وامام عينيه المقدستين . واسفاه كم قلوب قد تجسّرت على ارتكاب المنكرات . ومباشرة المحرمات لمجرّد هذه الكلمات وهي : ان لا احد يعلم بذلك . اهكذا تعدّ بنو البشر وتحتسب الله تعالى كلا شيء . ثانياً على انه ارتضى بوصول اخلهِ بامضاء مَن هو عدو لمولاه .

لعمري أمّا نحن انفسنا نرتضي مسرورين اذا ما حصلنا على رضا العالم ومصادقته لاعمالنا . اما اننا نتهلل فرحاً اذا ما خلّصنا خارج الامور وظاهرها . اي انه اذا ما مدح العالم زلّاتنا واكبر اعمالنا المغايرة شريعة الله تعالى . ترى هل اننا نطلب اكثر من ذلك . اما اننا نهنّئ انفسنا ونريح افكارنا ونلبث من ثمّ مطمئنين .

ثالثاً على انه يتجاسر مقدماً ذلك الوصل لمولاه . هذا لعمري هو عين الجسارة والوقاحة . ومع هذا ترى باننا انما على هذه الصورة نماثل ذلك العبد العتوق مقتفين رداءة آثاره . لاننا على ممر الدقايق والساعات نتقدم قسراً عن ارادتنا نحو ديوان الله العادل . ومع ذلك نتجاسر بان نظهر لدى جلاله الرهيب بضمير مثقّل بالاثام . بضمير يشهد ضدنا . آتياً بسطور صريحة ذات تفاصيل دقيقة تُعلن كلما قلناه وفعلناه وتصورناه . وما ارتاحت اليه انفسنا من الاهواء المحرمة والشهوات المفسودة *

ان اموراً ثلاث تجعلنا اقبح جرماً من ذاك العبد العاصي *

اولاً انه لم يكن يعرف القراءة . ولا حرج عليه

بذلك . فيما اننا نحن نستطيع القراءة بصحيفة ضميرنا .
والتامل بما هو مسطرٌ فيها . واني بك تعترضني قائلاً
بانك لاتعرف القراءة . فاجيبك بان ما ذاك الاّ
من ذنبك وتهاونك . حيث انك لم تمارس هذه المطالعة
ولم تألف معتاداً عليها . بل بالحري انك تتحاشى من
ان تجمع حواسك وتلقي الحاظك على هذه الصحيفة
الجليّة خشيةً من ان تنزعج نفسك قليلاً وتمحو
ادرانها نازعاً منها ما يضاد خلاصك اولى من انك
تحضر بدون فحص لدى محكمة الديان الرهيب
العتيد ان يقتص منك عنها بعذاب ابدي *

ثانياً انه لم يكن يدرك صحة الوصل وقوته . ولا بانه يُعلن
مشهراً ما كان يرغب ذاك العبد اخفاءه . اما نظراً اليك لو
سلّمنا بانك لاتعرف تقرأ في صحيفة ضميرك . فاقلّه انك
تعلم جيداً بانها تتضمن كل الشرور التي فعلتها . بل
انها هي نفسها توبخك عن ذلك لدى محكمة الله الديان
العادل . لعمري انك لاحق فاقد العقل والصواب
لكونك تحضر المحاكمة على هذه الحالة المستحقة كل
ملام *

ثالثاً انه لم يكن يقدر يصحح ذلك الوصل . ومن

ثمّ لم يكن اصلاح لذنبه . اما انت فان الدواء معدّ لدائك. فعليك به . بادرنّ اذاً لاستعماله والّا فانت اكبر المجانين *

امّا هذا الدواء فهو اولاً : ان تتعلم ان تقرأ في صحيفة ضميرك فاحصاً بتدقيق سجل حياتك . واذا ما اطلعت على ما ينطوي عليه . فامحهُ بدموعك السخينة . رافعاً منه بحسن الاعتراف والتوبة الصادقة كلّما تراه مسطراً فيه ضدك . ثانياً اذا اتفق بانه مع شدة جدك واجتهادك لم يزل باقياً فيه ما لم تستطع قرأته . فاتركه لرحمة ابي المراحم واجتهد بان تفنيه بلهيب الحب الالهي . بل اجعله اساً لتواضعك . واحذر من ان تقلق مضطرباً . بل اخدم الله مولاك بكمال الثقة والحب المقرون بالخوف والرعدة . واعلم بان الله هو ابٌ لك . وانه لايطلب تعالى سوى قلبٍ مستقيم وارادة صالحة . ولا يرغب بان يُخدم بقلق واضطراب . بل ان الوسواس المتجاوز الحدود انما هو مما يهينه تعالى . امّا الثقة به جلّ وعلا والتوكل عليه فهو اعظم اكرام لديه .

ثالثاً فاحذرنّ بعده من ان تؤذن بالدخول في ضميرك لما من شأنه ان يثقله . ويكون من ثمّ شهادة بيّنة

صدك . ولو افترضنا بانه من قبل كسلك وتهاونك اعطيت سبيلًا لدخول شيء من ذلك . فبادرنَّ حالاً الى فحص ضميرك . وامسحُ ادران نفسك بدموع التوجع وبحسن التوبة والاعتراف . وعلى هذه الصورة تحفظ سلامة ضميرك . وتُعطي برهاناً جليًا ودليلاً واضحًا على صدق امانتك . فيمنحك الله حينئذٍ ما وعد به العبد الامين جزاء ابديًا تفرح وتسر به مدى الدهور *

* المثل الثالث *

* في منّ البريّة *

ان ذاك المنّ الذي اعطاه الله تعالى للشعب الاسرائلي في البرّية هو رمز جليّ عن خيرات هذا العالم الارضيّة *

فاولاً ان المنّ كان مجهولاً غير معروف . فلما رأى الاسرائليون المرة الاولى البرية والحقول مغطاة بذاك الحب تعجبوا منذهلين واخذوا يسالون بعضهم بعضاً

قائلين : ما هذا . ومنه اي من هذا السوال المسئول به بالفاظ عبرانية دُعي ذلك القوت منّاً . فعلى هذه الصورة يمكننا السوال عن خيرات هذه الدنيا بهذه الالفاظ عينها قائلين : ما هذا . فانتم يا ايها الاحداث والشبان الذين قد ابتدأتم ان تفتحوا اعينكم مميزين الاشياء المالئة هذه الارض . لاتحكموا عليها بموجب تأثيرها بحواسكم الظاهرة . لعمري انكم تشاهدون في العالم غنى وكرامات ولذات . فقبل ان تسلّموا انفسكم وقلوبكم لهذه الاشياء استعلموا عنها من ابائكم ومعلميكم ومدبريكم بل استعلموا عنها بنوع خاصّ من ابي الانوار . لئلا تنخدعوا بها وبسوء استعمالها . لعمري انكم ترون اغلب الناس جادين السير ورآئها . مدمنين السعي بتحصيلها وتكثيرها . ثم بالعكس انكم ترون اخرين مزدرين بها . خائفين منها . تاركينها جانباً . غير مكترثين بها . فعند مشاهدتكم ذلك جددوا السوال قائلين : ما هذه . ومن اين هذا الاختلاف بالحكم عليها . وما هذا التناقض في التصرف والسيرة *

ثانياً ان المنّ كان حباً ابيض شفّافاً لمّاعا كالبلور . وهذه هي صفة خيرات هذه الدنيا . فانها لمّاعة مبهرة

النظر . لكن حذارِ حذارِ من ان تنخدعنّ بغوائها وبهرجتها . وقبل ان تركض ورائها مفتشًا ساعيًا في طلبها تائقًا لاستعمالها اسألنّ دائمًا ما هذا *

ثالثًا ان المنّ اتى من السماء . والخيرات العالمية الله اوجدها . على انه تعالى قد خلق الارض وما فيها . وبامره تعالى تُعطي الارض غلاتها المتنوعة مع كل ما وُجد فيها من انواع المعادن والاشجار والاثمار وكل خير وغنى . على انه تعالى قد اقام البشر بمراتب ومناصب . فاقام الملوك واولياء الامور وعظماء الدنيا واشرافها مسربلاً اياهم بالمجد والكرامة . فالله ذاته قد اقام الفقير والمحتاج . الرجل الجاهل والاميّ عاضداً اياه في لجة عدمه وذلّه . اي نعم ان الله نفسه قد اوجد الملذات الارضية وزيّن جسدك بحواس ونفسك بقوى تتمتع بهذه الملذات . ومن هذه الحقيقة الاولية انتقلنّ الى الثانية . وهي بان الله تعالى في خلقه هذه الاشياء قصد بها غايات ومقاصد يلزمك المطابقة لها . لكونه تعالى عتيد ان يطلب منك حساباً عن نوع استعمالها والتصرف بها . انه سيفحصنّك تعالى ان كنت باستعمالها والتمتع بها طابقت موافقاً شريعته

الالهية . او خالفتها دائساً اوامره باحتقار . واذا اتفق بانه تعالى قد حرّم عليك استعمال بعض الخيرات امتحاناً لامانتك فامتنعنّ عنها متجنباً اياها . وبالعكس اذا ما آذن لك تعالى بالتمتع ببعضها . فاقفنّ عند تلك الحدود والطرق التي اقامها لاستعمالها والتصرف بها . ولا تتجاوزنّ حدود الاعتدال والقناعة . حدود العدل والمحبة المسنونة . وعند اكتسابك هذه الخيرات واستيلائك عليها متمتعاً بها فلا تعيشنّ كأنك لارب لك ولا مطالب . وكأن الكل اضحى لك مباحاً *

رابعاً ان المنّ كان حباً صغيراً جداً . الامر الذي يبين حسناً دناءة خيرات هذه الدنيا وعظماتها وملذاتها . فلا تحكمنّ عليها بحسب اعتبار وتعظيم اهل العالم لها . بل بالحري بحسب رضاهم بها . ناشدتك الله استعلمنّ مستفحصاً . ودققنّ بالبحث متعمقاً . فعندها تتاكد بانه من كل المتمتعين بهذه الخيرات بكل بهجة ولذة لن تجدنّ احداً غير مكدّر *

خامساً ان المنّ كان خيراً زائلاً . على انه كان قوتاً للعبرانيين مدة سفرهم في القفر لا غير الى ان يدخلوا ارض الميعاد . وبعد ذلك ينقطع ولن ينزل من السماء .

هكذا خيرات الدنيا قد أُعطيت لنا لكي نقتات في القفر اي في مدة غربة هذه الحيوة . اما عند الموت الذي هو دخولنا بالابدية. فانه قد أُعدَّت لنا خيرات وعظمات ولذات غير هذه . فخيرات الدنيا لا تُعدّ شيئاً نظراً لما اعدَّه الله تعالى لنا من الخيرات الابدية . على ان خيرات الارض تُنزع على حدٍ سوا من الحمقا والجهال الذين قد علقوا بها قلوبهم. ومن العقلا والفضلا الذين قد احتقروها مزدرين بهاء ولم يستعملوها متصرفين بها سوى بحسب ارادة الله تعالى *

سادساً ان كمية المنّ ووزنه كان مرتباً لكلِ انسان معلومٌ يجمعه . فكلٌّ كان يجمع منه يومياً مقداراً معلوماً . ومَن طمع وجمع منه زيادة عن الكم المعيَّن . فلم يجد لهِ ذلك نفعاً . على أنه حال وصول المنّ الى بيته لم يكن يجد منه سوى الكم المعلوم. فهكذا خيرات هذه الدنيا مقسومة لكل انسان حسب حاله ورتبته . فلو وقفت البشر عند هذا القسم المرتب لهم من لدن العناية الالهية . لكانت خيرات الدنيا لكل من الناس . ولم يفتقر احدهم لشيء . لعمري ماذا ينفع البخيل احتشاده الاموال وجمعه الكنوز . ياترى هل

انه ينتفع بها اكثر من غيره. لا لعمري بل اقلّ من سواه . وماذا يفيد ذوي الاطماع ان يختصوا لانفسهم دون غيرهم مراتب وافرة ومناصب فاخرة . ياترى انهم يزدادون بذلك شرفاً ويعلون اعتبارًا . لا لعمري بل انك تراهم غالباً مهانين مرذولين تايهين في بحر القلق والاضطراب . ناشدتك الله اخبرني ياصاح . ماذا تنفع الشهواني كثرة اللذات المنهمك هو بها . هل انه يزداد حظاً وسعداً . ويتمتع رائعًا بحسن الصحة والعافية . كلاّ ثم كلاّ . بل انها تكثر اسقامه حتى انه يقصر عاجزًا عن التمتع في نفس اللذات المحللة التي وقوفه عندها وتجنبه ما سواها هو حريٌّ به *

سابعا ان المنّ الاسرائيلي كان يتطلب تيقظاً وعناء . على انه كان ينبغي ان يُجمع ويُلمّ قبل ان تبزغ الشمس فيُطحن ويُعجن ثم يُخبز . والحالة هذه فكل فاقة متاتية عن التواني والكسل لا تستحق شفقة ولا رحمة . فاسعَ اذًا متوكلاً على الكريم المنّان فلا ينقصك قوت ولا يعوزك شيء *

ثامنا ان المنّ كان قابل الفساد حتى ان من اراد ان يبقي منه شياء لصباح اليوم الاتي كان يجده مفسودًا منزوعاً ماكولاً للدود والحشرات . فما ذاك الا رمز حيّ عن

احتقار اموال هذه الدنيا الدنيّة . لعمري ان الدود واللصوص وسوء الاحوال وظلم الناس واختلاف الاهوية وانقلاب الفصول وحوادث اخر شتّى يعسر استدراكها تنزع منا يوميًا اموالاً وخيرات قد كنا نعوّل عليها اعتمادنا ناسعا امّا ذاك المنّ فكان عديم الفساد في اوقات معلومة . على انه في نهار الجمعة كانت تجمع وتُلمّ منه كمية مضاعفة فيبقى جزوء منها لنهار السبت سليمًا من كل فساد . وذلك لانها لم تجمع الا تسهيلاً لحفظ سنّة يوم الراحة المقدس . اعني به يوم السبت . وقد اخذ موسى جزاء من المنّ فوضعه في قبة العهد لكي يُنقل الى ارض الميعاد حيث يكون لدى الشعب الاسرائيلي آثارًا جليّة عن جود الله نحوهم . وعلى هذه الصورة قد كان ذكر احساناته تعالى يهيج بهم على الدوام الحب له عزّ وجلّ والثقة به سبحانه وتعالى . وهذا الجزء من المنّ لم يفسد ابدًا . اما ارض الميعاد وراحة نهار السبت فكانا رمز السماء والابدية . فاستعمال الاشيا الارضية لوجهه تعالى وحبًا بالاخرة وبخلاص القريب وراحته فلا غرو بانه يغيرنّ طبعها وصفتها . فمن حال كونها قابلة الفساد تضحى عديمة الفساد . ومن حال كونها زائلة

فانية تضحي ثابتة دائمة . ومن حال كونها زمنية تضحي ابدية. فسقيًا لمن مارس هذا السر الالهي العجيب *

عاشرًا واخيرًا ان ذاك المنّ كان مختلف الطعم واللذة حسب استعداد متناوليه. فكان عند البعض عديم الطعم مكروهاً اما عند غيرهم فكان شهياً لذيذاً يجدون فيه ما اشتهوا من كل انواع الطعم واللذة. فهكذا خيرات هذا العالم فبحسب استعمالها والتمتع بها في هذه الحيوة تورث في الاخرة للبعض اشمئزازاً وكرهاً بل مرارةً لايطاق احتمالها. اما لغيرهم فتورث شبعاً واكتفاء شهياً لذيذاً فائقاً كل وصف وادراك *



* المثل الرابع *

* في رجل استنسار نائماً كأنه مستيقظ *

ان احد ملوك كوريا من بلاد الصين ارسل معتمدين من بلاطه يجمعان له لؤلؤاً لكي يصنع منه عقدًا ثميناً يهديه لجلالة سلطان الصين . فارسل احدهما الى الجهة الشرقية من كوريا والاخر الى

الجهة الغربية منها. واوصاهما ان يبذلا الجهد بجمع اللآلئ ويرجع كلاهما في يوم، واحد عيّنه لهما. فرسول الجهة الشرقية نجحت مساعيه لانه كان يرتاح النهار ويسهر الليالي على شاطئ البحر. ضابطًا الضؤ بيده منعكفاً على جمع اللآلئ. امّا رسول الجهة الغربية الكثيرة اللؤلؤ فكان يصرف نهاره بالانشراحات والملاهي وليله بالنوم والراحة. فقد كان يأتي ليلاً الى الشاطئ. لكن بما انه يستسير نائماً كمستيقظ على انه كان يتحدث ويشتغل ويجول في نومه من دون ان يستفيق على ذاته. فكان من ثمّ يقصد ذلك الشاطئ غير مهتدٍ لما يفعل. وبدلاً من انه يغوص وراء اللآلئ. كان يتوهم بانه انما يجمع لؤلوا ويرجع به الى منقره. مع انه لم يكن يجمع سوى حصى ويرجع ناقلاً حجارةً الى منزله. فحال وصوله كان يفرغها في صندوق اخصّه لوضع اللآلئ. هذا وهو لا يستفيق من نومه. ثم يرقد في فراشه غائصًا في بحر النوم الى الضحى. وفي هذا الاثناء كانت تستولي عليه اضغاث احلام متصورًا ذاته على شاطئ البحر

جامعًا ما وفر من اللآلئ الثمينة. مالئًا منها اوعيته مفرغًا اياها في صندوق *

فعند نهوضه صباحًا من رقاده. كان يأخذ متهللًا باحلامه. الفارغة غير مرتاب بصحتها. بل انه لشدة انهماكاته باللذات لم يخطر لذهنه في ان يكشف على الصندوق في حال يقظته لكي يتأكد ما ضمنه. وعلى هذه الصورة مضّى الفرصة المعطاة له من الملك مولاه الى ان آن اوان رجوعه فتجهّز للسفر. لكنّه لكثرة انشغاله بامور كثيرة وسق الصندوق في المركب ولم يفتحه. ولم يكشف على ما وضع فيه. وشدّ مسافرًا الى عاصمة المملكة. فكان من ثمّ وصوله اليها في نفس اليوم المعيّن من الملك. اي في يوم واحد مع رسول الجهة الشرقية *

فامر الملك باحضار الصناديق ففتحت امامه فاذ به وجد الصندوق الواحد مملوًا لآلئ لا تحصى عددًا فانحظ الملك لذلك. وفي الحال اقام ذلك الرسول واليًا على بعض اعمال المملكة. متحفًا اياه بالهدايا الفاخرة. مرتبًا له معاشًا

يليق بمقامه . منعماً عليه بنعم تفوق اماله . امّا الرسول الاخر فـأمّل جزاءً نظير هذا . لكن ياللحيرة والعجب . فقد اندهشت عيون الناظرين عند فتح ذلك الصندوق . لانه عوض عن اللآلئ الثمينة لم يوجد فيه سوى حجارة وحصى . فحار الرسول بامره وغاب عن الصواب *

امّا الملك فاعدّ ذلك واحتسبه اهانةً واحتقاراً لجلالته الملوكية . فعظم الامر لديه واتقدت نار الغضب في عينيه فاصدر امراً يعني عن قتل الرسول مرجوماً بما اتى به من الحجارة والحصى المالئة ذاك الصندوق . فاراد ذاك المنكود الحظ ان يعتذر عن ذنبه فلم يُلتفَت الى مقاله بل ولّى الملك مغضباً . فاخذ من ثم الرسول يلاطف وزير الصدارة متعللاً بكونه مبتلياً بتلك الحال الكريهة وهو استيساره نائماً كانه يقظان يشتغل كأنه منتبه فيما ان الامر بالخلاف . وان هذه الحال الشقية انما هي علة مصيبته وبلواه . فاجابه الوزير قايلاً : لقد ازدتني جريًا . بل قد ضاعفت ذنبك . ليت شعري ان كانت هذه حالتك أما كان ينبغي ان تفطّن من

يوقظك او اقلّه ان تكشف عند انتباهك نهاراً ما فعلته ليلاً وانت على تلك الحال . بل اقلّه عند سفرك او عند حضورك لدى الملك . أما خال لذهنك ان تطّلع على ما تسوقته واملأت منه صندوقك أحرى من ان تكون تجاسرت وعرّضت نفسك لسخط الملك وغضبه . فاعترف الرسول بغلطه وخطاه ملتمساً الأذن بالرجوع ثانيةً الى تلك الجهة آملاً في ان يعوض ما فرط من الخلل . فانكر الوزير طلبه قائلاً : بان عظمة الملك لا يعرّض ثانيةً شرف اوامره لعصاوة اتباعه . قال هذا وغاب عن المجلس . امّا الرسول فأُستيق الى العذاب *

ان معنى هذا المثل لبيّن واضح: على اننا نحن اجمعون انما وُجدنا في هذا العالم لكي نجمع لآلئ . اي لكي نمارس الفضائل ونكنز لانفسنا حسن الفعال وكنوز الاعمال الصالحة . فيسوع المسيح ملكنا السماوي قد ارسلنا لذلك مقدماً لنا كل الفرص والوسايط . فما نستحقه بافعالنا فهو راجع اليه لذكره السجود . وبواسطته يُقدّم

لله ابيه. اما نحن فنستطيع بنور الايمان الالهي ان نجمع لآلئ على الشاطئ الشرقي في حال التوفيق والنجاح . امّا الشاطئ الغربي الذي هو طريق الاحزانِ والالم فبلا شك انه لاوفر غزارة واكثر خصبًا ❊

واسفاه كم وكم من الانام الذين بصفة مستيقظين في عالمنا هذا ينامون ويحلمون احلامًا فارغة . وبدلًا من ان يجمعوا لآلئ لايقة بانٍ تُهدى لجلالة الملك الالهي . فانهم يجمعون حجارة وحصى من شأنها ان تهينهُ تعالى . وتوقد نار غضبه الالهي . ومن ثمّ تُضحى آلة لعذابهم . لعمري اما انه لجمع حجارة وحصى عوض لآلئ ثمينة هو الانشغال في الخيرات الارضية والتغاضي عن الخيرات السماوية . ناشدتك الله قل لي ما هو الانسان الذي يدّعي الاستقامة والصلاح وهو عارٍ عن الديانة . يدّعي بانه يعمل اعمالاً صالحة وهو خالٍ من الايمان الحق . لعمري انه لرجل نائم يستسير سير يقظان . على انه ينام ويحلم معالاً نفسه باضغاث الاحلام . فما هو

الانسان الذي يقاسي الالم والمشقات بدون صبر وتسليم لمشيئة مولاه . الذي يدخل الكنيسة لكن بدون عبادة . يتلو صلوات لكن بدون انتباه . يتمم واجبات وظيفته لكن بدون استقامة نية . الذي لا يفتكر ولا يفعل ولا يتحرك حركة سوى بحسب الميل الطبيعي ومألوف العادة . بل ولاسباب وغايات بشرية . لعمري انه لرجل نائم ذو احلام لايدرك ما يعمل . اي نعم انه متصف بظاهر الفضيلة مقتفيًا سيرها وحركاتها لكن بدون فضل واستحقاق . فمن كانت هذه صفته قد لاق عنه القول بانه عوضًا من ان يجمع لآلئ فانه يجمع حجارة وحصى . وعوضًا من ان يتوقع الجزا والثواب فخليقٌ به ان يحذر القصاص والعقوبات *

فاستيقظوا اذًا ايها النيام . وافتكروا بما تفعلون. افتحوا اعينكم وانظروا ما تجمعون . ولا تتقدمنَّ لدى الملك السماوي ممتثلين امام منبر حكومته الرهيب وانتم تجهلون ما به تأتون . غير ملتفتين الى الفحص عمّا في ضمايركم . قبل ان تُنشر صحائفها امام اعين ذلك الديّان

العادل . فطالما انتم في هذه الحيوة انكم لقديرون ان ترفعوا الحجارة والحصى . معوضينها بلولؤ الندامة والتوبة وحسن الاعتراف وقبول الاسرار وبحسن الاعمال الصالحة . اما عند خروجكم من مضمار الحرب فلا تنخدعُنَّ مغرورين بانه تُعطى لكم حيوة ثانية تصلحون فيها ضلال الاولى . فبادروا الآن الى عمل ما ترغبون حينئذٍ ان تكونوا عملتموه وفعلتموه . لانه لا يبقى لكم وقتيئذٍ الا توقع الجزا وانتظار العقوبة عن كل اعمالكم صالحةً كانت او طالحة *



* المثل الخامس *

* في الفلكي عند اللابونيين *

ان احد الفلكيين توجه بامر ملكه الى الاطراف الشمالية لكي يرقب طريق الزهرة على هالة الشمس . فحال وصوله الى لابونيا وجد سكانها الصغيري القدّ مقيمين في مساكن الشتاء . اي

في مغر عميقة محفورة تحت الارض ودهاليز لا منفذ لها سوى باب يدخلون فيه . وكانت تُضرم فيها نيران لا انقطاع لها متوقدةً باشجار خضراء بكامل اغصانها واوراقها . وترى تلك الاماكن لشدة الدخان مظلمة مدلهمة فلا يرى احدهم الاخر . ففي احدى الليالي راق الجو وصحى فرقب الفلكي النجم ورصده . وقبل ان تدخل الاهالي اوجارها اخذ يشرح لهم عن سير الكواكب . معدداً لهم اسمائها . مشيرًا الى السيّارة والى الغير السيّارة منها . امّا هم فسخروا به مستخفين بكلامه . ثم انهم تأملوا آلات الرصد ولم يدركوها . واخذ بعضهم النظّارة المعظمة ولم يروا شيئاً . امّا ذكر اسماء مشاهير الفلكيين فكان هزوةً وسخريةً لديهم . فحينئذٍ كبير القوم وامامهم حدّث الفلكي بجد الكلام قائلاً : لعمري قد لاح لنا بانكم وملككم لاقوام فاقدون العقل والصواب لكونكم تلتهون بكذا حكايات . فانفعل الفلكي من كلامه واجابه قائلاً : انه ليس من العجب بان معاشر سكان الظلمة الذين لايشاهدون سوى مغر عميقة حتى انهم يجهلون

اثمار الارض وغلاتها . فلا عجب اذا جهلتم العلايم السماوية والحوادث الفلكية مستهزئين بمن رصدها راقباً وتحدّث عنها متفلسفاً . فعندما سمع القوم هذه الالفاظ صاحوا به صيحةً بربرية . ولقد كانوا توصّلوا الى اعظم من ذلك لو لم تحركه الفطنة في ان يهجر البلاد ويتجه الى وطنه . حيث اعطى حساباً مدققا عمّا شاهد ورقب . واحكى مفصلاً عن كل وقائعه . اما الآن فانه يتنعم في وسط عائلته متمتعاً بانعام الملك مولاه . حايزاً كمال الاكرام والاعتبار من بني جنسه *

اما انا فاني اعتبرنَّ في هولاء اللابونيين اموراً ثلاث *

اولاً ظلامهم . فبأمر الخلاص نحن في هذا العالم كاننا في دار مملوة دخان . على ان حواسنا المفسودة وشهواتنا القوية المنحرفة تنهض بنا عجاج الابخرة المظلمة . فتظلم نور افهامنا وصحاوة عقولنا الرايقة وتخمد احساسات قلبنا الشريفة فلا نرى لا داخلنا ولا خارجنا . ولا نعرف لا ما في هذا العالم ولا ما هو خارج عنه . ولا ندرك لا ما هو ضمن الزمان ولا ما هو بعده .

لا سمو الابدي وعظمته . ولا دناءة الزمني وخساسته . فنعتبرنّ من ثمّ الاشياء الزمنيّة الفانية اعتباراً لا يليق سوى بالاشياء السماوية المخلّدة . فهذا الخداع والضلال يجعل البشر ان يدعوا خيرًا ما هو شر صرف . وشرًا ما هو خير محض . فتتخذ الناس الظلام نورًا . والرحيل سكنًا . والمنفى مقر راحة ووطن *

فقبل ان ياتي الموت ويخرجنا من هذا الضلال الفظيع . فلنستضئ بنور الايمان . فانه على رأي هامة الرسل . ينيرنا في مكان الظلام . ولنصغينّ لمقال اناس استناروا بهذا النور السماوي وعلّمونا اهمّ حقايق الخلاص مؤكّدين لنا بان الخيرات الابدية والشرور الابدية هي وحدها تستحق التأمل وامعان النظر . وان خيرات الارض وشرورها الزائلة لا تستحق ان نشغل ذهننا بها الّا بحسب نسبتها لخيرات الابدية وشرورها *

ثانيًا استهزاءهم وسخريتهم . اني عند ما أرى الكفرة تطعن بالديانة . والاراطقة تحارب بيعة الله . والسفهاء تزدري بالعبادة . كانك بي في الاطراف

الشمالية سامعاً اللابونيين معلنين اراءهم في العلوم الفلكية *

ثالثاً غضبهم • انه منذ الازل قد ازدرى العالم بالمسيحيين الحقيقيين وسخر بمن رام الهدى وقد اضطهدهم بل اماتهم ايضاً • امّا هم فقد حازوا اكاليل النصر والغلبة في الاوطان السماوية متمتعين بنعم الملك الازلي بمعية الانفس السعيدة التي داست شوكة الموت • فمتعنا المولى بالسعادة الموبدة صحبة تلك الانفس المطوّبة • واسكنا فسيح جنانه بنعمة مَن استحق لنا كل نعمة امين *



* المثل السادس *

* في الحاوي *

ان رجلاً من ابناء البر كان ذا حذاقة وشطارة في اخذ الحيات • فيرسلها لاحد اطباء المدينة يستصنع منها ترياقاً • ففي احد الايام اخذ منها دفعةً واحدة ما ينيف عن المائة وخمسين حيّة • وعند رجوعه

الى داره. فلشدة تعبه وضنكه توجه الى مخدعه . غير مفتكر بمأكول ولا بمشروب بل بحسب مألوف عادته اخذ الحيّات الى اوضته . وقفل عليها في برميل ثمّ رقد في فراشه . واذ في بحر الليل غصبت الحيات سجنها وخرجت من ذاك البرميل الغير محكم القفل وبحسب ميلها للحرارة اتجهت الى سرير ذلك الرجل . واحاقت به من كل جهة . ملتفةً على يديه ورجليه وعلى كل جسمه . امّا هو فلم يستيقظ ولم يستفق والحيات لم تسبب له مضرّة واذية . ففي الغد نهض الرجل يديه واذ بالحيّات ملتفةٌ عليها بل وبكل جسمه . فحينئذٍ استولى الخوف والرعدة عليه . متأكدًا خروج الحيّات من سجنها . لكنه لم يغب عن حواسه بل سكّن روعه وصحّى عقله مستغيثًا بالله ربه . وقبل ان يتحرك حركةً . استدعى الخادم فحضر اليه فاتحًا باب المخدع عليه . فأنهاه سيده عن الدخول وامره ان ياخذ حلةً ويملئ نصفها حليبًا يضعه على النار ليُسخّن ويفتر . ثم ياتي به بكل سكون وهدو الى وسط الاوضة .

فاجرى الخادم امر مولاه مدققاً . فلما كانت الحلة في وسط المخدع . واستنشقت الحيات رائحة الحليب تركت فريستها وسرت حالاً عن عنق ذلك الرجل وعن يديه ورجليه وعن كل جسده . منسربة نحو تلك الحلة . فعندما تركت الحيات الفراش وذهبت غايصةً في الحليب تهلل الرجل فرحاً ونهض نحوها مسرعاً . واذ بها كأنها سكرانة فالتقطها وقطع رؤسها . ثم جثى على ركبتيه شاكراً المولى لنجاته من التهلكة واخذ يقص القصة على عائلته . فارتعشت قواها وارتعدت فرائصها . ثم ارسل الحيات الى الطبيب معلناً له بالا يستنظر خلافها فيما بعد . لان الرجل عدل عن اكاره وبغض الحيات ماقتاً على انه لم يستطع فقط ان ينظرها بل ولا بان يسمع لها اسماً ولا ذكراً *

لعمري ان هذه القصة لمريعة مهولة واهلاً للاعتبار . فلنبحثنّ اذاً عن كل ظروفها *

اولاً فلنتاملنّ حال هذا الرجل في سريره . اني عندما أراه وجسده مغطّى بالحيات فترتعد فرايصي ويجمد الدم في مفاصلي . فيا لحالته التعيسة الشقية . ياترى

هل من حال اخوف وارعب من هذه . اي نعم ان النفس الملطخة بادناس الخطاء المميت لاكثر شقاوةً وتعاسةً . على اني حال تتاملي خاطئًا يرقد مرتاحا في فراشه ليلاً ويباشر اشغاله بطمانينة نهاراً . فيما ان الوف وربوات من الخطايا والمآثم شياطين اقبح من كل الافاعي قاطبةً تستولي على نفسه الشقية محيقة بكل حواسه وجميع اعضاء جسده . بل انه مملو ومعبّى منها . فاني اذوبنّ خوفًا وترتعش قواي هولاً ورعدةً . فمع ذلك ان الشقي المنكود الحظ لا يشعر بسوء حاله المخيفة كانّه متناعس نائم . هكذا ذاك الحاوي لم يحس على شيء بل انه كان راقداً مرتاحاً مطمئناً . ومع هذا ياترى هل ان حال كليهما قد تناقصت وقلّت خوفًا واهتيالاً *

ثانيًا فلنتاملنّ خطر ذلك الرجل في رقاده . ليت شعري هب بانه تحرك في نومه . الامر الذي يتفق حدوثه غالباً . او انه تحوّل من جهة الى اخرى دايسًا تلك الحيات او انه جفّلها بانفاسه وبتنهده او بكلمة خرجت من فيه . لهلك لا محالة . فلو افترضنا المحال وتجددت حياته على

الدقايق لكان كلما ارتد مرةً اليها لاماتته لاافاعي وسلبتها منه ثانيةً . فاذا مات الخاطي فجاءة على ما هو عليه من الخطا والارتكاب . او انه حل به حادثٌ من حوادث جمة تجري يوميًا على البشر . ترى ما تكون حاله . وماذا يحل به . لعمري اين الذين فاجاهم الموت على هذه الصورة . فاذا كانوا عبيدًا للخطية . فلا غرو بانهم هلكى للابد . اى نعم انها لاقبح ميتة اذا أُفترس لانسان من مائة وخمسين حية . لكنها ليست شيئًا بازاء الجحيم الذي تضحى سكانه فريسة موبدة للخطية والشيطان . لنخس الضمير ولقطع الرجا واليأس . بل للهيب نيران لا يخمد سعيرها *

ثالثًا فلنتاملنّ رعب ذلك الرجل وخوفه عند يقظته واستفاقته *

يا ايها الخطاة انكم لا تنامون وترقدون دايماً . فلا بدّ من انكم تستفيقون مستيقظين عند الموت والدينونة . فيا لخوفكم ورعدتكم عندما تشاهدون ذاتكم اعداءً لله . عصاةً متمردين شبيهين بالابالسة . ترى الى اين يذهب الخاطي المستحق جهنّم . أما انه يذهب

اليها كالى مقرّه الابدي . ناشدتكم الله استفيقوا قبل ذلك الحين . ولا تبطوا في رقادكم . استفيقوا طالما انتم قادرون في ان ترفعوا من احضانكم الافاعي المخبوة فيها . الافاعي التي تحافظون عليها ضمن صدوركم وهي مستعدة ان تفترسكم . لقد شاهدتم حال ذلك الرجل الخطرة . فلا تنخدعنّ غروراً . فان حالكم لاشد خطر . بل تاملوا كيف انه نجّى ذاته منها . متعلمين منه ان تخلصوا نظيره *

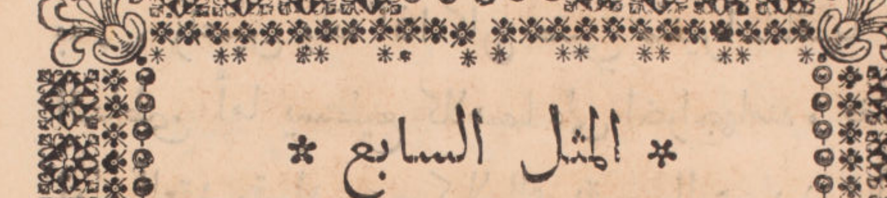
فاولاً لاحظوا حسن فطنته ودرايته . فانه شدد عزمه متشجعاً . ولم يفشل هلعاً . فانه تصور طريقة وحيدة لنجاح عمله فأجراها ونجحت مساعيه . فهكذا عند تاملك حال نفسك المريع . لا تيأسنّ جزعاً بل تشجع متقوياً . ولا تقل ما قاله قاين ان اثمي لعظيم هو فلا اوملنّ المغفرة . على انك لو كنت اكبر الخطاة واعظمهم . فرحمة الله الغير المتناهية تسمو عدد خطاياك فووقاً . فان الواسطة لحاضرة هي . لقد اعدّتها لك المراحم الالهية . انها هي دم يسوع الذكي . فالق به خطاياك غاسلاً اياها بحسن الندامة والاعتراف . ولا تضطربنّ من هذا المقال . فليهدا

روعك وليسكن جزعك . ولا يخالنّ في ذهنك بانها طريقة محالية وعسرة الاجراء . فالله تعالى لايطلب المحال . فانه يساعدك على صنيع كلما تستطيع صنيعه بهذا الشأن . فاعترفنّ اولاً بما يخطر لذهنك من الخطايا والمآثم . ثم تفطّن بغيرها واعطِ وقتاً لهذه الافاعي لكي تخرج . ولا تخف ولا تجزع فانها تخرج لا محالة *

ثانياً تاملنّ فرحه عند تاكّده النجاة . لعمري انّ سروره لكبير عظيم . وما هذا بشيء نظراً لما تذوقه فرحاً وحبوراً نفس قد ارتدت الى الله ودخلت بنعمته تعالى : ليت شعري ترى من يدرك عظم فرح الخاطئ عندما ينجو من اعداه مدعواً للدخول الى فرح سيده . فانه يهنّئ نفسه على تخليصه من خطايا قد رفضها واعترف بها باغضاً اياها وماحيها بدموع الندامة والتوبة السخينة *

ثالثاً تاملنّ قصده . فانه قطع رؤس الافاعي كافةً ولم يبق منها واحدة . بل انه عدل عن كارٍ قد كان اهلكه وبغض بغضاً موبّداً كلما اوقعه بتلك التهلكة والخطر . اما انت فانك تدرك حسناً معنى ذلك

فمارسه اذاً بالعمل واهربنّ من الخطية كهربك من الصل والافعى *



* المثل السابع *

* في خشبة في الماء *

ان رجلَين من اهل البر حضرا الى المدينة ببعض الحطب ولمّا فرغا من بيعه ذهبا متنزهين عند شاطئ النهر. واذ ذاك نظرا خشبةً في الماء يسوقها صبي صغير نحو الشاطئ. فقالا في انفسهما ياترى من اية الاخشاب هي حتى انه لفرط خفتها يحركها صبي كيفما شاء. اما صاحب الخشبة فكان واقفًا منتظرًا وصولها اليه. فعندما سمع كلام هذين الرجلَين دنا منهما وخاطبهما قائلاً: ان شئتما ان تعرفا هذه الخشبة وتقفا على حقيقة خفتها عليكما بهذا الاتفاق وهو: انه متى اوصلها الصبي الى الشاطئ ان اخرجتماها من الماء الى اليابسة فاني دافع لكما عشرة دراهم. امّا ان ظهر عجزكما واتضح. فانكما تتعهدان لي اولًا بان تحضرا

بقركما وتخرجاها من الماء . ثم وبان تدفعا لي خمس دراهم نصرفها اليوم سوية بما شاءت خواطرنا من المأكول والمشروب . اما هما فانسرا من القول راضيين به . زاعمين بانه اذا كان صبي صغير استاقها الى الشاطئ أما يستطيع كلاهما على اخراجها منه . فغب تمام العقد وقبوله وضع كلا الفريقين الرهن بيد ثالث قد اندهش من سذاجة ذينك الرجلين وانتظروا من ثم وصول الخشبة للشاطئ . فعند ذلك تقدما لكي يسحباها عن الماء فخاب سعيهما وذهب باطلاً . على انه غب ان افرغا الجهد الكثير اقرّا معترفين بعجزهما واضطرا الى تكدين البقر لاخراجها ودفعا المصاريف المتفق عليها بموجب الشرط المتقدم *

فالسيد المسيح له السجود قد دعى قشاً وقذا النقائص التي نراها في الاخرين . وخشبة عظم خطايانا الشخصية التي لا نراها في ذاتنا *

فالخشبة السابحة بالماء لا تُرى على ما هي عليه ضخماً وثقلاً . وما ذاك الّا لانها مستغرقة في الماء . فمهما كانت ثقيلة يستطيع صبي صغير ان يحركها بسهولة ويسوقها الى هنا وهنالك . لكن متى أُخرجت

من الماءِ فيعلم حينئذٍ جزيل ثقلها . وتُستبين على ما هي عليه من الضخم الفاحش *

اما نحن ففي عالمنا هذا نسبح كفي بحرٍ عظيم لا قرار لهُ . ونسبح معنا زلاتنا المستغرقة في مياه هذا العالم المتموجة ولا تبان على ما هي عليه. لكون جزء منها مختفياً عن اعين الناس بظاهر الخداع والريا واكثرها يختفي عن معرفتنا . بما اننا نعتذر متعللين عنها طاردينها من اذهاننا. وما ندركه منها يبان لدينا خفيفاً لكونها سابحة في مياه مبادي العالم الكاذبة وفي سيول الامثال الردية المورطة . لكن متى اقتضى اخراجها من المياه واظهارها امام منبر ذاك الديان العادل حينئذٍ تبان على ما هي عليه من الضخم المفرط والثقل الفاحش. فمتى أُخرجت من وسط المياه تلك الافعال التي يُستحى منها . تلك الخداعات والاحتيالات الخفية . ذلك الافترا المكار . تلك الدسايس الخبيثة والنوايا الردية . ثمّ وُزنت لا بميزان عوايد العالم بل بميزان شريعة الله الانجيلية . وقوبلت لا مع فساد البشر بل مع قداسة الله تعالى. فحينئذٍ يبان قبحها ويُشعر بثقلها المفرط. اذ تملأنا خزياً وخجلاً .

فلنبادرنّ اذاً الى محوها بدموع التوبة قبل خروجنا من هذا العالم لكيلا نقع تحت ثقلها عند حضورنا امام الله الديان *

ان الخطية تبان خفيفة عند ارتكابها . لكنها تظهر ذات ثقل فاحش عند نقلها الى الاعتراف . فليت شعري ترى ما يكون قبحها المفرط عند نقلها لدى منبر الحكومة الالهية المرهبة *



* المثل الثامن *

* في امبيدوكليس الفيلسوف على جبل إتنا *

ان جبل إتنا المدعو الآن جبل جيبل من جبال صقلية يقذف على الدوام نيراناً عجاجة لا يخمد لهيبها . فكأنه صورة الجحيم الحقيقية . ورمز النار المفسودة التي تسوق البشر الى النيران المؤبّدة . على اني اقابلنّ هذا الجبل المضطرم سعيره بكثير من الجمعيات العالمية . بذلك الرقص المشكك وتلك المشاهد الخلاعية التي على مثال هذا الجبل تراها

متأججة باللهيب فتلقي من ثمّ النار في كل القلوب . لعمري كم وكم من براكين خصوصية . كم من البراكين التي تجري سائرة . بل كم من براكين خفية اضطرام سعيرها ليس باقل خطراً وضرراً من نيران جبل إتنا . فالخوف من هذه النيران والابتعاد عنها مهما ازداد وعظم فلن يعدّ الا قليل . فمن اراد الاقتراب منها فانه قد اراد الهلاك بها لا محالة . والحالة هذه من خاف من الخطية فليهرب متجنباً الاسباب *

ان احد مشاهير الفلاسفة الاقدمين المدعو امبيدوكليس قد اشتهر بموته اكثر من حياته وتآليفه . فقد حركته الرغبة بان يشاهد عن قرب نيران جبل إتنا . على انه كان يرغب ان يبحث بذاته عن هيئة تلك النيران وعن كيفية خروجها وعن الآثار التي تبقيها . فاراد ان يشاهد قمة الجبل ويقف على حقيقة ارضه وتربته باحثاً عن تكوين المحل ليتاكد صحة ما قيل عنه . وبالاجمال لقد اراد ان يتحدث عنه فلسفياً لا نقلاً عن اخرين بل بموجب بحثه وتدقيقه بالملاحظات والاعتبارات الشخصية *

فحاولت تلاميذ هذا الفيلسوف مراراً احادته عن

هذا القصد بارتكاب بحور المخاطر مقدّمين له شاهداً بان
كل من سار باد فيه . وان على العاقل ان يكتفي
بمعرفة ما اكتشف عليه عن بعد اولى من ان يطرح نفسه
بالاخطار . وانه لا بأس بان يبرهن عنه تقريباً
وافتراضياً لا امتحانياً وعياناً . مبيّنين له بانه لا غرو من
ان تكون قمة الجبل مكلسة . وفيما انه يتوهم وضع رجليه في
ارض قارّة ثابتة فيضعها في لجّة رماد تبتلعه . بل وبما
ان النار لا تخرج دائماً من محل واحد قد يتفق
ثورانها وقذفها فجاءةً تحت اقدام من رقبها راصداً
فتحرقه حيًّا وهاك به رماداً انحدر لعمق الهاوية *

اما الفيلسوف فكان يجاوب دائماً بان ما هم الا
سريعين الخوف والرعبة وان شدة الخوف من شانها
ان تعظم الامر بل وما على الفيلسوف ان يرتعد
خوفاً كباقي الناس . وان كان من قد سبق وصعد الجبل
قد باد فيه فما ذاك الا لانه لم يخطره كرجل
فيلسوف متحصناً بالاحتراس اللازم . اما هو فقد
اتخذ لذلك طرقاً امينة فلن يخشى العاقبة . والحالة
هذه فيتوجه اليه ويكشف عليه بالفحص المدقق
ويرجع من ثمّ سليماً معافاً آتياً بالاخبار الصادقة

والاكتشافات الصحيحة . لكنّه لم يبيّن الطرق التي اعتمد عليها لانها كانت موضوع الهزؤ والسخرية. على ان مجرد اعتماده كان اولاً على عصى في يده يجس بها الارض ليعرف اين يضع قدميه . ثم بان يصعد الجبل حافي الرجلين . لكي اذا ما حسّ بسخونة الارض يرجع الى ورائه قبل ثوران النار *

ففي صباح احد الايام اخذ الفيلسوف عصاه ومن دون ان يعلم احداً توجّه الى الجبل تاركاً نعليه عند سفحه صاعداً الى قمته. فبائنا ذلك قد كان خرج بعض تلاميذه يستنشقون نسيم الصبا الصبحي على الجبال المجاورة واذ بهم قد حاروا مندهشين لمّا شاهدوا رجلاً يجول على قمة جبل النار . فتحققوا حينئذٍ بانه معلمهم . لكن ما العمل فلا حيلة لانقاذه بل اكتفوا ان يتبعوه بابصارهم ليعرفوا ما يحل به. وما تكون نهاية امره *

فلما بلغ هذا الفيلسوف الى علو الجبل اندهش لما شاهده من المناظر الجديدة لديه . فراءى من ثمّ ما لا يُحصى من امور غريبة عجيبة لدى اعين محبي البحث والتفتيش. لكنها كريهة ممقوتة مهانة ومحتقرة لدى الاخرين . فقد شاهد صخوراً مكلّسة وجبالاً

الت الى الرماد ومياهًا كبريتية مستنقعة منتنة. وشاهد ارضاً مشققة مجوّفة . وبالاجمال لقد شاهد ينبوع ثوران النيران وقذفها ثم لهيبها وتصاعدها تصاعداً غريباً عجيباً يعسر تلخيصه *

فأخذ الفيلسوف يسير حول ذلك البركين بسرعة ورشاقة يُقال عنها اكثر من فلسفية . فاوقاه عصاه من السقوط في لجج كثيرة ونبّهته سخونة رجليه بان ينتقل مراراً من محل الى اخر . ولما كان انتقاله في محله واوانه حيث اتفق مراراً بان النار انبعثت من مكان قد بارحه مهاجراً . فتهلل من حسن ادارته ودرايته واستعدّ من ثمّ الى الانحدار من الجبل مردداً في ذهنه عظم الشرف والافتخار لكونه قد استطاع بدون خوف واذية ان يخطر ذلك الجبل الشهير . الجبل الذي لم يسبقه احد اليه الّا وقد باد فيه . مفتخراً لكونه يمكنه القول بانه قد ذهب اليه وشاهد ما فيه مكتشفاً على حقيقة ما حواه من الغرائب . وفيما هو ممعن النظر بما ازاده رغبة وتاثيراً من امور واشياء قصد وصفها غير منتبه لسخونة رجليه ثارت تحته النيران وحرقت عصاه قاذفةً اياها الى البعد . امّا هو فامّا انه ابتلع او انه احترق

او انه قد ابتُلع واحترق معاً . فلا علم لحقيقة حاله . فكلما نعهد ونعرف هو انه بقي في الجبل ولم يُوقف له على اثر حقيقة *

اما تلاميذه لما شاهدوا هذه الحادثة المشومة فبادروا مسرعين الى حيث وقعت العصا . فعرفوا بانها لمعلمهم وجالوا حول الجبل عسى انهم يجدون بعض اعضاه المبددة . فلم يروا سوى نعليه فوضعوهما مع عصاه في هيكل الفطنة . ليتحقق من شاهدهم بان الفطنة الحقيقية تتوقف على اجتناب الاخطار . وان لا محل للتحفظ والاحتراس متى كان الخطر محتوم ممتنع المحايدة والاجتناب *



* المثل التاسع *

* في يوسف الجديد *

* انه ينبغي اجتناب الخطر عند المقدرة كما وانه تنبغي *
* الصلوة في الخطر الممتنع المحايدة والاجتناب *

ان احد الآبا الرهبان المسمّى يوسف وعظ عظةً في

يوم، لبست فيه احدى الراهبات الثوب الرهباني وبرزت النذور الرسمية . فحضرت احدى الستات الشريفات تلك العظة فأثرت بها لا قداسة كلام الله بل الطاف الواعظ ونضارة شبوبيته وبهاء منظره المتصف بالاداب . وزد على ذلك جمال حركاته وعذوبة الفاظه فهامت اليه عشقاً الى ان اوصلها لامر بان تعزم على قضاء وطرها وبلوغ مأربها اطفاء لنار شهوتنا *

فلمّا كان الغد استمرضت الاميرة وارسلت مفتشة على الاب يوسف لكي يعرّفها . فعند دخوله مخدعها خرجت الحاضرون وأُغلق الباب مقفولاً بامر الاميرة التي فاقت امراة فوطيفار مكراً وخبثاً . فلما راى الاب هذا الحال من قفل الباب . طرقته الافكار ووقعت عنده الشبهة واستولى عليه خوف عظيم . فحينيذٍ رفع عينيه الى السماء متوسلاً الى الله تعالى بان ينجيه من الشر واقياً *

اما الاميرة فصرّحت بميلها معلنةً بان عشقها لمفرط ومتجاوز الحد وان لابد من اخماد ناره . وانه ان ابدى دنى ممانعة صاحت صارخةً بانه اغتصبها . فتأمر الاتباع فيوثقون يديه ورجليه بالاغلال ، وتبقيه على هذه الحال الى

حين رجوع زوجها من السفر . فحينئذٍ تطلب منه الانتقام عن الاهانة والعار *

فارتاع يوسف الجديد وارتعدت قواه عند سماعه حديثها وقصد من ثمَّ فقد حياته ولا اغاظة الله تعالى جل وعلا . لكنه اراد بتخليص طهارته ان يخلص ايضاً شرفه وحسن سمعته ولا يسقط في الاثم ويضحى موضوع الفضيحة والعار . فالتجئ الى ابي الانوار لكي ينيره ليرى ما يلزم صنيعه مستغيثاً بأهل السماء وبشفيعيه يوسف الاول والثاني . فالهمه الله الهاماً الهياً فنجحت به مساعيه *

فلما فرغت الاميرة من كلامها اجابها الاب بتمام السكينة والهدو قايلاً : ياسيدتي ان في نهار امس فُرض علينا الصوم فاحسّ ان قواي خارت جوعاً . فمُرى لي بما آكله ولك الفضل والمنّة . فتوهمت الاميرة بان ذلك مما يوافق آمالها . فاعطت اشارة ودخلت الاتباع واعدّوا سفرةً في مخدع الست نفسه . فاكل الاب وانشرح متحدثاً باقوال اسرّت الحاضرين بل وان الاميرة امرته ان يشرب كاساً حباً بها . اما الاب عند فروغه من الاكل خرج من الاوضة امام الجميع كانسان يروم قضا

احدى الحاجات وذهب من ثمّ مسرعاً الى الدير شاكراً المولى لنجاته من المعثرة *

اما الاميرة فاستبطأته فطلبه الاتباع ولم يقفوا له على أثر لا في الدار ولا في البستان ولا في مكان اخر . فأنباءهم البواب بانه قد انصرف راجعاً الى ديره *

فلما تأكدت الاميرة الخبر استشاطت غيظاً وغضباً وما ازادها حنقاً وكيداً ممزقاً احشاءها هو انها لم تستطع على اظهار الامها حفظاً لاعتبارها. ولقد كانت سعت بقتل نفسها لو الحق ذلك ضرراً بالاب يوسف المذكور . لكنه كان بريئاً من الذنب خالياً من التهمة والثلب فلم تقع عليه ادني شبهة . على انه قبل الاكل ظهرت امارات الفرح والسرور على وجه الاميرة وبعده ولّى الاب منصرفاً الى ديره . فمن ثمّ اضطرت تلك الشقية الاثيمة ان تخبو السم المكنون في فوادها ساترةً عارها كاظمةً غيظها وقهرها *

اما الاب فهنّى نفسه شاكراً المولى على هذه الغلبة التي اضحت له ينبوع جزيل النعم في حياته وبل وينبوع كمال التعزية والسرور عند مماته *



* المثل العاشر *

* في النساء *

ان احدى الستات الشريفات ذات العقل والتقى خاطبت كاهناً شاب في محضر جمعية حافلة قايلةً له : يا ابانا قد لاحظت الناس عليك ملاحظة لا يشوبك منها ضرر . وهو انهم يقولون بانك لا في الازقة والشوارع ولا في البيوت والمخادع تنظر الى وجه امراة . فاجابها الكاهن قايلاً : ان النسا عندي كالاسلحة المجردة عند النسا . على انه بقدر ما يكنّ جميلات لامعات بقدر ذلك يسببنَ لي رعباً وخوفاً . ومن ثم فاني احيد نظري عنهنّ . فاستصوبت الاميرة كلامهُ قايلةً : ان الاسلحة المجردة اللامعة ترعبنا نحن النسا لانها تسبب لنا جراحاً قاسية ولا شك بان النسا لا ياتينَ باخف جراح منها . فقال الكاهن : ان مجرد النظر الى الاسلحة المجردة لا يسبب ادنى ضرر ولا اذيّة . فيما ان مجرد النظر الى الامراة قد ياتي بجراحات

قويّة غالبًا لا شفا لها . والحالة هذه قالت الاميرة قد تسوغ اذاً مقابلة النسا بالاسلحة النارية التي تصيب عن بعد . فاجابها الكاهن بل اني اشبهها بالحرّاقات المعبر عنها بنيران التصنّع والحيلة . فعندها تبسمت الست قائلةً : اما الحيلة فلا تنقصهنّ . هات الان نسمع علاقة التشبيه . فقال الكاهن : اني اشبههنّ النساء بحرّاقات يسمّونها نيران التصنع والحيلة التي يخرج منها ما شابه الحيات ملتهباً منتشراً هنا وهنالك فيحرق من كان قريباً منها فيما انه يظن بانه على حالة الأمن الامان . فحينئذٍ اعترض احد الحاضرين قائلاً هكذا : اني قد وقفت على آية في الكتاب لاحت لي اجزاؤها غير مرتبطة . وهو ان ايوب البار عاهد عينيه الا يفتكر في النساء . فاجابه الكاهن : ان اجزاء هذه الاية لكلية المطابقة . على ان الطريقة الحقيقية لعدم التفكر في النساء هي بان لا يُنظر لهنّ ابداً . فانتقل المعترض الى بحث اخر قائلاً : ان احد الكهنة اذ كان يصلّي مقسماً على ممسوك مسكون سأل الشيطان قائلاً: بايّة خطايا توسوسون بها للبشر انتم معاشر الابالسة . فاجابه الشيطان قائلاً: ان لخطيتين نربط بهما البشر .



وحينئذٍ نعدهم خاصتنا . على انه قد قدرت نجاتهم منهما . فاحداهما ضبط مال الغير ظلماً . على ان من استولى عليه فلا يرده حتى ولا في ساعة الموت . والاخرى حب النساء . الامر الذي لا تصلح الناس انفسها منه حتى ولا في وقت الشيخوخة . على انهم لا يكفّون عن ارتكابه اصلاً . فاذا لم يتفق لهم ذلك فعلاً . فاقله يجرونه نظراً وفكراً متذكرين الحركات الشهوانية محركين اليها اشواقهم واميالهم شاغلين بها عواطف قلوبهم . فاجابه الكاهن قائلاً : فلنضربنّ صفحاً عن حقيقة الخبر وعدم حقيقته معتبرين النتيجة لا غير لانها صوابية حسنة . فاذ كان ذلك كذلك فحتى اننا نكيد الشيطان ونقهره فلنوق انفسنا من هاتين الخطيتين وحتى نكذبه بفعلنا فليبادر مَن لسوء حظه قد تغلل بقيودهما الى اتخاذ طرق فعالة ينجو بها باصلاح احوال نفسه . قال هذا واراد الاب المذكور مبارحة المنزل واذ بالاميرة تقول له . قد تاكّدنا بانك ليس فقط لا ترغب النظر الى النساء بل انك لا ترتضي ايضاً بان تطيل الكلام بالمفاوضة معهنّ . فاجابها الاب قائلاً : ياسيدتي امّا هذا فقد احظني واسرني بل انه افادني لكنني قد سمعت

الناقوس يُقرع * ان الفضيلة الاولى التي ينبغي علينا ان نخاف من ان تحيدنا الناس عنها هي حسن الدقة في تتميم فروضنا وواجبات وظيفتنا *



* المثل الحادي عشر *

* في حيلة تقوية احتالها احد الاباء الكبوشية *

انّ شاباً غنياً مجملاً بالحسن والبهاء قد هام وجداً وغراماً باحدى الشابات الشريفات ذات غنا وافر وجمال باهر واتفقا من ثمّ على الاقتران ببعضهما ولم يعيقهما عن تكميل مرغوبهما وانعقاد الزيجة بينهما سوى حضور احد اقاربهما من سفره *

ففي هذا الاثنا اقتضى بان الشاب يسافر اياماً . وعند وداعه اهدى خطيبته صورته ضمن علبة ذهبية جزيلة الثمن. وارادت هي ايضاً ان تتحفه بصورتها قبل رجوعه من السفر. ورامت بان تلك الصورة تكون محكمة الصناعة والاتقان عمل احد مشاهير العصر في هذا الفن . ولهذا خاطبت اباً كبوشياً ماهراً في الفن بارع الصناعة مترجيةً اياه باجابة مسئولها . فانكر الاب ذلك عليها متعللاً بانه

لايصرف اوقاته في مثل هذه الاشغال وهو مع ذلك يردد في ذهنه الموضوع الذي اجراه فيما بعد فعلاً كما سياتي بيانه. واما الابنة فلم تزل تلح عليه مستحلفةً اياه بما اعز لديه بان لا يخيب لها امل. فاستمال الاب لكلامها مستجيباً سوالها *

فصور الاب اولاً وجه الشابة لا غير وارسله لها لكي يمتحن ذوقها ويتاكد انشراح خاطرها. امّا الصورة فكانت من الجمالات الغريبة والمحاسن البديعة حتى ان الابنة تهللت فرحاً وسروراً واخذت تريها للاصحاب والاحباب. فكل من شاهدها صرّح بكونها عبرة من العبر وملحة من الملح في احكام الصناعة واتقانها. فعقب ذلك ارسلتها للاب المرقوم واصحبتها بهدايا جزيلة ثمينة شاكرةً احسانه ومعروفه ناشرةً الثنا والمديح على حذاقة عقله وسلامة ذوقه وجددت من ثمّ بسط الرجا لديه بتكميل العمل وارساله على وجه السرعة *

فالاب تمم الصورة فعلاً. لكن ياترى ما الذي عمله. فعوضاً من ان يصور قداً وقواماً مناسباً لذلك الوجه الجميل صوّر قفصاً حسناً محكم الصناعة متقن لكنه بذاته شنيع المنظر كريه الهيئة وارسله حالاً لتلك الشابة

فسعت مسرعةً الى فتح الصورة . فحالما رأت تلك الشناعة مضافةً الى ذاك المنظر الجميل استشاطت غضبًا خارجةً عن دائرة الصواب ولم تعد تملك كلامها لشدة حنقها حتى انها لو صادفت وقتئذٍ ذلك المصور لهشمته بلا محالة ولا امترا . واخذت من ثمَّ تشكو امرها للاقارب والاحباب كانها تروم الانتقام عن تلك الاهانة . فمع هذا كله كانت تنسر مشروحةً عند نظرها صورة الوجه . لكنَّها اذ لم تستطع ان تتاملها ما لم يقع نظرها على ذلك المنظر الشنيع فكان يثور غضبها على الراهب بل وعلى رهبنته ايضاً بلا استثنا . فكأنه على تكرار النظر ائتلفت معتادةً على ذلك القفص واخذت من ثم تقول في نفسها : ليت شعري أما اني عتيدة اصير قفصاً . فقد يخال لي بان الاب لم يقصد بذلك تلاعباً بل انه اراد ان يعطيني مثالاً مرشداً اياي الى الهدى . فعليَّ الان ان استفيد من هذا الاعتبار والملاحظة وارجع عن الغوي والغرور . وفيما انها كانت مفتكرة بذلك واذ بناقوس دير الراهبات الكرمليتانيات قد قُرع . فخطرت لذهنها الصورة مع شناعة القفص وقبح منظره . فعندها اخذت تبكي نايحة

تايهةً في بحر الافكار المتموجة مرتجة المقاصد والعزم الى انها عزمت اخيراً على التوجه الى ذلك الدير وانهت حياتها فيه راهبةً *

فارسلت صورتها الى خطيبها مسطرةً له ما خطر لذهنها من الملاحظات والاعتبارات واخذت توضح له عمّا كان من قصدها ناصحةً ايّاه بان يقتدي بها مقتفياً مثلها *

اما هو فحال سماعه الخبر اتقدت نيران الغضب في احشائهِ وترك اشغاله راجعاً الى وطنهِ . وحال وصوله توجه راساً الى دير الراهبات طالباً مواجهة خطيبته . اما هي فارسلت تجاوبه بان لا وقت لها لمقابلته بل عنده صورتها فليتأملها وتحريرها فليتلهُ ممعناً النظر بأمره . فازاده هذا الجواب غيظاً وحنقاً . وتوجه من ثمّ حالاً الى دير الابا الكبوشيين مفتشاً على المصور فلم يجده لكونه قد كان استدرك الامر وتوجه الى دير اخر . فحظي الشاب بالاب الرئيس وغب ان افرغ ما عنده من الغيظ والحنق . فنصحه ذلك الاب على التصبر والتسليم لمشيئة الله تعالى موكّداً له بان ما ذاك الّا من مفاعيل العناية الالهية لكي تبعده عن العالم

واباطيله وتجذبه الى حب الله تعالى والانعكاف على مرضاته جلَّ وعلا *

فاستولت الاتعاب والاكدار والاحزان كافةً على ذلك الشاب ولم تبقَ له من ثم تعزية. فتوجه الى منزله منطرحاً على فراشه مؤملاً بعض الراحة. لكنه لم يذق لذة الوسن بسبب اضطراب افكاره وقلق باله. فاخذ من ثمَّ يتلو الكتابة ويتأمل الصورة متنهداً الصعداء والدموع تذرف من عينيه. واذا بحيرة اخذته واستولت عليه فظل صامتاً برهةً ثم استفاق على جهله وهتف صارخاً: يا حماقتي انني لعلى اكبر جانب من الجنون بل انني لاكبر احمق ومجنون. أما انني احب ما يفنى ويُفسد فيما انني استطيع ان احب الله تعالى. أمَا انني متعلق بحب الارضيات فيما انني استطيع اكتساب السماويات. كلّا ثم كلّا. فلا ادعنَّ ذاتي ان أُغلب من امرأة بل اقلّه انني اتبع اثارها مقتفياً لمثالها. قال هذا ونهض مسرعاً الى دير الاباَ الكبوشيين وانطرح على اقدام الرئيس واخذ يوضح له عزمه مقرراً له افكاره وقصده باعتناق الرهبانية *

فلما اتشح بالثوب الرهباني كتب الى الراهبة

خطيئته السابقة معلنًا اياها حاله ملتمسًا حسن دعائها ، اما هي فجاوبته على نسق كلامه ، واقتصرا عند هذه المكاتبة ولم ينظر بعدها احدهما الآخر ، وغب ان مضّيا سنين عديدة في الرهبنة صارفَين ايامهما بحرارة التقوى والعبادة مات اخيرًا كلاهما في يوم واحد وذلك برائحة البرارة والقداسة *

فيا ما اعظم فرحهما الآن في الابدية . فاذا شئنا المشاركة معهما . فلنتاملنَّ ممعنين النظر بأمرنا مبادرين من ثمَّ الى اجراء افكارنا الخلاصية بالفعل والعمل *

* المثل الثاني عشر *

* في حدّ وتعريف الحيوة الحاضرة *

قد سُئل احد الفلاسفة عمّا هي الحيوة الحاضرة . فاجاب قائلاً بانها هي مسافة السجن بين المشنقة والمحكوم عليه بالقتل . فحقًا انه قد حُكم علينا بالموت من احشاء امهاتنا ولم نخرج منها لا لنستاق الى محل العذاب والقتل على انه منذ الحبل بنا يحاضر وراءنا الموت ولا

يزال مجدًّا بذلك . اي نعم انه توضع على ابصارنا عصابات المشجوبين والمحكوم عليهم بالقتل . لكنه يُخفي عنا مكانه . هذا وعلى ممر الدقايق والساعات نسعى اليه جاهلين اينَه ولا نعرف ان كنا قريبين منه او بعيدين عنه . فكامل علمنا به هو اننا ندنو منه يوميًا واننا اليوم اقرب اليه من امس . بل وقد يتفق وصولنا اليه ولا علم لنا به . ولربما نكون الآن اقتربنا منه ولم تبقَ لنا سوى خطوة واحدة للوصول اليه . ومما نجهله ايضاً هو نوع الموت المحكوم علينا به . الامر الذي لا نراه مصرَّحاً في صك الحكومة . لان الله ابقاه في خبايا سراير عنايته الالهية . فيا ترى هل يكون موتنا حلوًا ام مرًّا . سريعاً فجائياً ام طويل المدة . هل سوف تُعطى لنا اوقات نرتّب بها امورنا ام لا تُعطى . فلا علم ولا اطلاع لنا بكل ذلك مطلقاً *

فمن المستغرب ايضا هو انه حال كوننا محكوم علينا بحكم الموت القاطع ترانا في المسافة من السجن الى محل اجراء الحكومة نضحك ونلعب ونلهو بل نخطئ مرتكبين القبائح والفواحش شاغلين عقولنا بافكار خارجة ومقاصد اجنبية بل اننا

نتعاطى الاعمال والاشغال ولا يخطر لنا الموت في ذهنٍ وبال. ليت شعري فما الذي يتفق حدوثه. انه يحدث غالبـاً ما نشاهده حالاً في بني البشر. وهو انهم في بحر ملذاتهم وانشراحاتهم في بحر اشغالهم واعمالهم يبلغون محل العذاب وهم يفتكرون بانهم بعيدون منه. وفيما انهم غير متأهبين ولا مستعدين يضطرون بان يبارحوا الحيوة ذايقين مرارة العذاب وصرامة العقاب وهو لم يخطر لهم في بال ولا انشغلت به الافكار والاذهان *



* المثل الثالث عشر *

* في آية دلفا *

انه كان من عادة الفلاسفة الاقدمين متى شاؤا ازاعة احدى الحِكَم الشهيرة قاصدين تبيان اهميتها فينسقونها نسق الآيات المنزلة و يضمونها مع الاقوال الموحاة. مع ان الشيطان خزاه الله تعالى المتراس في تلك الهياكل الوثنية لم يكن قط ابداها بل ولا علم له بها ولا معرفة *

فقد قيل ان زينون الفيلسوف لمّا اراد ان يسلك سلوكًا ادبيًا ويسير سيرةً دينية فضايلية ذهب مستشيراً الهاتف بالغيب في هيكل دلفا لكي يعرف الطريقة المقتضي اتباعها حتى يعيش دائماً ملازماً ممارسة الفضيلة. فقيل ان الهاتف بالغيب جاوبه قائلاً له استشر الموتى *

فحقاً انه لا توجد (لاسيما للانسان المسيحي) طريقة اكثر فاعلية وسهولة لاصلاح الحيوة وللثبات على عمل الخير من التفكر بالموت والابدية. ليت شعري لو استشرنا اباءنا واجدادنا وكل احبابنا الذين بارحوا الحيوة بل والذين حضرنا وفاتهم ورافقناهم الى القبر واستعلمنا منهم. فترى ما الذي لكانوا يقولونه لنا. لا غرو بانهم يجاوبون بان حياتنا تكون مقدسةً وموتنا حلواً اذا ما صغينا لرأي الموت واستفدنا من ارشاده. لكن بقدر ما ان الموت هو مفيد لترتيب حياتنا فبمقدار ذلك نرى الانسان عدواً طبعاً للنظام والترتيب ويرغب ان يعيش متناسياً الموت متغافلاً عن ذكره. مع انه من المعلوم البيّن ان نسياننا الموت وتغافلنا عن ذكره لا يدع الموت ان ينسانا. ولهذا

نرى معاشر العقلا والحكماء اجالاً وافراداً وثنيين كانوا او مسيحيين قد انعكفوا دايماً على التفكر بذكر الموت الخلاصي متذكرينه على طرق متنوعة وانحاء مختلفة *

قد كانت العادة قديماً عند اهل الصين بانه ليلة تتويج الملك وتكليله تقدّم له نقاشون مدينة بيكين قطع رخام يختار منها واحدةً لصنيع ضريح له . بل كان من القوانين ان يُبداء بحفرها ونقشها ليلة تكليله نفسها . فالنقاش صاحب الرخامة المختارة فهو يحفرها وعلى قاعدة المملكة دفع المصاريف سلفاً وتعجيلاً . اما احضار تلك القطعة الرخامية فكان بكل احتفال وعظمة . وما ذاك الآ ارشاداً ونموذجاً للشعب وللملك نفسه . فتعلموا اذاً مرتشدين من ذلك وتيقنوا بان كل ما هو حولكم محيطٌ بكم ينشغل على ممر الاوقات بحفر قبوركم *

قد ذُكر ايضاً بانه في حفلة تكليل ملوك الحبش وجلوسهم على العرش الملوكي كان يُقدَّم لهم اناً مملو تراباً ضمنه جمجمة ميت تنبيهاً لهم على الحال العتيدون ان يؤولوا اليها . لان التاج الملوكي لايقيهم من تقادير الموت *

اما في الاعصار الحاضرة فعند قيام الحبر الاعظم الروماني يأتي احد الاكليريكيين ببعض القطن في رأس قصبة ويدنيها من شمعة مشعولة حارقاً اياها امام عيني الحبر قايلاً له : أيها الاب الاقدس هكذا يزول مجد العالم *

خبرونا عن فيلبوس الماكيدوني ابي اسكندر العظيم انه امر احد خواصه بان يكرر عليه القول ثلاث مرات صباح كل يوم قائلاً له : تذكّر ايها الملك انك انسان . لعمري انها لكلمة بليغة حاصرة كل معنى *

اما الملك مكسيميليانوس الاول فصنع لذاته نعشاً قبل مماته باربع سنوات وابقاه دائماً في مخدعه . وفي اوقات السفر كان يصحبه معه . فوجد فيه هذا الملك حسن الرأي والمشورة لانه غب ان انتصح منه في حياته لم تصعب عليه مشاهدة ساعة الموت الرهيب الذي حشره ضمن ذلك النعش *

قد اعتادت الرهبان الملقبون بالكرتوزيين في ان يحيّوا بعضهم بالسلام قائلين : ياأخي تذكر الموت . على انه ما من طريقة اعظم من ذلك تأثيراً واشد فاعلية تجعلنا ان نثبت خطواتنا في سبل الفضيلة الشاقة . فانها تضع بازاء

اعيننا سرعة نهاية توبتنا وندامتنا بل وكل افعالنا ذات التقشفات والاماتات تنتهي سريعاً لامحالة *

اما القديس برنردوس المعظم فكان من عادته ان يردد القول مدة نهاره كله صارخاً : ياترى لو مت اليوم أهل كنت فعلت هذا . وانه متى شرع بعمل صالح او بتكميل احد الفروض والواجبات كان يخاطب ذاته مستعلماً : لو اقتضى يانفسي ان تموتي بعد هذا العمل ترى كيف لكنت فعلتيه . وهكذا بتذكره الموت والهذيذ به ثبت في حرارة عبادة متصلة وتقوى مستديمة *



* المثل الرابع عشر *

* في رجل تاب معترفًا عند البابا *

ان احد الشبان الشرفاء ذوي المناصب العالية اذ كان منغمساً في بحر القبايح والفواحش عزم اخيرًا على الارتداد اليه تعالى بالتوبة . فتوجه من ثم الى رومية املاً بالحصول على التعزية بان يعترف مقراً بخطاياه

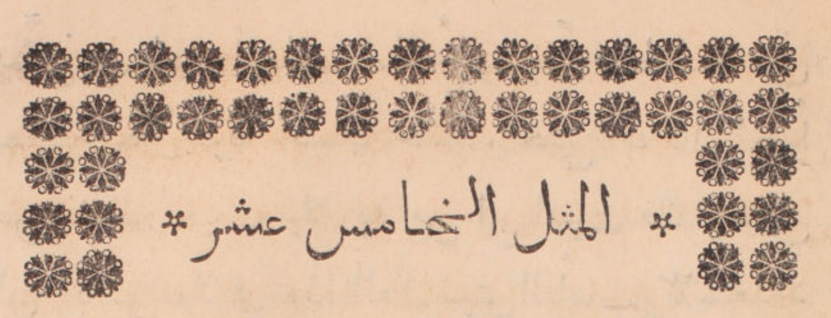
للاب الاقدس نفسه. فبوصوله حاز مرغوبه على ان البابا استمع اعترافه وتعجب منذهلاً من دقة اقراره وحرارة ندامته وتأسفاته لاسيما من قوة مقاصده. لكنه لما اقتضى ان يفرض عليه قانوناً لم يرَ ما يوافق ميله وطبعه. لان التايب لم يستطع قبول احد القوانين مطلقاً على ان الصوم مثلاً لا قوة لـه على احتماله. والتلاوة الروحية والصلوات لا وقت لـه لتتميمها. والتقشفات واستعمال آلات التوبة لا علم له بها ولا معرفة بل انه يجهلها جهلاً تاماً. ورياضات الاختلا وزيارة الاماكن المقدسة فاشغاله تعيقه وتمنعه عنها. والسهر والنوم على الحضيض فصحته ولطف مزاجه لايؤذنان له بهما. هذا فضلاً عن تعليلات كثيرة واعتذارات عديدة لايتعلل بها حتى ولا نفس اقرانه. فاحتار البابا بامره الى انه اعطاه اخيرًا خاتماً ذهبياً محفورة فيه هذه الكلمات: وهي تذكر بانك تموت. فارضاً عليه قانوناً ان يضع ذلك الخاتم في اصبعه ويتلو من ثم تلك الكلمات المكتوبة فيه اقله مرة واحدة في النهار. فانصرف الشاب مسرورًا من خفة هذا القانون الذي اتى فيما بعد بمجموع قوانين التوبة. على ان فكر الموت

تمكّن في ذهن الشاب تمكناً وطيداً فاطلعه على حقيقة حال كونه انساناً مائتاً . حتى انه قال اخيراً عن نفسه : حيث ولا بد من ان اموت فلا ينبغي ان اباشر عملاً في هذا العالم سوى التأهب والاستعداد للموت . فماذا تنفع مداراة صحة يهدمها الموت ويفنيها . لماذا مراعاة لحمٍ وجسدٍ يأول للفساد ويضحى فتاتةً ضمن الارض *

فبعدما خاض في بحر هذه التأملات خفّت عليه كل انواع التوبة والاماتة واخذ يمارس اشد التقشفات مثابراً عليها حتى الموت . الموت الذي كان كريماً لدى الله . مفيداً ومعمراً للقريب ومعزياً لنفسه *

ياليتنا نمعن النظر متاملين حسناً هذه الكلمات وهي : اني عتيد ان اموت . يا حبذا لو استخلصنا تلك النتائج الخلاصية الناجمة من هذه الكلمات وهي : بما اني عتيد ان اموت . فسقياً لنا لو اصخنا سمعاً لهذا التنبيه المصرّح به بهذه الكلمات وهي : أما اني ملتزم بان اموت *

فلا ترتعدنّ من هذا الكلام بل اعتمد على الطرق اللازمة . فلا يرعبك الامر ولا يروعك منه خوفٌ ووجل *



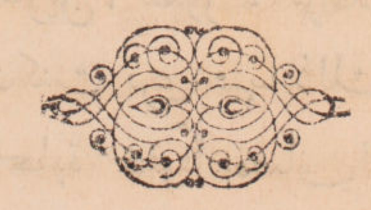
* المثل الخامس عشر *

* في خيط هذه الحيوة *

ان ابديتنا تتعلق بموتنا وموتنا بحياتنا وحياتنا لا تتعلق الا بخيط بل بخيط رفيع ضعيف سريع القطع والحريق . ويحدث غالباً قطعه في وقت غير منتظر ولا مستدرك بل احيانًا يتفق ذلك فيما اننا نعهله اشد مكناً . والاغرب من ذلك هو انه ينقطع بالوسايط عينها الموجهة لتمكينه . كما ترى ذلك في نهاية حيوة الملك كارلوس المحزنة . وربما انك عالم بهذه القصة . فمع هذا انك تراها ذات تاثير عجيب من شأنه ان يرعد الفرايص *

ان كارلوس ملك نافرا المارّ ذكره كان اعظم من غاص في بحر الادناس والشهوات اللحمية . حتى انها ضعفت قواه بل تلاشت من ذلك القبيل . ولهذا استشار الاطبا بامره فارتأوا ان يلتف بملاءة مبلولة بالعرق تخاط على جسمه ولا تُقام عنه لبعد نهاية اربع

وعشرين ساعة. فكلّف من ثم بتتميم ذلك اصغر حظياته فتاة بديعة الجمال كان يميل اليها اشد ميلاً . فكانت في عنفوان صبوتها تراها تايهةً في بحر الغرام مسلوبة العقل مفتونة الجنان لا تهتدي لما تفعل. فخاطت الملاة على جسم الملك وطلبت مقصاً تقطع به ذلك الخيط فلم تجد ه فاتت من ثمّ بشمعةٍ مشعولة احرقته بضوئها حال كونه مبلولاً بالعرق. واذ ذاك اشتعل الخيط وانتقلت النار منه الى الملاءة فالتهبت . وهات الان من يصف لنا حال ذلك البلاط الملوكي. لعمري انه قد امتلاء صراخاً وعويلاً . فلم يُسمع فيه سوى البكا والنواح . فاضطربت اهله وقلقت وبادر كلٌّ لانقاذ الملك. لكن يا لخيبة الامل فاضحى المسعى عبثًا باطلاً. لان الملك احترق حياً قبل ان يهتدوا لانقاذه . فيا لتلك الحيوة ويا لتلك الميتة ويا لتلك الابدية *





* المثل السادس عشر *

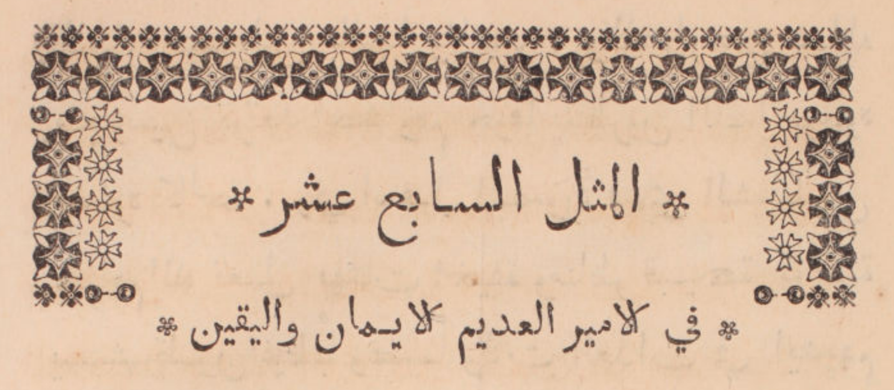
* في غرابة ذوق احد ملوك البولغاريين *

ان بوغريس ملك البولغار كان من طبعه يحب ما كان مرعباً مخيفاً وينحظ منسراً في الاماكن المهولة الرهيبة. واعظم ما كان يبتغيه ويتمناه هو انه يلحق في الصيد والقنص الوحوش الضارية. وانك كنت ترى في بلاطه الملوكي كلما اراع النظر واهاله. فالصور والنقوش وكل انواع الفرش من طنافس وخلافها المطبوعة عليها المناظر المخيفة المريعة كانت زينة لبلاطه *

فعلم هذا الملك بان راهباً يدعى ايرونيموس كان ماهراً في صناعة التصوير. فقصده من ثمّ طالباً منه صورة على ذوقه وطعمه اي بان تكون مريعة مخيفة تلقي الرعدة في قلوب الناظرين. فصوّر له الراهب صورة الدينونة الرهيبة. فانك كنت ترى فيها ذلك الديّان الرهيب جالساً على سحابة محفوفاً بمصاف الملايكة لايحة على وجهه امارات العظمة والغضب. وعن يمينه حزب

للابرار متسربلين بالبها والمجد . وللاشرار عن شماله مأيوسيين ترتعد احشاؤهم خوفاً ينتظرون القضا بوجوه مصفرة كالحة . وفي اسفل الصورة فترى الشياطين خزاهم الله تعالى بهئات مخيفة ومناظر قبيحة كريهة يستشيطون غيظاً وغضباً وآلات العذاب في ايديهم وتحتهم هوتة عظيمة تقذف عجاج النيران الملتهبة *

فعند اول لحظة القاها ذلك الملك الوثني على ذلك المنظر ابتهج فرحاً واقر معترفاً بانه لم يرَ قط لا ابهى ولا اجمل ولا ارعب منظراً من هذا . واذ لم يدرك ما كان مصوراً فيها استدعى الراهب المذكور فاخذ يبيّن له مفصلاً من تلك الصور موضحاً له حقيقة معانيها بفصاحة وبلاغة جعلت الملك يرتعد خوفاً من معاني الصورة اكثر من النظر اليها . فاوصله خوفه ورعبه الى ان اعتنق الديانة المسيحية ومضّى حياته بخوف الله وتقواه مرتعداً من احكام عدله تعالى حتى انه كلما باشر عملاً او تداول بامرٍ كان من عادته ان يقول: فلنتذكرنّ بان ما نحن عتيدون ان نصنعه الآن سيجرى الفحص عنه امام منبر عدل الله الرهيب *



* المثل السابع عشر *

* في الامير العديم الايمان واليقين *

ففيما كان الاب ايرونيموس يشرح معاني صورة الدينونة الاخيرة وحقايق الديانة المسيحية والملك بوغريس المار ذكره يسمع تعاليمه . واذا باحد اعضاء العائلة الملوكية . رجلٍ ذي ادعا . مفسود السيرة . منغمسٍ بالادناس اخذ يضاد محارباً في الاجتماعات والمجالس ما قاله الاب ايرونيموس لاسيما عن الدينونة الاخيرة . مورداً اعتراضات دقيقة رفيعة ارتبك عندها اوليك المسيحيون الحديثوا الايمان *

فاراد الملك بان يعترض الامير المذكور على الاب ايرونيموس نفسه بحضرة اهل البلاط الملوكي . فبداء من ثم ذلك الامير يتعلل متفلسفاً محتداً بكلامه مورداً اعتراضات غير منتظمة السياق الى انه اخيراً افرغ كلامه . فحينئذٍ حصر الاب المذكور مقال الامير في ثلاث مسائل . اعني بها قيامة الاجساد . واعلان الضماير

وخزي الاشرار واخذ يجاوب عنها مفصلاً *

فاولاً قال عن قيامة الاجساد. ان كلّما اعترضتَ بهِ يا ايها الامير عن قيامة الاجساد لاصعوبة ولا اشكال فيه لدى من يدرك قدرة الله الضابطة الكل والغير المتناهية . القدرة التي انت نفسك تقرّ معترفاً بها ولا يسعك ان تنكرها . على ان الذي اعطى الكاينات الحيوة فلا يعسر عليه ردها متى شاء . لان كلا الامرين لاصعوبة بهما لديه جلت قدرته . فاينما تبدد رماد بني البشر مشتتاً فلا يخرج من قبضة يديه تعالى . فانه تعالت قدرته يجده ويفرزه ويضمه لبعضه *

أمّا ما تعترض بهِ على ذاتية الاجساد مثبتاً محالية بعثنا بجسدنا الذاتي فلا صعوبة فيه ايضاً لمن قابل ضعفه وجهله مع تصوره قدرة الله الفايقة كل حد . لعمري انه لامر يُرثى له ويملي القلوب حزناً وغماً وهو اننا نحن الذين لاندرك شيأ من الامور الحاضرة المنظورة الواقعة تحت الحواس . نرغب ان ندرك كلما عتيد ان يحدث ويصير مستقبلاً . فيما انه لا اطلاع لنا على ذلك ولا يقع تحت حواسنا ولا ندركه الّا بالايمان فقط *

ثمّ انك تعترض يا ايها الامير بان مادة واحدة بعينها

قد اختصت على التوالي والتتابع باجساد كثيرة ، فمن ثم تسأل مستعلماً بانها وقت القيامة بايهم تختص . فاجيب عن ذلك قائلاً : هل يمكنك ان تعرف بان تلك المادة ذاتها قد اختصت او لم تختص على التوالي والتتابع باجساد كثيرة. ويا ترى هل ان ذلك يمنع بان كل انسان حي يحصل على جسده الذاتي ولا يوجد الّا في ذاك الجسد عينه . فانت نفسك تقر معترفاً بانك منذ اربع سنوات المّ بك مرض انحل جسمك واضناه حتى انك اضحيت خلالاً ولم يبقَ منك جزء ما كنت عليه سابقاً . ثمّ بعد تعافيت فعدت الى حالتك الاولى . وانك الآن على ضعف ما كنت عليه قبل المرض من الصحة . فناشدتك الله قل لي هل انه مع ذلك قد تغيّر جسدك وتبدّل . أما انه هو هو نفسه . هل انك اتخذت جسداً اخر *

ثم تقول يا ايها الامير بان الطفل الذي طوله ببعض اشبار اذا مات على هذه الحال بعد غسله بمياه المعمودية هل انه ينبعث في الحشر بذاك الجسد نفسه لكي يتأكد انبعاثه بجسده الذاتي . ناشدتك الله

انت الذي الآن جسدك وقدك اذرع لا اشبار. أما كنت سابقاً طفلاً بجسد صغير الجثة طوله بعض اشبار. هل انك مع ذلك بدّلت جسدك متخذاً غيره. اما هذا هو جسدك عينه الذي به ولدت. لعمري انما هذه اسرار عالمنا الحاضر ومع هذا اننا لا ندركها فكيف ندرك اسرار العالم الاتي. فلنومننّ بكلام حكمة باري البرايا وبقدرته الضابطة الكل ولنرحْ افكارنا موقنين بتعاليمه الصادقة *

انك تقول ايضاً ترى اية مسافة تحوي مجموع الاجساد المنبعثة الغير المحصاة عدداً. اعلم يا ايها الامير ان الذي فرّق بني ادم وشتتهم على وجه الارض ليعيشوا فيها آخذين منها جوهر اجسادهم لعارفٌ هو كيف واين يرتب تلك الاجساد عند مجيئه الاخير ليدين الاحيا والاموات. لعمري ما اعناك قط ما كان من امرهم اولاً ولا اهمك حالهم ولا قلق لك من قبله فكر. كذلك لن يعنيك ولن يهمك شأنهم ثانيةً ولن تقلق به افكارك *

انك تعترض اخيراً في هل ان الهيئات تبقى على حالها في العالم الاتي. اي على ما هي عليه الان.

لعمري ان ما هذه الا مسائل فارغة باطلة لا طائل تحتها . على ان الذي وضع في عالمنا هذا النظام والترتيب والتغييرات المذهلة عقول من نظر اليها متاملاً يعرف ان يرتب في العالم الاتي ما يوافق مجده جلّ وعلا وسعادة خاصته ومحبّيه تعالى . ثمّ وما يلاحظ ايضاً عذاب اعداه جلت قدرته . لان كنوز حكمته الالهية لم تفرغ قط ولن تنفد ابداً . فلنتوكلنّ عليه جلت صفاته ولا نكترثنّ سوى بان نحيى ونموت في محبته تعالى *

ثانياً كشف صحايف الضماير واظهارها . هات الان ننتقل الى ما تعترض به ايها الامير عن فتح صحايف الضماير . ان كلاً منا يتفق مع الاخر مسلماً بانه حتى يكون هذا الكشف والاظهار تاماً يلزم بان كل انسان يعرف جليًا ومفصلاً ما يلاحظ عموم الناس وافرادهم . على انه يلزم ان يعرف احوالهم واتصالياتهم ونسبتهم وعقولهم والنعم الفايقة الطبيعة التي حازوها . بل يلزم ان يعرف اعمالهم وافكارهم واشواقهم ونواياهم واقوالهم واساطيرهم وما ينتج عن كلٍ منها وما يلحق كلاً منها . ثم ويعرف ايضاً طرق الله تعالى وتصرفاته مع البشر

عموماً وملاحظة عنايته الالهية نحو كل فرد منهم . فهذا وخلافه مما يقتضي الوقوف عليه والاطلاع على حقيقته . اي نعم ان هذه الاشياء لكثيرٌ عديدها . لكنّ سواء أُعتبرت افراداً اواجمالاً فليست هي موضوعاً غير متناه . ومن ثم لا تطلب معرفتها نوراً غير متناه . والحالة هذه فالله النور الغير المتناهي بالذات يعطي لكل فهم مخلوق درجة من النور على قدرما يشاء ويريد . بما ان تلك الدرجة هي غير متناهية . واني بك لقايل بان هذا مما يفوق طور العقول ادراكاً . فهو كذلك . لكن بهذا الامر وخلافه يمكننا ان نتخذ قياساً مما يجرى في عالمنا هذا . على انه لو افترضنا بان انساناً قد تربّى ضمن سجن ولم يرَما حوله الّا على نور شمعة موقودة . ومن ثمّ انه لا يقتنع بانه يوجد في العالم ما يُضيء في وقت واحد على اماكن لا تُحصى من البلدان . فمتى أُكّد له ذلك وان كل سكان تلك الاماكن الكثيرة الشاسعة ترى مميزةً الاشيا بكل سهولة . فيلزمه ان يصدق ذلك وان لم يدركه ويقف على صحته بذاته . وما قلناه يجرى عملياً على هذه الصورة ونحن نمتحنه بحواسنا . اما الفرق الموجود بين نور الشمعة

ونور الشمس هو اقلّ من الفرق الموجود بين النور الذي يمنحه الله تعالى الان للبشر وبين ذلك النور الذي يفيضه عليهم في اليوم الاخير . والحالة هذه فلا صعوبة ولا اشكال في ان نومن مصدقين بان في اليوم الاخير يُظهر ويُعلن كل شيء وتُفتح مصاحف الخفايا والقلوب . فلا تنغرنّ منخدعًا بانه في ذاك اليوم العظيم يُخفى من معرفة احد الناس حتى ولا ادنى اعمالك وافكارك وكل خفايا قلبك . لعمري ان الاعتقاد بهذه الحقيقة والايمان بها ليس غير مصدق . لكن نتايجها وتوابعها لمريعة مخيفة . ومع ذلك لا استطاعة لنا ولا مقدرة في ان ناوّلها او نحيدها على كيفنا ومرادنا . واذ كان ذلك كذلك هات الآن نجاوب على سوالك وهو هل يعرف احدنا الاخر في اليوم الاخير او في السماء او في جهنم . انه من الواضح البيّن ان في اليوم الاخير يعرف احدنا الاخر . على انه لما كان الامر على ما قدمنا من كشف المصاحف واظهار الامور التام فعاد من المستحيل الّا يعرف الانسان مَن عاش معهم ومن تقدم وسبق ومن تاخر ولحق من دون استثنا . لان النور

الذي يفيضه الله تعالى على البشر في ذلك اليوم الاخير . ذلك النور الضروري لتبرير العناية الالهية ولمجد القديسين وشرفهم ولخزي الاشرار وخجلهم. ليت شعري ترى لماذا يُنزع منهم . لا لعمري انه لن يُنزع بل يبقى ويدوم للابد . فعلى هذه الصورة يعرف احدنا الاخر اما في جهنم فذاك لشقائنا وعذابنا. واما في السماء فلحظنا وسعادتنا . وكلا الامرين هما لتمجيده تعالى مدى الدهور والاحقاب *

ثالثاً خزي الاشرار . قد بقي علينا ان نجاوب يا ايها الامير على ما تزعم وهو : بما ان الاشرار يفوقون الاخيار عدداً في يوم الدين فلا يشعرون من ثمَّ بخجل وخزي من قبل اثامهم وخطاياهم . واننا نتاكّد ذلك من كون اهل الخلاعة في هذا العالم يفتخرون بخلاعتهم حتى وغالباً امام الاخيار . فلنضربنَّ الان صفحاً عن البحث في الخزي والخجل الذي ولا بد من ان تحس به الاشرار حتى ومن الآن من قبل جرايمهم وارتكابهم المحرمات . بما ان هذا البحث يتطلب طولة الشرح . لكنني اقول مجاوبًا بكلمات ثلاث . بان الذي يجعل الاشرار في هذا العالم جسورين

احياناً سفهاء وقحين هو اولاً عماءهم . ثانياً غياب القاضي الديان . ثم بُعد العقاب . لكنهم اذا ما عاينوا ثقل الخطية وحضور القاضي ثم جهنم الفاتحة فاها لتبتلعهم . فيكون حينئذٍ خزيهم عظيماً جداً . وبما ان خوف العموم لا ينقص مخفّضاً احساسات الخوف في الافراد هكذا خجل عموم الخطاة وخزيهم لا يمنع ما يستولي من الخزي على كل فرد منهم *

اخيراً قبل ان ننهي الخطاب نجيبك يا ايها الامير عن سؤالٍ تسأله في هذا الصدد . فكانك تستعلم مستفهماً في هل ان خطايا القديسين تظهر وتعلن . اي نعم ان ذلك من احق الامور واثبتها . لكنها انما تُكشف وتُعلن لمجدهم وشرفهم لا لخزيهم وخجلهم . على ان خطاياهم تظهر ممحوة بدم الحمل الزكي مطهّرة بدموع التوبة الصادقة . فمثل هذه الخطايا ليست بعارٍ وعيب لكنها فخر وزينة من شأنها تنهض قيمة بهاء مجد القديسين الذي هو عين مجد المسيح وخزياً للخطاة الذين اعطيت لهم الوسايط ذاتها لمحو خطاياهم ولم ينتفعوا منها . فكما ان معرفتنا بخطية داود وبنكران بطرس وفواحش اغوستينوس لا تنقص ابداً اعتبارنا

واحترامنا نحو هولاء الشهيري الفضل والقداسة ٠ فهكذا الاطلاع على خطايا المختارين لا تعيب مجدهم وسعادتهم *

لما انهى ايرونيموس مقاله فاسداه الملك واهل بلاطه الشكر عن تعاليمه الفعّالة الموثرة في العقول والالباب ٠ اما الامير فذهب طاوي الكشح كاظماً غيظه وحنقه مصراً على كفره وعدم ايمانه تعنتاً وتفاخراً ٠ لكن اهل البلاط الملوكي اغتسلوا جميعاً بلا استثناء بمياه المعمودية المقدسة ٠ يالقضاء الله الرهيب ويا لشر مفاعيل فساد القلب البشري ويا ما اقبح واشنع المباحثة الجسورة الوقحة التي تروم فحص اسرار غامضة ينبغي بالاحرى الايمان بها واحناء الراس لها *

* المثل الثامن عشر *

* في عاشق جماله *

ان احد ابناء الاشراف كان وحيداً لاهله ٠ فتوفي والده تاركاً اياه في سن الطفولية ٠ فصرف الولد ايامه مع اختيه ووالدته في قصره الموروث عن والده ٠ لكنه

فيما كانت اختاه ووالدته يصرفنَ اوقاتهنّ بالاعمال الخيرية وافعال الرحمة والمحبة المسيحية . كان هو ينشغل بزينة جسده ورفاهيته . صارفاً نهارات بكمالها على هذه الصورة . ولم يكن يستولي عليه من هذا القبيل ملل ولا ضجر . بل انه كان يحصر افكاره ويجمعها متفكراً في كيف انه يتقن تجعيد شعره ودهنه بالروايح الطيبة . معطراً وممسكاً ملابسه بانواع الطيوب العطرية . اما والدته فكانت تلح عليه بان يدخل العسكرية واوعدته بانها تسهّل له طرق التقدم والنجاح . ليت شعري كيف انه يرتضي بذلك ويذهب الى الحرب فيما انه ترك الصيد والقنص لئلا تنتزع زينته او تمسه الاشواك . غير ان حبه المفرط لرفاهية جسده حجبه مانعاً اياه عن كل الملاهي والانهماكات . على انه كان يخاف من انّ الخلاعات تغيّر صحته والوان صورته وتطفئ فيه رونق منظره وبهجته . فحاله هذه اوجبت عليه الملامة واخذت الناس توبخه عن هذا التصرف . اما هو فكان ينسى كل شيء اذا ما وقف لدى المرآة متاملاً منظره ذلك الغض النضر . متهللاً بسلامة مزاجه وحسن صحته . لان فيها انحصرت

مسرته. وبغيته لكونها اضحت موضوع لذاته وكراماته .
فاتفق بان الاب باسيليوس ريس احد الاديرة
القريبة. رجلاً من اهل الذكا والاداب شهيراً بامانته
وتقشفات سيرته مرّ بقصر هذا الشاب الشريف .
فابقاه عنده ليتناول الاكل معهُ . فوُجد وقتيئذٍ من
ترجّى الريس سراً بان في وقت الوليمة يعظ الشاب
ويحرك فيه كبر النفس وشهامة القلب . منهضاً فيه
علو همة الرجال وسمو الفضايل المسيحية . فلما كان
وقت الاكل جاسوا على المايدة واخذوا يتناقلون
الاخبار ويتفاكهون بالاحاديث الى ان حان
اوان القيام ولم يُجرَ حديث بالامر المعهود . فعندها
اخذت الاخت الكبيرة تخاطب الرئس. مستعلمة منه
في هل انه يليق بشابٍ بل بشابٍ شريفٍ من
العائلات الشهيرة الا ينشغل سوى بصف شعره وترفه
جسده . فاجابها الرئس قائلاً : يا ايتها العزيزة اعلمي
بان الجسد هو جزء عظيم من الانسان . على ان
بالجسد يعيش الانسان في الارض . بالجسد يرى الناس
ويُنظر منهم . بالجسد يحصر الاجتماعات ويسود في
المجالسات. أما انه بالجسد توثر بالانسان التأثيرات .

اما انه به يلتذ وبه يتألم . به يشترك مع باقي الاجسام .
لعمري انما بالجسد يفعل الانسان بالاجسام وبه ينفعل
منها . فلا غرو ان جسد الانسان لاجل الاجسام المخلوقة
ولابهى من كواكب السما . على ان الجسد الحسن
الاعضاء . السليم الصحة . الخفيف الحركة . الماكن
البنية . على ان المنظر الجميل المقرون باللطف والحلاوة .
على ان الوجه ذا التقاطيع المحكمة التناسب . المتشح
بلطف البشرة الناعمة . ذات اللون البهي الجميل .
على ان الراس المنتصب المزدان بالشعور الظريفة .
لعمري لن ترى في الكون اجمل منظراً . وما من
انسان الّا ويندهش متحيرا عند مشاهدته كذا
محاسن . بل وما من انسان الّا ويرغبها لذاته . تايقاً
لامتلاك هذه الجمالات السالبة العقول والالباب *

والحالة هذه فاني ارتأى بان هذا الجسد الذي هو
جزء جوهري بالانسان يستحق كل ملاحظة واعتنا *

ففي اثنآ هذا الحديث تهلل ذاك الشاب فرحاً
زاعماً بان ما سمعه هو مما يوءيد مشربه . فاختاه اضطربتا
خائفتين لما شاهدتاه من هذه البداية . وكادتا تحنقان
غضباً على الاب باسيليوس المذكور . ولهذا لم تستطع

كبيرتهنّ سكوتًا . فصاحت من ثمّ صارخةً : نعمَ ما تعظ
به . ياابانا . لعمري ما هذه الاّ آداب جميلة . انه لم تُنتظر
منك اراء نظير هذه . امّا الام فقالت ان هذه التعاليم
انما تسر ابني لانها وفق ميله . لكن الاخت الصغيرة
اذ لم تستطع كتمان الامها اعترضت الرئس وبانت
امارات الاحتداد على وجهها قايلةً له : اني اراك
تناقض ذاتك بذاتك . لانك انت الذي تعظ
الاخرين بملاحظة اجسادهم والاعتنا بها . فاشدتك
الله قل لي . ما هي الخدمة التي تخدم جسدك بها وما
هي الرفاهية التي تعتني بها . على اني اراك لابساً
المسوح . حافي الرجلين في قلب الشتا . وانك تتعب
جسدك وتقهره . هالكًا اياه بالصيامات والتقشفات .
مميتاً اياه بالجلد . وانك لاتريحه لا ليلاً ولا نهاراً . أهذا
هو الاعتنا وحسن الخدمة لجسدك . أهذه هي الرفاهية
التي تعني عنها . فاجابها الاب باسيليوس : انا على
خلاف الامر . لاني انتظر قيامة اخرى . فلما سمع الشاب
ذلك اعترضه قائلاً : أما نحن اجمعون ننتظر ما تنتظره
من امر القيامة . فعندها خاطبه الرئس قائلاً : ان كان
ذلك كذلك فاحذرنّ من ان تقبل هنا عوضاً

وبدلاً . لان من وضع سعادته في جسده وهو على الارض لاينتظرنّ جسداً اخر اجمل منه يوم القيامة . فاذا ما اخضعنا جسدنا للتوبة وضحّيناه ذبيحةً للعدل الالهي مستخدمينه بالاتعاب واحتمال المشقات ومقاساة الصعوبات . فنتأكد بمثل هذه الافعال رجوعه الينا وردّه لنا في القيامة على ابهى الاحوال واجملها . فضلاً عن انه يكون حينئذٍ غير قابل الموت ولا الالام . بل انه يتسامى جمالاً وبهاء في الاخرة على قدر ما يكون اتضع وقاسى من المشقات والعذابات في هذا العالم *

ثم اردف كلامه قائلاً : اني في صبوتي كنت احب جسدي حباً مفرطاً حتى اني لم افتكر الّا به . فكان يُقال لي باني حسن الوجه جميل المنظر . فاسرّ من ثمّ محظوظاً من هذا المقال . بل اني كنت ارغب سماعه مزداداً حباً نحو من ينعتني بمثل هذه الاوصاف . ففيما كنت انيه عجباً بجمال صورتي واذ في السنة الخامسة عشرة من عمري اعتراني داء الجدري فتراكمت عليّ الغموم والاكدار من هذا القبيل واخذت اتامل قائلاً في نفسي : ليت شعري هل ان عظم حبي

بجسدي وشدة احتراسي عليه لم يكن كافياً لوقايته من هذا الداء الذي غيّر منظري وشوّه جمال صورتي . حتى انه جعلني بحالة منكّرة غير معروفة . فلا غرو انه يحل بي من التغييرات والتقلبات ما أراه حالاً بالاخرين . واخذت من ثمَّ اتامل سني الانسان ومراحل عمره . فرائت كل سن يغيّر الجسد تغييراً جديداً . نازعاً منه بعض جماله وبهائه . وما من احد ولا من شيء يستطيع منع الطبيعة وحبسها عن سرعة سيرها ومألوف جريها الغريزي . فانها تسوقنا قسراً هنا للهرم والموت . بل انها غالباً تقدم هذا على ذاك . فعند ما غصت في بحر هذه التأملات استولى عليَّ البكاء والنحيب واخذت اذرف الدموع ساكباً العبرات متنهداً الصعداء ولشدة اسفي وألمي انطرحت على الحضيض مغشياً عليَّ . حتى ان خارت قواي واضحيت فريسةً للنعاس . وكانك بي اسمع صوتاً يقول لي : لا تخف يا بني ولا تنح باكياً . احسن التصرف في جسدك مستخدماً اياه استخداماً مقدساً . افنهِ في خدمة الله تعالى وبتكميل فروض وظيفتك ولا تجزع قلقاً من خضوعك لتغييرات لا بدّ من حدوثها . ولا تخف من الامراض

والاسقام قاطبةً. ولاتأنفنّ من أقذار الشيخوخة والهرم ولا توجل من آلام الموت المرة . بل روّض جسدك واقمعه بصرامة التوبة . فان الله تعالت قدرته وتسامت عظمته يردّه اليك كاملاً جيلاً بهياً لا يعتريه تغيير ولا موت ولا تلمّ به الام واسقام . بل انك تتمتع به مسروراً في مقرّ السعادة والمجد مدى الاجيال والاحقاب *

قال هذا وحمل عصاه واتجه الى ديره . امّا الشاب فبدلاً من ان يذهب الى مخدعه كعادته اختلى في البستان برهةً مردداً في ذهنه ما قد تُلي على سماعه . ثم دخل القاعة فوجد اختيه ملازمتين الشغل فخاطبهما قائلاً: ما رأيكما بحديث الاب باسيليوس . فاجابته كبيرتهنّ قائلةً : اننا كنا نتباحث عن ذلك . وانت ما تقول به . فاجابها ان الاب مصيب برائه . وانا لست مخطياً . انكما كنتما تقولان لي ان الجسد ليس بشيء . فيلزم من ثم احتقاره وقهره ولا ينبغي ان نعباء به اصلاً وها قد تأكدتما الان من قول الاب المذكور بان الجسد هو جزء جوهري بالانسان . فيستحق من ثم أن يُبذل نحوه الاعتنا والملاحظة . اي نعم اني اقرّ معترفاً

بذنبي وخطاي حيث لم افتكر بان الجسد ما هو في هذا العالم سوى للخدمة ولم ادرك بان حسن تصرفنا به يرده الينا في الاخرة بصفات من شأنها ان تجعله جسدًا للزينة والافتخار . فانتنَّ النساء تكترثنَ بالملابس وانواع الكواسم والزينات . فمنها في اوقات الشغل ولا تبالينَ بها تلفت ام لم تتلاف على حدٍ سوى . ومنها ذات قيمة ثمينة جميلة تبقينَها بكل حفظ للاعياد الاحتفالية وللاجتماعات الممتازة . فاجابته الاخت الصغيرة قايلةً : لقد ادركت حسنًا يا اخي المعنى المقصود من الاب باسيليوس . فحقًا ان القيامة لعيد عظيم وانها لجمعية حافلة نسأله تعالى ان ينعم علينا بالوصول اليها بمجد وبهاء . فاجابها الاخ . وما ذاك الا تحت طايلتنا ومنوط بنا . فان صرفنا حياتنا حسنًا واستعملناها استعمالاً مطابقًا لاوامر الله تعالى وقدّمناها ضحيةً حيةً مقبولة منه جلَّ وعلا وفقًا للغاية التي قصدها المولى باعطاينا هذا الجسد . فلا غرو اننا قد حزنا المنى . فلنستفيدنَّ اذًا من ذلك مستغنمين الفرصة *

وحقًا لقد استفادت تلك العائلة منتهزةً الفرصة . دلي

ان الاخ اعتنق الجندية عايشًا فيها عيشةً مسيحيةً حافظاً كل فروض الديانة منقطعًا عن الزفر في الاوقات المحرمة. صائماً الصيامات المفروضة من بيعة الله تعالى. ولما قُتل باحدى معارك الحرب وجدوا المسح على جسمه تحت بدلة الافتخار . واما اختاه فصغيرتهما اضحت نموذج التوبة والاتضاع في دير ترهّبت فيه والكبيرة مع والدتها صرفت ايامها بمباشرةٍ اعمال التقوى وملازمة الامانة والتقشفات. وكامل اعضاء تلك العائلة تُوفوا برائحة القداسة على رجاء القيامة الممجدة . منحها الله لعباده المخلصين . امين *

* المثل التاسع عشر *

* في الشاعر الراجع عن غيه *

ان شاعراً ما ذهب لاحد اديرة الكرتوزيين ليرى احد اقاربه . فغب ان تفاوضا عن اشياء كثيرة اخبر الشاعر الراهب بانه قد انجز نظم قصيدة غرّاء من شأنها ان تذيع اسمه وتشهره في كل المسكونة. على انه قد افرغ جهله باحكامها. لكنه قد استحسن ابقآءها سنتين

لكي ينقّحها ويحكم اتقانها. فانها تكون بعد اهلاً للاذاعة والاشتهار. فالاولى الاستنظار قليلاً. فبهذه الوسيلة يتاكد مصادقة الجمهور الذي يتلقاها حينئذٍ بحسن القبول . فلما سمع الراهب هذا الكلام اجابه قائلاً : يلوح لي انك قد تبقيها سنتين اخريين ايضاً لو تاكّدت بانها تحوز القبول من البلاط الملوكي ومن اهل البلد جميعاً ومن المملكة عموماً . فاجابه الشاعر ولاشك بذلك. على ان الاربع السنين المذكورة تكون حينئذٍ انصرفت على احسن صورة ونتج من ذلك فايدة عظيمة. فاردف الراهب كلامه قائلاً :لو تاكدت ان في بحر اربع سنوات اخر قصيدتك هذه تحوز حسن القبول في بلاد اوروبا بأسرها وتأخذ العلماء في ترجمتها لكل لغة ولسان حتى انها تضحي ملحة من الملح واعجوبةً للسامعين وبهجةً للمطالعين . اما انك كنت ترتضي بابقائها وتأخيرها لنهاية تلك السنوات . فاجابه الشاعر: لاشك ولاشبهة بذلك . على ان مثل هذا خليقٌ بان يُشترى بقيمة اتعاب ثمان سنوات. فجاز الراهب في كلامه قائلاً : لو انك اخّرتها ثمان سنواتٍ اُخر حال كونك متاكداً

بان شهرتها لاتزال مزدادة يوماً فيوماً في اوروبا كلها حتى انها تضحي تحفة تتوارث خلفاً من سلف وتشغل الاذهان مدة دوام العالم. اما انك كنت ترتضي بتأخيرها ثمان سنوات اخر. فاجابه الشاعر قائلاً: لعمري ومن يرتاب بذلك. فقال له الراهب ان عدد السنين يكون وقتئذٍ ست عشرة سنة. فياترى هل انك تبقى في الحيوة لغاية هذه المدة وتؤمل ان تتمتع بهذا الشرف والمجد. فاجابه الشاعر: كلّا. لكن مع هذا لابأس ولا مانع. على ان المجد الذي يدوم مدة حيوة الانسان لاغير ليس بشيء. انما الشرف الحقيقي هو ما كان دائماً باقياً. فهذا خليقٌ به ان يُطلب ويُركض وراءه. فقال الراهب اني اراك مرتضياً ان تفني حياتك بالشغل والاتعاب طمعاً بشرفٍ لا تحوزه الا بعد موتك. اجابه الشاعر: فهو كذلك. انك لصادق القول. فما ذاك الّا سمة النفس العالية والهمة السامية. على ان هذه سمة كل عاقل. فعندها خاطبه الراهب قائلاً: اذا كان ذلك كذلك. فلمَ لاتكتسب مجداً اعظم تلقاه بعد الموت. مجداً لاتتركه بعدك بل انه يلحقك وتصحبه معك. مجداً تتمتع به بعد الموت

مدى الابدية كلها . ولا صعوبة بنواله وتحصيله . على انه عوضًا عن ان تفني الايام بتنقيح قصايدك واحكامها . فعليك بان تصرف حياتك باصلاح سيرتك وتنقيح خصايلك . منعكفًا على خدمته تعالى بحسن العبادة والتقوى . وزد على ذلك ان ما لا يعدك به احدٌ جزآء عن قصايدك مهما أُتقِنت واُستحكمت . فان الايمان والديانة ياكدانه لك عن اصلاح سيرتك وعن خلوص امانتك في خدمة الله تعالى . فعندها صرخ الشاعر هاتفًا : لقد عرفت بان مرادك توصلني الى هذا المقصد . اما نحن فلسنا الآن في هذا الصدد . لعمري انتم معاشر الرهبان لذوي افكار محزنة وتصورات مكدرة . فنحن الان موجودون في هذا العالم . فيلزم من ثمّ ان نتحدّث عن شرف هذه الحيوة ومجدها لاننا لا نرى مجد الحيوة العتيدة ✻

فحينئذٍ اجابه الراهب قائلًا : ليت شعري هل انك ترى مجد هذا العالم بعد ان تبارحه . وحيث انك تضطر ان تفارق الحيوة لكي تدخل حيوة اخرى . أَما انه من التعقل والصواب اكتساب مجد

يصحبك لاحقًا وتتمتع به مدى الابدية كلها. لعمري ان هذا اولى من تحصيلك مجدًا يبقى بعدك لكن لن تتمتع به ابدًا . ناشدتك الله قل لي يا صاح : ما هو المجد وما هو الشرف الذي تناله من نظمك الشعر . بل وما هو مجد العالم بأسره بمقابلة مجدٍ تجنيه بحيوة مقدسة. لعمري ان مجد العالم انما هو تحت الشك والريب . وما من احد يضمنه لك كافلًا . فيما ان مجد الاخرة يؤكده لك كلامه تعالى وتثبته لك الديانة والايمان . وزد على ذلك كله ان مجد العالم انما هو في ذاته قصير حقير دني . فهب على ان اسمك شاع في بلاد اوروبا كلها ولدى المتأخرين عمومًا . ليت شعري كم وكم من الانام حتى وممن هم في نفس الاماكن التي تحوز بها الشهرة والارتفاع يجهلون اسمك واعتبارك . فيما ان مجد الاخرة اعمّ واشهر . على انه في اليوم الاخير ليس سكان اوروبا واسيا وافريقية واميريكا المعاصرون لك الان فقط ولا من يخلق ويعقب على توالي الايام والاجيال الى ان تاتي الساعة وينتهي العالم . بل وايضًا كل نفس حيّة مخلوقة على صورة الله تعالى ومثاله منذ

ابتداء الكون الى نهايته فجميعهم قاطبةً بدون استثناء يعرفونك حينئذٍ ويعتبرونك ويرمقونك بعين التعجب والانذهال. اخيراً ان ما تناله من المجد من نظمك الاشعار فهو قصير المدة لابقاء له ولن يتجاوزنّ نهاية العالم. فبعد ذلك لاذكر للاشعار والقوافي بل ولا لكلما يشغل البشر في هذا العالم. على ان كل مجد عالمي يُفني ويزول ولا يبقى الا المجد الحقيقي الثابت الذي هو من قبل الله تعالى ذي الاحكام العادلة التي تتلقاها بعين القبول كل افهام مخلوقاته جلّ وعلا. ومن ثمّ فيكون ذلك المجد مؤبداً مخلداً. والحالة هذه ناشدتك الله قل لي: هل ان رغبة نوال هذا المجد ووضع الآمال به هي من الاشياء المحزنة المكدرة. هل هي من الامور الفارغة الناشفة العادمة كل لذة. ليت شعري ترى هل يوجد شيء اشهى واعذب. او هل يوجد شيء اكثر سلواناً واوفر تعزيةً واكمل بهجةً وسروراً. اما انها تسبي الاذهان وتسلب الالباب بعظمتها. فما رايك بهذا وما تقول به. فاجابه الشاعر قايلاً: انها لعظة حسنة جميلة لكنها تشكو من الاطالة والاسهاب *

فعندها خاطبه الراهب قايلاً: فلندع هذا جميعه ونرجع

الى ما كنا عليه من القصيدة الغراء . انك على ما اخبرتني تروم اذاعتها واشهارها بعد مرور سنتين . فاجابه الشاعر : اي نعم انني على هذا القصد ان احياني المولى . فقال الراهب غب انك تكون نقحتها واحكمتها واظهرتها للوجود . يا ترى اما يكون لها من قادح وهاج . فاجاب الشاعر : وهل انها تخلو من منتقد حسود . لعمري ان التاليفات السامية والتصانيف الجميلة لا تخلو ابداً من قادح . بل وغالباً تشتعل ضدها نيران الحسد والغيرة وتضحي فريسة التعصُّب والفتن . اما انا فلست اخشى من ذلك على اني استطيع المدافعة والمحاماة عن نفسي . فقال الراهب لو انك ابقيتها اربع سنوات متاكداً بانها بعد ذلك تعلو كل قدح وذم حتى ان حسادك انفسهم واعداك ذاتهم يلتزمون ان يقروا لها بالفضل ويثنوا على ناظمها حسن المديح . اما انك كنت تؤخّر اشهارها هذه السنين الاربع . فاجابه الشاعر معترضاً : ناشدتك الله قل لي . ما مرادك بهذا . والى اين قصدك توصلني بهذه الافتراضات . فقال الراهب الى المجد الحقيقي . اي الى ذاك المجد

الذي في اليوم الاخير ترى اعداءك انفسهم يثنون عليك المديح والثنا بنواله مقرّين لك بحسن الصنيع . بل انهم يتمزقون غيظًا ويأسًا لانهم لم يفعلوا ما فعلته . فحينئذٍ اجابه الشاعر قائلًا : اني اقر معترفًا بان هذا احسن رأي واجمل مقصد . وان المجد الذي نجدّ وراءه سعيًا في هذا العالم فارغين الجهد بتحصيله فانيين ذواتنا لاجله ما هو الا ظل وخيال من شأنه اخداع افكارنا . لكن ما العمل . أما نحن بشر ونعيش مع البشر . ومن ثم فنحن مجانين حمقاء نعيش مع الحمقاء المجانين . فقال الراهب : وما الذي يمنعك في ان تكون عاقلًا مع العقلا وحكيمًا مع الحكماء . كم وكم من الناس الذين لايكترثون بمجد هذا العالم واباطيله بل تراهم يجدّون السير في اكتساب المجد الابدي . اي نعم انك الان تعيش مع البشر لكنّ عن قليل لا انت ولا من تعيش معهم تبقون بالحيوة . بل تصبحون من اهل الاخرة مع من تقدم وسلف وبمعية من تأخر وخلف الى ان يأتي ذلك اليوم الرهيب فتظهر لدى منبر الديان العادل . ناشدتك الله ياصباح . لماذا لا

لانقتفي اثار من امتلاء قلبه وافكاره من هذه الحقايق الصادقة والادلّة الراهنة مجدّاً السعي وراء المجد الحقيقي في العالم الاتي مكتسباً ذاك المجد الدائم الثبات الذي لاينقص ولا يفرغ مدي الابدية كلها *

فاجابه الشاعر: لو كان عمري عشرين سنة لاغير لصرت كارتوسياً. فقال الراهب: لا اقتضاء لرهبانيتك. بل ينبغي ان تكون مسيحياً صادقاً حارّ العبادة حسن التقوى. فاجابه الشاعر: وما الذي يلزم صنيعه. فقال الراهب: يلزمك ان تريح ضميرك وتنقّيه بحسن الندامة والاعتراف وتلازم الصلوة والاعمال الصالحة مثابراً على فعل الخير مداوماً قبول الاسرار الالهية بل وان تنسى العالم وتزيله من ذهنك ولا تفتكر سوى بان تستعد متأهباً لتظهر بمجد وبهاء في يوم الدين الرهيب. فقال الشاعر: وما الذي اصنعه بقصايدي. فاجابه الراهب: ألقها في النار وارفعها من ذهنك. فاكّد له الشاعر قائلاً: انها لو كانت تحت قبضة كفي هنا لحرقتها امامك لا محالة. اما الان فاني منصرف الى محلّي. فحال وصولي اتمم هذا القصد فعلاً. فقال الراهب اما انا فلا ثقة لي بقولك. ارسلها لي

واحضر لهنا في الغد فاننا نلقيها سويةً في النار . فاجابه الشاعر : اتيك بها على جناح السرعة . على انني اشعر الان باكام وجبال ترتفع عن عاتقي وذلك حالما عزمت على تقدمتي ذاتي لله خالقي وتخصيصي له بدون استثنا ولا عدت افتكر سوى بامر خلاصي . فاستودعك الان لله وان شأ الله اشاهدك صباحاً على خير وسلامة *

فاقام الشاعر بوعده وصدق بكلامه . على انه منذ تلك الليلة ارسل القصيدة للاب الراهب راجعاً اليه في الغد فاحرقها بحضرته . وثبت من ثم في مقاصده مثابراً على افعال التقوى والعبادة الحارة . اي نعم ان توبته كانت شاقة قشفة . لكنها لم تدم سوى مدة ستة اشهر . لانه غب ذلك توفي الى رحمة مولاه على رجاء الخلاص الابدي مملواً تعزيةً وسلواناً شاكراً المولى لانه هداه عن ضلاله وارجعه عن غيه مانحاً اياه زماناً للتوبة وللاستغفار . ثم دُفن في دير الرهبان الكارتوزيين وفقاً لطلبه . برّد الله مثواه ونفعنا تعالى ببركات عباده المقربين اليه . امين *

* المثل العشرون *

* في حلم الناسك المضحك *

ان راهبًا ناسكًا حلم حلمًا مزعجاً اقلقه في نومه ويقظته . وبما انه اثر به تأثيراً قوياً ولم يمح من مخيلته توهم بانه لا يخلو من ان يدل على معنى . فاخذ من ثم يبحث في تفسيره . فغب ان اقلق ذهنه ولم يقف له على حقيقة تقنعه ذهب الى رئيس الدير فانطرح لدى قدميه ملتمساً بركته واستأذنه بالمفاوضة معه . فامره الرئيس بالجلوس . واخذ من ثم الراهب يقص عليه حلمه قائلاً : اني قد حلمت في هذا الليل بان الملك استدعاني الى بلاطه . لكن ترى هل اني انسريت ام لم انسر من هذا الاستدعا فاطفكم يعفيني عن تقرير ذلك . لانه يعسر عليّ ايضاحه بين ايدي رياستكم . اما ما بقي في بالي مسطراً في ذهني فهو اني اهتميت جداً بملبوس يليق بامتثالي لدى جلالته الملوكية . فامرت من ثم باحضار ثوب جميل وقلنسوة جديدة وهلمّ جرًّا من الامتعة

النظيفة اللايقة الى ان تأكدت باني على احسن حال من امر الملبوس . فعند وصولي الى القصر ادخلوني الى قاعة كبيرة جميلة المنظر مزدحمة بالذوات الفخام مملوة من الاعيان والاكابر ومن السيدات الشريفات . فلم اجلس قليلاً الاّ وشعرت بان لا قلنسوة على راسي فاندهشت متحيرًا وقلقت مضطربًا . ثم قد تأكدت بأني حافي الرجلين عاري الساقين ولا اعلم كيف حضرت على تلك الحال والهيئة : ولم اتجاسر من ثم لا أن ابقى في ذلك المجلس ولا ان ابارحه منصرفاً . بل الابلغ هو انه عوض الثوب لم ارَ على جسمي سوى امتعة خلقة رثّة لم تحسن ستري . فاستولى عليّ الخجل وكدت اذوب حياءً . ولم اعلم اين اجلس ولا اين اذهب . واخيراً لم اجد عليّ سوى قميص قصير بالكاد يصل لوسطي . بل والاغرب من ذلك كله هو ان ذاك القميص كان ممزقاً مخزوقاً من وراء . لعمري من يمكنه ان يصف عظم خجلي وما استولى عليّ من القلق والاضطراب في وسط تلك الجمعية الحافلة . فما من احد يستطيع ادراك ذلك ولا مقدرة لي على ايضاح عظم كدري

وغمي من قبيل تلك الحال. فلم اجد من ثم طريقةً سوى بان اعرّض نفسي لاعظم فضيحة وعار وهي بان انصرف الى ديري لانحبس في قلايتي. وامرّ على تلك الحال القاعة والقصر وساحة البلاط الملوكي ثم وازقة المدينة وشوارعها وحوش الدير ومماشيه. ومع ان ذلك عظم لديَّ وصعب عليَّ. فمكّنت عزمي على تتميمه بدون توقف ولا ارتياب. وفيما كنت مفتكراً بذلك واذا بمن يقول ان الملك قد قدم. بل دخل القاعة. فعند سماعي الخبر اشتد عليَّ الحيا والخجل فصحت صيحةً ارعدتْ بها المنازل. وهاك بي مستفيقاً من رقادي مستيقظاً في فراشي. ومع كوني منقطع النفَس اصبحت في غاية الفرح والسرور لتأكدي بان كلما قاسيته من الاكدار والانزعاج لم يكن سوى اضغاث احلام. لكني اتوهم يا ايها الاب الرئيس ان مثل هذه الاحلام المنتظمة السياق البينة الظروف لا تخلو من معنى. وقد بحثت في تفسير هذا الحلم فلم اقف له على حقيقة. ومن ثم لشدة ثقتي بذكاء نيرتك اتيت ملتمساً من فضلك الافادة*

فحينئذٍ اجابه الرئيس قائلاً : لم تصب بما تزعمه في ان هذا الحلم يدل على حقيقة وان يكن منتظماً نسقاً وسياقاً مفصلاً بكامل ظروفه فلا معنى له ولا حقيقة . على ان الاحلام ليست سوى تلاعب المخيلة وان لاحت غامضة عسرة الايضاح والبيان . فلا يقتضي اليقين بها ولا التصديق لها . ومع ان حلمك المومأ اليه لايدل على شيء من المعاني فقد يسوغ لنا ان نستخلص منه نتائج ادبية جزيلة الفائدة *

اننا نحن اجمعين مدعوون الى بلاط ملك الملوك وسيد السادات ملتزمين بان نمتثل بحضرته جلّ وعلا . والحالة هذه . عليك ان تنتج من حلمك ثلاث قضايا مهمّة *

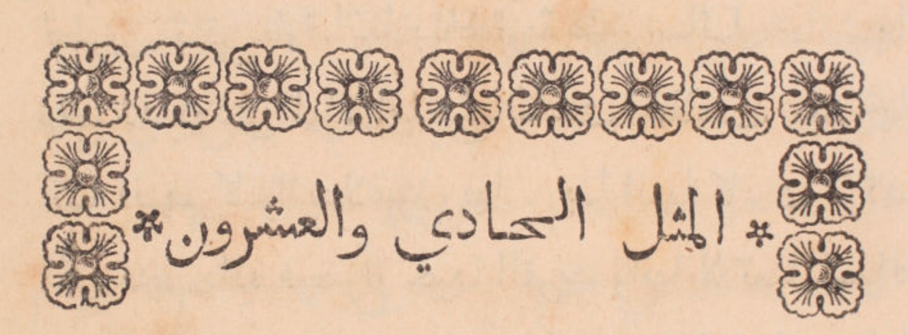
الاولى . الاعتنا بالتأهب والاستعداد لذاك اليوم العظيم . لعمري انك لقد اهتميت جداً بحسن الملبوس لتكون اهلاً للامتثال لدى ملك ارضي . وانت متأكد بانك تمتثل عن قليل بحضرة ملك السما . فكم يلزمك من الجد والاعتنا في ان تنقي نفسك وتطهرها بل وان تزينها بالفضايل وتغنيها بالاعمال الصالحة *

الثانية . الخجل والخزي الذي يستولي على مَن لم يكن متأهبًا لذلك الامتثال . ياما اعظم حيا وخجل النفس المسيحية عند ظهورها في اليوم الاخير بحضرة يسوع المسيح الديان الرهيب امام اهل بلاطه السماوي وملايكته وقديسيه . بل وامام اهل العالم قاطبةً وهي في حال العري التي يُستحى ويُخجل منها . فياما افظع واقبح الظهور والامتثال بحالة القروح والجروحات وان تكون النفس غارقة في بحر الخطايا والاثام . لعمري انها لحالة شقية كريهة تنفر من شناعتها القلوب *

الثالثة . الاتضاع الذي ينبغي انٍ يرافق اعمالنا وتقترن به افعالنا ليكون اساً وطيداً لكل فضايلنا . فقد توهمت انك على احسن ملبوس عند ذهابك الى البلاط الملوكي . لكن عند وجودك فيه تأكدت ذاتك عريانًا . لعمري كم يلزم ان نخاف من ان الصلاح الذي يظهر فينا يضحل متلاشياً لدى اشعة النور الالهي . وان غنانا الظاهر يضحي فقراً محضًا وان شرفنا وفخرنا الخيالي الوهمي يُبدّل بعار وخجل . ومع هذا فلا نيأسنّ من هذا

التصور والافتكار بل نستيقظ على حفظ فضيلة الاتضاع والتمسك بحبالها المتينة ❊

فغب ذلك انصرف الراهب مملوأً تعزيةً وسلواناً . وقد اوضح لنا بسمو اتضاعه وحرارة عبادته التي اظهرها في باقي حياته بانه قد استفاد من هذه النتايج الخلاصية . فلنستفيدنّ نحن ايضاً منها لانها تلاحظنا مختصةً بنا نظير اختصاصها بالراهب المذكور ❊



❊ المثل الحادي والعشرون ❊

❊ في الرسالة العشقية ❊

ان احدى البنات كانت بديعة الجمال تُسمّى وردة وكان لها اخت اكبر منها سناً وهتان الاختان كانتا عايشتين في ارزاق ورثتاها من والديهما . اما وردة فالقت على اختها اثقال ملاحظة الارزاق وادارة البيت وضبط المصاريف ولم تنشغل سوى بحب العالم تائهةً في غرور الدنيا

واباطيلها . صارفةً الاوقات بمسامرات عشقية ومنادمات خلاعية . حاصرةً فخرها ومجدها بكثرة عدد طلّابها وعشاقها المفتونين ببهاء جمالها . سالبةً بعضهم بذكاء عقلها وغيرهم بخلاعة حركاتها لان صفات كذا من شأنها تجعل اهل الهوى ملازمين موضوع غرامهم . وعدا تردد الاصحاب المتصلة . وقبول الزيارات الغير المنقطعة وصرف الاوقات بمجالسة الاحباب فكنت ترى وردة تصرف باقي اوقاتها بالمجاوبة على رسائل تأتيها وقصائد تُهدى لها . اما هي فكانت تتلاعب بعشاقها كما انهم كانوا يتلاعبون بها . بما انها كانت تؤكد لكل منهم بانه موضوع حبها الفريد وانها لا تميل لسواه ولا تقترن بزيجة مع غيره . وكل منهم كان يؤكد لها بقسم شدة حبه لها واضطرام نيران غرامه بها . وان حبه لثابت مكين . وحبل عهوده لوثيق متين . مع انه كان من الحب خالياً . فكانت تقنعهم بكذا اقاويل وتربطهم بهذه الاكاذيب مرضاةً لعجرفتها وكبرياها لكي يبقوا على حدود اعتبارها ثابتين . وعلى اكرام ذاتها مثابرين . واما هم فلم يرغبوا سوى بان يصرفوا الاوقات بمجالستها . ملازمين الانشراحات والملاهي عندها *

لكنّ هذا التصرف والسيرة الخارجة عن حدود الصواب والآداب القت شكوكاً عظيمة وسببت خطايا فظيعة باهظة. فلحظت وردة ذلك واخذ ضميرها يوبخها مونباً. بل كانت تارةً تمل ضجراً من هذه الحال. كاشفةً افكارها لاختها. معلنةً كرهها وبغضها لهذا المسرى الملوم الاثيم . فحينئذٍ كانت تستغنم اختها الفرصة وترشدها الى السيرة الادبية والمبادي المسيحية. بل انها بحسن سلوكها وحرارة عبادتها كانت تقدم لها نموذجاً حياً . فبالحال كان يُخال للذهن بان وردة غيّرت احوالها وبدّلت تصرفاتها . والاغرب من ذلك كانت تتاكد هي نفسها بتغيير اثّر بها. وتقصد من ثم مقاصد سامية عجيبة تايقةً لحيوة جديدة . لكنّ ادنى الوكة عشقية ودادية توجبها المجاوبة عليها كانت تهدم كل مقاصدها وتغيّر كامل نواياها وتلقيها ثانية في بحر الاهوا والغرام فتتوه مفتونةً في الملاهي الباطلة والخلاعات الفارغة *

ففي بعض الايام اعرضت عليها اختها وبعض محبّاتها التوجه الى استماع الوعظ . فقلقت وتكدرت من هذا الاستدعا على انها كانت منشغلة بالمجاوبة

على رسالة عشقية والوكة ودادية . وبما انها كانت عند نهاية الجواب فلم تصدع خاطر مصاحباتها برفض طلبهنّ . بل انها مضت معهنّ الى الكنيسة تاركة نهاية الجواب لرجوعها من استماع الوعظ . فبامر يريده المولى كان الموضوع يومئذٍ على الغني ولعازر . فاخذ الواعظ بغريب بلاغته وعجيب براعته يبيّن عظم عذاب جهنم وشدة نيرانها الموبدة السعير قصاصاً من قساوة قلب ذاك الغني نحو الفقراء وعن انهماكات حياته الشهوانية بالادناس . فكان ذلك جميعه مما يطابق سيرة وردة المذكورة . فامّلت من ثم اختها ومصاحباتها حصول الفائدة لها واجتنائها ثمار العظة بتأثير كلام الله تعالى في قلبها . وحيث كان ذهنها منشغلاً في تلك الرسالة العشقية فذهب الوعظ سدًى . على انه لا جمال العظة ولا براعة الواعظ اثّرا بها . بل بالاحرى انها قد ملّت وضجرت من الطالة الاسهاب . وخرجت من الكنيسة على ما قلّ من التأثير . وبادرت حالاً لنهاية المجاوبة على تلك الالوكة . وفيما كانت تختمها بسرعة وعجلة سقطت نقطة من الشمع المذاب

على يدها . وصرخت صراخاً عظيماً من شدة ما الـمّ بها من الالام . فرمت الكتابة والشمعة معاً في الارض . واذا باختها اسرعت لصراخها فشاهدتها وردة وصاحت قائلة : ليت شعري ترى ما هي نيران جهنم القادحة . اذا كانت فقطة واحدة من شمعة مذابة قد المت بي بآلام كذا حادة لا طاقة لي على احتمالها . اني اودعتك الان يا ايتها الرسالات والكتابات الودادية . وانتم يا ايها الاحباب والعشاق اودعتكم وداعاً لا رجوع له . فانني قد عدلت عن حبكم عدولاً لا مردّ له . اما اختها فلم تستطع على ضبط ذاتها من الضحك . فكانت تضع لها بلسماً على جراحها ووردة لاتزال مثابرة على الوعظ والارشاد قائلة . كلاّ ثم كلاّ . ان الكلام عن جهنم ليس بشيء . فالادراك تصور عذابها المريع ينبغي الاحساس بالنار المؤلمة . ليت شعري ترى ما كان اعظم كره البشر وبغضهم للخطية لو ذاقوا النار المعدة لهم قصاصاً عن خطاياهم *

ففيما كانت وردة في هذا الحديث واذ بالباب قد طُرق واتاها رسول من عند احد ابناء الاشراف بالوكة ودادية ورسالة عشقية . فحالما وقع نظرها عليه

زجرته قائلةً . امضِ يافتى ، وردّ الكتاب الى مولاك واخبره باني باينتُ الاجتماعات . ومنعتُ الزيارات ، وعدلتُ عن قبول الكتابات . وقل له ان لايحضرنّ لديّ . ولا يعودنّ بالمكاتبة اليّ . فعوضاً من ان يأتي الى هنا . فليذهبنّ الى استماع الوعظ مستفيداً منه كما اني قد صمّمت النية على ملازمة ذلك . فردع هذا الكلام عشاقها عن مواصلتها . على انهم حالما علموا بتغيير سيرتها تحولت افكارهم عنها . ومالوا عشقاً لغيرها . اما هي فمضت باقي سني حياتها بسيرة تقوية قد فاقت وتسامت قداسةً على ما سبق منها من الخلاعة . وافادت القريب بمثل طهارة تعالت فووقاً على ما تقدم منها من الشكوك . وتُوفيت الى رحمة مولاها من بعد ذلك باثني عشر سنة بين يدي اختها . مزدانةً بحسن الفضائل . راقدةً على رجاء الخلاص . مملوةً تعزية وسلواناً . الق ـ اللهم حبك في قلوب عبادٍ قد تاهوا في حب دنياهم الغرور . ورد قلوبنا اليك انك وحدك قادر ان تملئها حباً *

* المثل الثاني والعشرين *

* في الحذر والاحتراس *

قد سُئل يوماً ما احد الفلاسفة عمّا هي اعظم الصنايع واشرفها . فاجاب ان اشرف صناعة هي ادارة الشعوب وسياسة الممالك والمدن والعيال هي صناعة حفظ صحة الجسد . وترتيب اميال النفس . بل ويمكننا ان نضيف على ذلك قائلين . هي صناعة الخلاص . صناعة اجتناب الخطا والمحرمات . صناعة النجاة من جهنم . صناعة اكتساب الفضائل ونوال السما . لكننا نرى الناس متيقظين محترسين في امور دنياهم ولا يتغافلون سوى بامر خلاصهم . انه متى صادف السائح في طريقه مكاناً خطراً تراه يمشي بكل انتباه وحذر ملاحظاً كلاًّ من خطواته . انك لو اضطررت ان تجوز حقلاً مفروشاً بالنفل والزهور مع علمك بانه مملو حُفَراً مخيفة وهوتات مخبوة قريب السقوط بها وتستحيل نجاة من وقع فيها . ياترى هل كنت تمشي في ذاك الحقل مطمئن البال بدون خوف ووجل . بدون تيقظ وانتباه . وبدون ان تتفرّس اين

تضع قدميك . واذا كنت سائراً مع اناس ورأيت كثيراً منهم قد سقطوا واختفوا ولم يبن لهم اثر ابداً اما كنت ترتعد خوفاً وتضاعف انتباهك وتيقظك . واذا اتفق بان من سار معك مع علمه بتلك التهالك المخيفة قد اقتحم المخاطر لئلا يحتمل مشقة التحذر والاحتراس . بل لو رأيته يسير بجسارة فظيعة من جهة الى اخرى راقصاً . وينتقل ضاحكاً راتعاً في تلك الحقول . أما كنت تحكم عليه بخلل العقل . أَالعلك كنت تتخذه مثالاً لسيرتك وقدوة لتصرفك . لعمري ان قريبك قد اختفى عن وجه الارض ودخل في الابدية . ان اخاك ملحود في رمسه وقد جرى عليه القضا الرهيب ولا يرجع للوجود ابداً . وانت لا ترتعد خوفاً ولا تحذر المخاطر محترساً منها . انظر الى الابرار كيف انهم يرتاعون خايفين . فكأنك تقول ان كثيراً من الناس يسيرون غير مبالين ولا خايفين . لعمري هل تقتفي اثار هولاء وتتخذهم نموذجاً لاعمالك *

انه متى عُلم وعُرف بان طريقاً تقطعها اللصوص وسفّاكو الدما فلا يمرّ بها احد . واذا احوج الامر لذلك . فمن

العادة ان نتحصّن بالاسلحة ونُصحب برفق واتباع مجددين الحذر والتيقظ عند كل خطوة وعند سماع ادنى حركة . اما انت فاني اراك على خلاف ذلك فانك تلقي نفسك بالاسباب الخطرة بدون لزوم ولا احتياج . بدون خوف ولا رعدة . بدون اسلحة ولا تحفظ . فلا عجب اذا هلكت فيها *

ثم واذا سرى داء وباءي ترى الناس يتحفظون بالادوية الموقية والعلاجات المضادة لتأثيرات ذلك الوباء . ومتى عُلم بوجود الطاعون في بلدة قريبة فتقع المحافظة على حدود الجهات منعاً لدخول كلما من شأنه ان يسبب العدوى . وانت يا صاح . انك لفي وسط هواء مفسود ولا تتحفظن محترساً . ولا تمارس توبةً ولا ندامة . لاصوماً ولا تقشفات . لاصلوةً ولا طلبات . مع انك محاط بالهواء الوباءي . ولا تضع حارساً على باب حواسك بل تؤذن بالدخول لكل قارع . ثم تدخل لدارك كتباً واغاني وصور ونقوش تحوي سماً ناقعاً . فبعد هذا كله ترى كيف انك لا تهلك *

وايضاً انه عند وقوع القحط والغلا تتحفظ الناس من

الجوع وتأخذ بالمونة وتذخير الذخائر . وعند اقتضا الامر فنراهم هاجرين اوطانهم راكضين وراء القوت في اماكن غريبة خشيةً من ان يهلكوا جوعاً *

فذخرنَّ اذاً لنفسك ذخائر غزيرة بكثرة الصلوة وتناول الاسرار المقدسة . واذا لزم الامر انفصلنَّ من هذا العالم واسعَ في طلب القوت السماوي لنفسك . القوت الذي قد تركه العالم ولا يتجاسر على استعماله *

وانه حال حدوث الحريق في احدى محلات المدينة ترتعد الجيران وتأخذ بالتحفظات . اما نيران جهنم تفترس الآن كثيرًا من اقرانك ورفقائك . بل انها تدنو منك وتكاد ان تبتلعك وانت لاتهلع ولاترتاع ولاتحذر واقياً ذاتك *

واذا هجم حيوان ضارٍ على بلد وافترس بعض اهلها . فنرى كلاً يخاف على ذاته صايناً نفسه . ابليس الشيطان هو كاسدٍ ضارٍ يجول ليجد من يبتلعهُ . بل وكم اناس يخطف يومياً ويحدرهم الى الجحيم . ولربما انك تكون في قبضة كفه . ويسحبك الى النيران الجهنمية . وانت مع ذلك صامت لا تصرخ صوتاً ولاتقاوم معارضاً *

انه متى جاز احد نهراً على خشبة او ساقية على حجارة . فانك تراه محققاً النظر في وضع رجليه. فسر اذاً سالكاً بخوف ورعدة في طريق وصايا الله الضيّقة وفي كل ما يلاحظ امر الخلاص مستنداً على تلك الصخرة الصلدة الثابتة الغير المتزعزعة صخرة بيعة الله المقدسة *



* المثل الثالث والعشرون *

* في ملك عدن من بلاد اليمن *

ان مدينة عدن قاعدة مُلك اليمن من بلاد العرب لاتبعد كثيراً من جزيرة في بحر الاحمر تدعى سقطرة يستخرج منها الصبر السقطري . لقد كان بين اهل اليمن واهل تلك الجزيرة تباعد وعدوان هذا حدهما حتى انه لم يكن بين هاتين الفيئتين اتصالية ولا معاطاة اصلاً. مع ان اهالي سقطرة ما هم الاّ فرع من اهل اليمن واقوام رُحّل مهاجرة. وكان اذا اتفق بان رجلاً يمنياً تلقيه الارياح في سقطرة . فكانت تبادر اهل تلك الجزيرة وتقبض عليه وترسله حالاً الى جهة

تُدعى الوعرة. وهي اماكن داخل الجزيرة دُعيت بهذا
الاسم لكثرة صخورها وجبالها العاصية فضلا عن
الوحوش الضارية التي تأويها وكثرة الحيات والافاعي
المالئة اراضيها . واهل تلك الوعرة لا يقتاتون سوى
باثمار فجة مرة ومأواهم كهوف الجبال. ونيران الحرب
والعدوان تشتعل على الدوام بينهم اكثر من توقدها
واشتعالها بين اولئك السكان وتلك الوحوش
والافاعي . غير انه بقدر ما كانت تلك الوعرة مهولة مخوفة
واهاليها بحالة الذل والشقا. فكانت باقي الجزيرة
وطناً وسكناً لطيفاً شهياً واهلها على ارغد عيش واهناه
وعلى جانب عظيم من الغنى وكثرة الاموال عايشين
بكل سلم واتفاق . فلا ترى بينهم اختلافاً ولا نزاعاً .
بل انهم على كامل المسرات وراحة الحيوة .
وسلسلة جبال عاصية يمتنع الدخول بها تفصل
تلك الوعرة من هذه الجهة من الجزيرة المدعوة
السعيدة . وذلك ليس فقط لانها سعيدة بذاتها
بل وايضاً لان اهاليها لا تقبل بينها رجلاً اجنبياً
اذا لم يدخل بلادهم بما وفر من الغنى وكثر
من الاموال *

فكانت في بلاد اليمن عادة غريبة وشريعة عجيبة . وهي ان ارباب ديوان الحكومة كانوا يعزلون سنوياً الملك القديم ويقيمون عوضه ملكاً جديداً . ولا بدّ من ان يكون المنتخب اجنبيّا لكي لا يطلع على شريعة الديوان المجهولة من باقي اهالي المملكة . وكان الملك في ايام ملكه القصير المدة يتصرف كيفما شاء واراد بامر الخزينة وباحوال الجمهور . لكنّه عند نهاية السنة لدى انتظاره وقوع ما لا يرغبه فكان يُعرّى من كل شيء وتُعصب عيناه بعصابة . ويُلقى من ثم في سفينة في مينا يوصّله رأساً الى جزيرة سقطرة . وعندما تتلقاه اهاليها ويرون فيه امارات اهالي اليمن وملابسهم لاسيما اذا كان فقيراً لا يملك شيئاً فيرسلونه حالًا الى تلك الوعرة فيصرف باقي حياته على انكد عيش واشقى حال *

فاتفق انه في احدى السنوات انتخب ارباب الديوان رجلًا اجنبيًا اسمه عبدالله ابن سليمان انساناً حكيمًا اديبًا مجملًا بالصفات الحسنة ذا عقل ثاقب متصفًا بكمال الفطنة وحسن الدراية . فعند جلوسه على تخت الملك اخذ يتامل كيف انه اتصل الى

تلك الحال مترقياً الى اسمى المراتب والدرجات ٠ وتعجب منذهلاً لكونه لم يسمع اصلاً حديثاً من الملك سالفه ٠ ولا عن العائلة الملوكية ٠ ولا كيف ماتت الملوك سلفاوه ٠ بل وهل ان الملك السابق مات حقيقةً ام حلّت به احدى النوائب ٠ واخذ من ثمّ يستعلم مستفهماً عن ذلك ٠ لكنه عوض ان يتجاوب عن سواله على وجه الاستواء فاشغلته ندماؤه وزعماؤه باحاديث يعظمون بها دولته وجبروته ٠ اما الملك فلم يقتنع ولم يرتض اصلاً بكذا احاديث ٠ بل تمكّن الوهم في ذهنه وتأكد ظنّه بان الامر لا يخلو من سر خفي ومكيدة مخبوة ٠ لكنه عند ما قطع الامل بالتوصل الى مرغوبه والوقوف على حيققة الامر وواقعة الاحوال لكي يستنير على اوهامه ٠ فاخذ يجدّ في حسن ادارة ملكه واجرى العدل والانصاف ونجّح الصنايع والتجارة واراح شعوبه بحسن تدابيره ساعياً باصلاحهم وتحسين احوالهم ٠ بل وانه قد خاطر بنفسه في بعض حروب ثارت ضد مملكته ٠ فانه مشى امام جيوشه وعساكره وظفر باعدائه واضداده ٠ وغب ذلك انهى صلحاً وسلماً موافقين لخير كل من الفئة الغالبة

والمغلوبة . فاشتهر من ثم اسمه وذاع صيطه عند الاجانب وازداد اعتباره عند رعاياه . لكن هذا جميعه لم يرض الملك ولم يطمئن افكاره . على انه كان يفضل كلمة واحدة تنير اوهامه وتوقفه على حقيقة ما يشغل ذهنه وذلك على كل مديح وثنا . فحقاً انه متى بحث الملك على الحقيقة فانه لامر محال ان لايجدها . فوفق المولى سبحانه وتعالى بان احد ارباب الديوان لمشاهدته اوصاف الملك عبدالله ابن سليمان المذكور انسبى عقله به وهام به غراماً . فكأنه لحظ قلق افكار الملك وانشغال ذهنه فاختلى مع جلالته برهةً واطلعه من ثم سراً على حال شريعة ذلك الديوان المستغربة . فعندها ركض الملك عبدالله وضمه الى صدره وقبل عينيه مسدياً له الشكر عن معروفه واوصاه بالّا يخبر احداً بما افاده وامنّه عليه من السر *

فانسر الملك من هذا الاكتشاف واخذ يفتكر في كيف يستفيد منه لكي يجتنب المنفى في تلك الوعرة . وفيما انه كان غايصاً في بحر التفكر واذا بسفينة سقطرية القتها الارياح على شاطئ اليمن . فبلغ خبرها للملك واعلمه ارباب الحكومة بان اهل

سقطرة هم اعدا المملكة وانه ينبغي من ثمّ ان يعاملهم معاملة اخصام. اما هو فاجاب قائلاً: ان من اضحى فريسة البلايا والنكبات لايقتضي اعتباره كعدو وخصم بل بالاحرى يلزم اتخاذه بعين الشفقة والرأفة وبذل المساعدة له. فامر حالًا باحضار اولئك الاجانب واحسن معاطاتهم. وكان لفرط حظه وحسن توفيقه اكثر هولاء الغربا من اشراف جزيرة سقطرة وعيانها. فتفاوض معهم سرًا وابان لهم قصله بالذهاب عندهم لكي يستوطن فيما بينهم. واتفق من ثم معهم على طرق يرسل بها اليهم ما هو تحت يده ومطلق تصرفه من الكنوز الثمينة والتحف الفخيمة. وغب ان وقع الاتفاق وترتيب الامور على احد الوجوه اصرف اهالي سقطرة المذكورين واهداهم هدايا جزيلة واصحبهم بتاج ذهبي مرصع بالماس وحجارةٍ كريمة يقدمونه لملكهم. كما وانه ارسل اكليلًا اخر جزيل القيمة والثمن الى الملكة والدة السلطان وغب سفر القوم اخذ الملك. وذلك مع عدم تغافله وتغاضيه بامور مملكته. ان يجمع ما استطاع عليه من الكنوز الثمينة ويرسل في كل سبة الى سقطرة

سفينة موسوقة ما خف حِلاً وثقل ثمناً *

فحان في ذاك الاثنا اوان نهاية ملك عبد الله بن سليمان فحضرت من ثم ارباب الديوان واعلمته بذلك . فاما هو فلم يضطرب ولم يقلق لكونه قد كان ينتظر حدوث هذا الامر . بل انه قد كان رتب اموره واحسن نظامها . فعندها عُرّي من ملكه وهو لم يتفوه بكلمة ولم يُبدِ حركة اظهر بها كدراً او غماً . فجُعلت على عينيه عصابة ثم نُزّل في سفينة حلّت من مينا اليمن وأساً الى سقطرةَ واذا باعيان تلك الجزيرة واشرافها الذين قد كان سابقاً احسن معاطاتهم ينتظرونه في ميناهم . فتلقوه بحسن القبول مرافقينه الى سراية ملكهم وسلموه كل كنوزه وامواله . وحاز على انشراح خاطر الملك وعلى جزيل نعمه واكتسب صداقة عظماء المملكة واعتبار الشعب والرعايا قاطبةً *

ناشدتك الله قل لي ياصاح . لو كنت مكان عبد الله بن سليمان صاحب هذه القصة واطلعت على ما اطلع هو عليه . أَما لكنت تصرفت نظير تصرفه . واذا كان ذلك كذلك لِمَ لا تتصرف الآن نظيره . أَما

تعلم ان بلد اليمن ما هو الّا هذا العالم وان جزيرة سقطرة هي الابدية . وان الوعرة هي الجحيم والارض السعيدة هي الجنة . انت كأنك ملك في هذا العالم فاقلّه انك مولى اعمالك ومسلط على حركات قلبك *

فتاملنّ اذاً كيف انك اتيت الى العالم وتعقلنّ بالغاية التي خُلقت لاجلها . تاملنّ بحال من تقدم وسبقك . بحال من طوتهم الخرساء وولوا مختفين عن وجه الارض . ترى ما هو هذا السر . لعمري انك لا تجهله . فتعمقنّ بالبحث عنه راغباً في ان ترتشد به . . خف وارهب ابديةً تعيسةً . وارغبنّ في ابدية سعيدة . اتخذنّ لك اصدقا في السماء وارسلنّ اليها كنوز الفضائل وحسن الاعمال . واجتهدنّ في اكتساب صداقة الملك وامه املاً في ان تحظى بهم وتحوز انعامهم السامية . ومتى فاجاك الموت وعرّاك من كل الاشياء اقبلنّه بحسن الممنونية والرغبة لانه يملكك ملكاً لا نهاية له *



* المثل الرابع والعشرون *

* في السائح المغفّل *

انه فيما كان احد السوّاح يقطع الفيافي رأى لبوة تزأر وتضج ضجيجاً يرجّف الجبال ويرعد الوديان . وهي تحاضر وراءه لتفترسه . فكأنّ من شدة الخوف والرعدة التي استولت عليه تضاعفت قواه ففرّ هارباً مبتعداً عن تلك اللبوة . غير انه وفيما كان يركض خوفاً من الخطر المحيق به سقط بما هو اشد منه ضرراً واذية . وهو انه قد كانت حفرة عميقة لم ينتبه عليها الا وكاد يسقط فيها . ولما شعر بغور الارض تحته ارتعدت فرايصه ومدّ يديه ملتمساً ما يتعلق به فلحسن حظه صادف غصن شجرة تمسّك به تمسكاً وثيقاً ونجى من السقوط في تلك الهوتة المريعة العديمة القرار . التي لو كان سقط بها لذهب رماداً . ومع هذا لم يزل بحالة مخيفة تردش القوى . لكنه هنّاء نفسه وعزّاها لتتأخّر هلاكه ولو برهةً يسيرة . غير انه لم يدرك

بقية الاخطار المحيطة به. وهي انه حالما التفت متفرساً في اصول تلك الشجرة رأى جرذين ضخمين احدهما ابيض والاخر اسود يقرضان اصل الشجرة بدون فتور حتى انها اوشكت ان تسقط في تلك الهاوية. واذ احدق نظره في العمق فرأى تنيناً مخيفاً تنبعث النار من عينيه فاتحاً فاه متوقعاً سقوط الشجرة ليفترس من هو عليها. واذ التفت ايضاً الى حيث منبت الشجرة فرأى اربع افاعي خارجات من مغارة يثبن عليه ليلدغنه لدغاً مميتاً. فصرخ حينئذٍ رافعاً عينيه نحو السما هاتفاً نحوه تعالى وقائلاً: ياخالق الاكوان وحافظها. ترى لاية اخطار قد اعددتني ولاية تهلكة اكون فريسة. أما من حيلة اخرج بها من ههنا وانجو من هذه الحيوانات الضارية. ففيما كان متفوهاً بهذه الكلمات نظر الى الشجرة فرأى بعض العسل يسيل من اوراقها. فاخذ يلعق قطرات تتساقط منها منذهلاً من حلاوة ذلك المأكل. فتشددت من ثم قواه. لان ذلك كان طعاماً سماوياً ارسلته له يد العناية الالهية ليتقوى به على الخروج من تلك الهاوية لاسيما لان اللبوة قد كانت

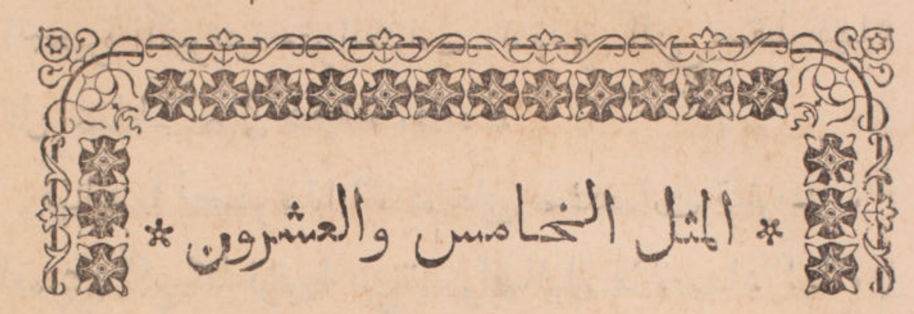
توارت عنه حيث لم يعد يسمع لها زئيراً ولا ضجيجاً. لكنه على خلاف المظنون به . فعوضاً عن ان يفتكر في نجاة نفسه صعد الى تلك الشجرة وتمكن منها ولم يبالِ سوى بجمع العسل وذوق حلاوته المشومة . بل اراد ان يجمع منه مؤونةً وافرةً . معللًا نفسه بآمالٍ فارغة. مفتكراً بطرق يزيد بها غلة تلك الشجرة . ففيما كان منشغلاً بتلك الاوهام الباطلة انقرضت الشجرة وسقطت في تلك الهاوية وسقط الرجل معها. واذ ذاك نشب التنين مخاليبه وفتح فاه وابتلع ذلك السائح المغفَّل *

يا بني البشر الاغبياء . اعلموا متأكدين بان هذه الحال هي حالكم. فارجعُنَّ عن ضلالكم مستدركين عواقبه المشومة طالما تملكون الزمن والفرصة. أتنخدعون دائماً وتكونون الُعوبة لحظة من لذات تنسون بها خيركم الابدي وتتغافلون عنه . اعلم ياصاح . انه منذ دقيقة مولدك يحاضر الموت وراءك كلبوة تزأر وتضج جاداً السير نحوك . فقد سمعت مراراً عديدة صوته وهالك التفكر به . فالارض التي تسوحون بها يا بني ادم . انما هي هوتة تبتلع الاشياء كافةً . وفي

عمقها لجة الجحيم والابدية. ولا يوقّف ويؤخّر سقوطك فيها ايها الانسان سوى حياتك الحاضرة . غير ان هذا الجسد لايزال على ممر الدقايق هدفاً لسهام النكبات وتتهدده العناصر نفسها المولف هو منها . لانها بامتزاجها مع بعضها وتضادها تتحول الى سم ناقع يأول الى هلاك الجسد وملاشاته . لعمري ان حيوة هذا الجسد محدودة ولا حيلة لتطويل مدتها. بل ان هذه المدة تنقص على الدقايق ويقرضها الليل والنهار الى ان تسقط هذه الشجرة السريعة العطب وفي سقوطها تدهورك في لجة الابدية *

ليت شعري أما من طريقة لاجتناب هذه البلية . اي نعم انها توجد طريقة ينبغي ان تنشغل بها من دون انقطاع ولا فتور في مدة هذه الحيوة . ان السيد المسيح له المجد يقدّم لك صليبه المقدس. تمسكّن به. فانك تنجو بلا محالة من كل اعدائك . حذارِ حذارِ من محاسن الدنيا الخداعة. اي نعم ان ذلك هبة سماوية ومع هذا اخشَ لئلا يسكر قلبك من حلاوتها وتجعلك ان تنسى الاخطار المحدقة بك. لا تذق عسلها الا على قدر ما هو ضروري لتقويتك على

افعال التوبة واعمال التقوى وممارسة الصلاح والهرب من الجحيم ونوال الحيوة المؤبدة في النعيم *



* المثل الخامس والعشرون *

* في علائم اتخذها البابا مرتينوس الخامس *

ان البابا مرتينوس الخامس قد اتخذ علائم حفرها على ختمه . وهي نار ملتهبة قاصداً بها ثلثة امور *

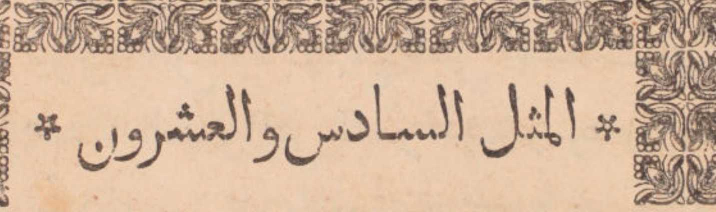
اولاً . نيران الفرح والابتهاج التي اشتعلت في نهار تتويجه . النار التي لقصر مدتها وسرعة زوالها ايقظته منبهةً اياه بان علو مقامه وسمو مجده ثم حياته نفسها لعتيدة ان تنتهي وتزول حالاً *

ثانياً . نار اليوم الاخير التي ينتهي بها العالم بأسره . النار التي عتيدة ان تفني الاكاليل والتيجان والصولجانات الملوكية جاعلةً اياها رماداً وهباء *

ثالثاً . النار الابدية المشتعلة بنفخة غضب الله . النار التي لن تُطفى ابداً . الاتون المضطرمة

التي يحترق فيها على الدوام اولئك الذين ساؤوا التصرف بسلطانهم وبخيرات حياتهم . البحيرة الكبريتية مقر العذاب الابدي التي يسقط فيها كل خاطئ حال دقيقة وفاته *

فياليتنا نحفر هذا الختم على صفحات قلوبنا . لعمري لكم كنا نوقيها من تيه واضاليل لا تعداد لها . لكم من الخطايا والمآثم كنا نجتنبها ولكم من كنوز الاعمال الصالحة كنا نكنزها لانفسنا *



* المثل السادس والعشرون *

* في الفيلسوف الجبري *

ان احد الفلاسفة كان ماهراً جداً في حساب الجبر . فسمع مرةً عظةً عن الابدية فلم تعجبه ولم يرتض، منها ولا من امثال وحسابات اتى بها ذلك الواعظ . فغب ذلك رجع حالاً الى داره ودخل مخدعه واخذ من ثم يتامل ذلك الموضوع ويلقي افكاره وما خطر لذهنه في طرس، كيفما اتفق وجاء

في باله . اما ما رقمه وسطره فكان على هذه الصورة .

اولاً ان المتناهي اي ما نهاية له بالنسبة الى الغير المتناهي اي لما لا نهاية له هو صفر بل هو عدم . فالوف الوف مليونات سنين اذا قُوبلت بالابدية فما هي الا صفر بل عدم وكلا شيء *

ثانياً انه يوجد تناسب بين ما هو صغير متناه وما هو كبير متناه اكثر مما يوجد بين ما هو كبير متناه وبين الغير المتناهي . على انه يوجد تناسب بين ساعة واحدة من الزمان وبين الف مليون سنة اكثر مما يوجد تناسب بين الف مليون سنة وبين الابدية . لان الصغير المتناهي هو جزء الكبير المتناهي . فيما ان الكبير المتناهي ليس هو جزء الغير المتناهي : على ان الساعة الواحدة من الزمان هي جزء الف مليون سنة . بما ان الف مليون سنة ما هي الا تكرار الساعة الواحدة مرات متعددة . اما الف مليون سنة فليست هي جزء الابدية لان الابدية ليست هي تكرار الف مليون سنة مرات متعددة *

ثالثًا ان الصغير المتناهي والكبير المتناهي هما على

حد سوا بازاء الغير المتناهي . فمن ثم ساعة واحدة من الزمان او الوف الوف مليونات سنين منه هي سواء بازاء الابدية . فمدة حيوة انسان واحد او مدة دوام العالم بأسره هي شيء واحد . لان كليهما صفر وعدم ولا شيء . والعدم لايقبل زيادة ولا نقصان . ومن كون هذا جميعه هو من واضح الوضوح فيلزم اذاً التسليم به من دون توقّف ولا ارتياب *

فلنفترض الان بان الله تعالى لا يمنحك الا ربع ساعة من الحيوة لكي تستحق بها السعادة المؤبدة . وانه في الوقت ذاته يوحي لك تعالى بانه في بحر ساعة من الزمان بعد مماتك يزول العالم وينتهي . فعند صحة هذا الافتراض وحقيقته . ناشدتك الله قل لي يا صاح . ما يكون حينئذٍ اعتبارك للعالم ولاحكامه . وترى باي جد وجهد كنت تصرف حباً به تعالى واستعداداً لميتة صالحة كل دقايق حياتك . فيا لجهلك ويا لغباوتك الفظيعة . أما قد رأيت وتاكدت بان ما اتينا به من الافتراض هو عين الحقيقة بازاء الله تعالى وازاء الابدية وان مدة حياتك بازاء الابدية هي اقل من ربع ساعة

من الزمان وان مدة دوام العالم بأسره هي اقل من ساعة واحدة *

واني لافترضن افتراضاً اخر قائلاً : لو اقتضى انك تعيش مدة ماية سنة وانه لايكون لك ما تقتات منه وتعيش به في كل تلك المدة سوى ما تأخذه في ساعة واحدة من خزينة مملوة ذهباً وفضة قد أُذن لك الدخول فيها ساعة واحدة لاغير مع اطلاق الحرية لك بان تأخذ منها كلما استطعت اخذه . ناشدتك الله قل لي يا صاح .كيف كنت تصرف تلك الساعة من الزمان . يا ترى هل كنت تصرفها بالنوم والراحة ام بالتنزه والانشراح . بالمسامرة والمنادمة ام بالملاهي والملذات . لعمري انك لم تكن تفعل شيأً من كل هذه . بل لكنت تجمع الغنى والاموال بل وتحمل الذهب وتنقله تاركاً الفضة جانباً . فيا لجهلنا نحن البشر ويالغباوتنا اننا نبقى وندوم ما دامت الابدية وما عندنا مدة دوامها سوى ثواب وجزاء استحقاقات نجمعها في مدة هذه الحيوة القصيرة . أفما تصرف اذاً الزمان بجمع الاستحقاقات . لكنك تعترضني قائلاً : أما انه يلزم في مدة هذه الحيوة ان ننام ونأكل ونشرب

ونتخذ بعض اوقات للراحة . اني اسلم لك بذلك .
لكن ما الذي يعيقك ويمنعك (كما يقول الاناء
المصطفى) من ان تصنع كل هذا حباً بالله تعالى
واكراماً له . مذخّراً لنفسك الاستحقاقات الثوابية
الناشئة عن مثل هذا الصنيع *

اي نعم ان الشهوات شديدة قوية والاسباب
جذابة خداعة حتى انه يُستغرب وجود رجل بار على
وجه الارض . ومع هذا كله فتوجد ابرار وصديقون
واهل تقوى وصلاح . فهذا هو مفعول الرحمة الالهية
ونعمة ابن الله الفادي . ومن جهة اخرى نرى ان
الموت والدينونة والابدية هي حقايق مخيفة مرعبة
حتى انه يُستغرب وجود خاطىء واحد على وجه
الارض . ومع ذلك فتوجد خطاة واشرار . فهذا
هو مفعول نسيان هذه الحقايق العظيمة وعدم التفكر بها .
فلنأخذ اذاً بالتامل والسهر والتيقظ متوسلين الى الله تعالى
في ان نكون من عدد الابرار في الزمان وفي الابدية *

فهذه هي العظة التي وعظ بها نفسه ذلك
الجبري الفيلسوف وانسر من ثم محظوظاً بها فكان يتلوها
مراراً عديدة في بحر النهار واستفاد منها غاية الفائدة

على انه سار سيرة مقدسة وفقًا لهذه الحقايق العظيمة التي كانت دائماً وابداً مصورةً بازاء عينيه *



* في ليلى ذات الجمال *

ان احد الاعيان الشرفاء قد تقهقر حاله راجعًا الى الوراء ولم يبقَ له سوى ابنةٍ تدعى ليلى ذات الجمال . وذلك لفرط بهائها وجمالها الفريد. على ان ليلى هذه كانت مجموع المحاسن والجمال جسماً وعقلاً واخلاقاً . ولفرط حسنها ولطف ظرافتها كانت تتوارد اليها اهل الغرام . امّا ما كانت عليه من الفقر والفاقة فكان يبعد عنها كل طلابها ولم يتقدم احد للزواج بها سوى ابن رجل من اهل البر والبادية كثير الغنى وافر المال اسمه حنظلة . واما ابنه فكان قد أُطلق عليه اسم اسود زنجي واسم شرير شقي . وهذه الالقاب كانت من وفق ذاته لتبيانها كمال مزاياه الطبيعية والاكتسابية . على ان ذلك الزنجي كان

قصير القامة، ضخم الجثة، ضعيف الساقين معوجهما، مقعسنس الصدر، ضخم الاكتاف، طويل الرأس، اسود اللون، مشوّه الصورة بكل انواع العيوب القبيحة، وكان في خده الايسر أثر جرح بليغ اصابه في مخاصمة جرت له. والجدري شوّهت وجهه وبقي بعين واحدة، لانه فقد عين الشمال. واليمين احاق بها احمرار ممزوج بالزروقة، وتركت الجدري في جبينه قشرة سميكة تأنف العين من النظر اليها. وما كان من اخلاقه فهو على اتم المطابقة والموافقة بصورته الخارجة. على ان ابن حنظلة المذكور كان ثقيلاً متوحشاً غضوباً مماحكاً بخيلاً سفيهاً عاتياً حسوداً غيوراً حلّافاً جدافاً سكيراً مفسود السيرة مذموم الخصال. وبالاجمال كان مجموع مزايا كلٌّ منها كافية في ان يجعل الانسان مبغوضاً مكروهاً وامرأته منكودة الحظ تعيسة شقية. فهذا الشاب كان يطلب ليلى ذات الجمال عروسةً له. فلما فاتحها ابوها بهذا الكلام واطلعها على رغبة ابن حنظلة بها وقعت ليلى على الارض مغشياً عليها. وكادت الا تستفيق من غشيانها. فعندما رأى ابوها تغيّر حالها خاطبها قائلاً: يا ايتها الحبيبة. قرّي عيناً وطيبي

نفساً . انك لن تقترني ابداً بابن حنظلة ما لم تشاءي وترضي به . على اني لا اغصب ارادتك ولا الزمك بالزيجة به . لكني اقول فقط انه يلزم بان تتبصري بامرك وبحال معيشتك . لانك تعلمين بان مصاريفنا متوقفة على راتب معلوم وماهية وجيزة لا تذكر تنتهي بنهاية حيوة والدك . فبعد مماته ترى فما الذي يحل بك . فعندها اجابته ليلى قائلةً : يا ابت . انه لاحب واشهى اليّ ان اهلك جوعاً من ان اسلم ذاتي لهذا المسخ الجهنمي . فلعل الله بوافر سخائه يتحنن مترأفاً عليّ راثياً لحال شقاي . فاهت بهذا الكلام وبحور الدموع تهطل من جفونها القرحى . فعانقها حينئذٍ ابوها وتنحى جانباً خافياً امارات حزنه عليها قائلاً لها: لا تقلقي يا حبيبتي ولا تجزعي . فهذا الكلام لن يُتلى ابداً على سماعك . فان امر زواجك بابن حنظلة قد زال من الاذهان ولا عاد يتاتي لنا ببال ❋

اما الزنجي ابن حنظلة المذكور فكأنه تأكد اقترانه بليلى ذات الجمال . على انه حيثما انوجد كان يتحدث بامر زيجته مفتخراً ببخته وحسن حظه .

فاخذت من ثم أهالي البلد تلهج بهذه الزيجة وانتقلت الاقاويل من عموم الناس الى سماع الاشراف والاعيان الى ان شاعت وذاعت في البلاط الملوكي وبلغت اذان ابن الملك وريث العهد. فكان هذا الشاب مجملاً بكامل الصفات نفساً وجسماً. على انه كان من العقلاء الشهيرين والادباء المعتبرين وكان مقيداً ان يتزوج باحدى بنات اقاربه. فلدى سماعه ما قيل عن ليلى ذات الجمال رغب في ان يراها بل وانه وضع رغبته بالعمل وتوجه اليها فشاهدها . وعندما وقع نظره عليها انجذب من محاسنها و بهاء جمالها ومال اليها حباً وغراماً . فلم يُخفَ امره عن اهل بلاطه فتأكدوا ميله نحو ليلى وافتتانه بها. وبما ان الثلب والنميمة جعلا مركزهما في سرايات الملوك حيث الالسن الشريرة توتر القسي وترشق نبلها المسنونة. فتقدم رجل لدى ابن الملك وقال له : لعمري انه عار على ليلى مع كونها ذات محاسن باهرة ان يوجد فيها ما يسمع عنها من العيوب . فسأله ابن الملك قائلاً: وما هي العيوب التي تريد القائها في شخص ليلى . فاجاب الرجل قائلاً : يامولاي يقولون عنها انها

هديمة الرصانة والركز طايشة العقل تتقلب مع الارياح وانها على ممر الاوقات تجول من دار الى اخرى ولا تستطيع المكث في دارها الا قليلاً. ومن كون عين الحب عمياء اخذ ابن الملك يعتذر عن ليلى قائلاً: ان هذا ليس بمستغرب لكونها لا تملك ما يشغلها ويتطلب وجودها في دارها حيث لا ترى سوى اثار الفاقة والفقر. فلذلك تذهب من بيتها الى بيت جاراتها لتتعزى من احزانها وتنسى سوء حالها رافعةً افكار الفاقة من ذهنها. فلو كانت على خلاف ما هي عليه من سوء الاحوال لكان سلوكها على خلاف المسموع عنها وخلاف ما تثلبها الثالبون. قال هذا واخذ يتفكر متاملاً بما قيل له. ولما رجع اليها تأكد عند وصوله بانها خارج الدار. وبينما ذهبت الناس في طلبها اخذ ابن الملك يحدّث والدها مصرحاً ارادته بان يتزوجها اذا ما ارتضت بما يشرطه عليها امتحاناً لحبها. ففي هذه الاثنا حضرت ليلى. فالتفت ابن الملك نحوها وخاطبها قائلاً: يا ليلى. اني قد طلبتك عروساً لي وافهمت والدك باني اريد امتحن حبك. فاجابته ليلى ودموع الفرح

تتساقط من اعينها قائلة : يا مولاي ان اصعب الامتحانات واشق التجارب عذبة شهية لدى جاريتك . فضرب السيوف وطعن الرماح ورشق السهام وما يتأتى عنها من الاضرار ليس بشيء لدى جاريتك . على انني لا ابالي بمقاساة ما هو اعظم من ذلك كله اذا ما كانت به مرضاة سيدي الملك وانشراح خواطره نحو من تعتنق كل ذلك اظهارًا للممنونية وحبًا بذاته الملوكية . فاجابها ابن الملك قايلاً : يا ليلى . اننا لا نذكر سيوفاً ولا رماحاً لكني قد اتيتك مرتين وانت خارج الدار . فاقتضى من ثم ان نطلبك مفتشين عليك . وها اني الآن امتحن حبك على هذه الصورة . وهو انه متى جئتك ثالثةً يقتضي ان تكوني في الدار . فان وجدتك تخذتك عروساً لي في ذلك اليوم نفسه واصحبتك الى بلاطي الملوكي بموجب اتفاقي مع سيدي الملك . واذا اتفق الخلاف وهو الّا اراك في الدار فاعدل حينئذٍ عنك ولن افتكر بك ابدًا واتزوج من ثمّ بغيرك . فعندها صاح ابوها قايلاً : وانا ازوجها حينئذٍ

بالزنجي ابن حنظلة . فقالت ليلى في نفسها . ان كان ذلك كذلك فقد تمّ حظي وكمل بختي . فلو لزم الامر بان اصرف حياتي كلها ضمن الدار لارتضيت بذلك وما خرجت منها ابداً . فتوجه ابن الملك راجعاً الى بلاطه وليلى بغاية الفرح والسرور *

فمن المعلوم هو ان ليلى لبثت صباح ذلك النهار في دارها ولم تخرج منها حتى ولا في اليوم الثالث ولا الرابع . اما في الخامس فخرجت لحظةً ثم رجعت حالاً . وفي السادس صرفت نصف ساعة خارجاً ثم بادرت مسرعةً الى الدار . وفي السابع لبثت نحو ساعة لا غير ثم رجعت حالاً . فلما كان اليوم الثامن رأها الدها خارجةً من الدار فقال لها : ايتها الحبيبة . اني اراكِ تكثرين الخروج من الدار كأنكِ قد نسيتِ ما قاله لكِ ابن الملك وتغافلتِ عمّا اوعدتهِ بهِ غير مفتكرة بان كامل توفيقكِ وتمام حظكِ متوقف على هذا الامر . فاجابته ليلى قايلةً : يا ابتاه ان ابن الملك لا يأتي اليوم واذا جاء فتراه الناس عن بعد . فقد اوصيت من ثم صحباتي بانه اذا ما رأينَ موكبه الملوكي يذهبنَ اليّ ويعلمنني بمجيئهِ . والحالة هذه فلا سبيل للخوف

والاختشا . فقال لها ابوها: ليس المخاطر بمحمود ولو سلم على اني ارى ان الاوفق والايمن هو ان لاتعتمدي على الغير لاسيما في امرٍ ذي اهمية . فعدم المخاطرة افضل واولى . اما ليلى فلم تعبأ بقول والدها بل تركته وذهبت في حال سبيلها *

فعند خروجها من باب الدار رأت النساء من اعلاها موكب ابن الملك اتيًا وحيث كنّ منذ لحظة رأين ليلى في الدارٍ توهمنَ بانها لم تزل باقية داخلها وانها لم تخرج خارجا . ومن ثم لم يعلمنها بقدوم ابن الملك . فعند اقتراب موكبه من الدار استدعى الحاضرون ليلى فلم يجدوها . فذهبوا مفتشين وراءها في مخدعها وفي البستان فلم يقفوا لها على أثر . فارتاعوا وقلقت افكارهم ولمّا تأكدوا بانها خرجت خارجاً بادروا الى جارةٍ قريبة منها فلم يجدوها . وفيما كان التفتيش على ليلى في كل جهة ومكان واذا بابن الملك دخل الدار فلم يجد ليلى . فنكص حالاً بمركبته الملوكية . ففي هذه الاثنا علمت ليلى بوصوله فبادرت مسرعة الرجوع . فحال دخولها الدار رأت موكب ابن الملك مرتدًا الى الوراء *

فيا لتعاستها ويا لخيبة آمالها . فاخذت تلك الشقية تندب حالها وتلطم رأسها وتخدش وجهها وتقلع شعرها وكل صاحباتها ينحن باكيات لبكائها . واما ابوها فتمزقت احشاه اسفاً وغماً وصاح بها قائلاً : أما اني قد انذرتك بكل ذلك . يا شقية . أهل يخاطر بامر مثل هذا جزيل الاهمية . لاشك انك سبب موتي وهلاكي . فاعلمي وتاكدي بانك منذ اليوم تتزوجين بطالبك الاول بلا محالة . فاجابت ليلى اني لاتزوجنّ به لكوني مستحقة ذلك . فمهما عذبني واهانني فما ذاك الا بعض ما استحقيته . ناشدتك الله اسرعنّ اليّ به . فاني اتزوجه في الحال لانه كفوٌ بي وانا كفوٌ به . ففي الحال أحضر ابن حنظلة والشهود . فعُقدت الزيجة واخذ ذاك الزنجي ليلى الجميلة عروساً له وذهب بها الى مقرّه *

فيا لشقاوتها ويا لتعاستها . فحقاً انها بحالة يُرثى لها . فسحّي ايتها العيون بالدموع الذرّف . ويا صاحبات ليلى نحن باكيات على شقا ليلى . فبارح ابوها الدنيا بعد ايام قلايل . امّا هي فاعطاها الله عمرا طويلاً لكي تبكي على ما فرط منها من الجنون . فرثي لها

الحاسد والشامت ولم تكتفِ بملام الناس لها . بل انها كانت تلوم ذاتها على قبيح فعلها . واذا ما استولت عليها الاكدار والاحزان فكانت تصيح من عمق فوادها صارخةً بهذه الكلمات . اني لقد استحقيت ذلك . اي نعم انني لقد استحقيته . فما سوء حظي الّا من يدي . وهذا لعمري كان لها اكبر عذاب واشد عقاب *

ففي غد يوم تكليلها ظهر على وجهها اثار الضرب واللطم الذي الحقه بها عريسها الجديد . اما هو فتعلل عن قساوته نحوها بانها لم تظهر امارات الفرح والسرور باقترانها به . امّا ليلى ذات الجمال فكانت تذبل كزهر البساتين فانسقمت وتغيّرت احوالها وتبدّلت صورتها فصارت منكرةً ولم تبرح من ان تلعن حظها . وكانت على ممر الدقايق والساعات تشتهي الموت وتتمناه . امّا الموت فلم يستجب طلبتها ولم يوافق رغبتها . ومما يفتّت الاكباد ويمزّقها حزناً هو ان ليلى ذات الجمال ضاهت حالاً عريسها . على انها اضحت شنيعةً قبيحةً ردئةً شريرةً مبغوضةً مكروهةً نظيره . فلم يكن كلاهما الا شيطانَين ومسكنهما جهنم ذات السعير *

فيا ايتها النفس المسيحية المفتداة بثمن دم يسوع

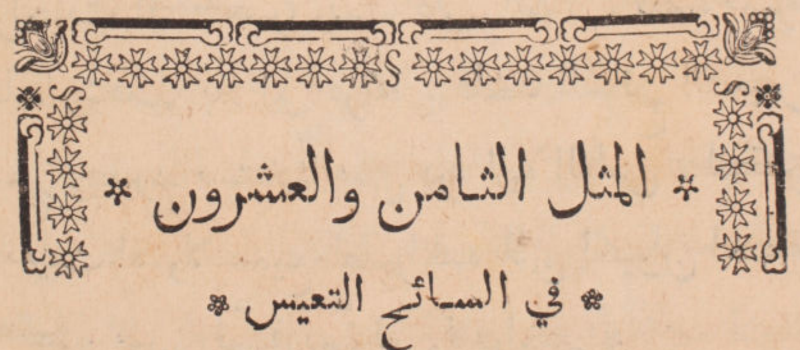
الكريم المطهّرة بمياه المعمودية المقدسة. انتِ هي المقصودة بليلى ذات الجمال انكِ تعلمين ان الشيطان ذاك المسخ الجهنمي القبيح يطلبك مفتشاً عليكِ حتى اذا ما وقعتِ بين يديه تكوني تحت رق عبوديته. زاعماً ان كلاكما قد أُعددتما لغاية واحدة . لعمري ان هذا الفكر من شأنه ان يرهد فرايصك ويروع قواكِ . غير ان هذا ليس بكافٍ . لانه لا يجدي نفعاً. بل بادري الى اعتناق الطرق الفعّالة لمنع حدوث هذا الامر المريع . انكِ تعلمين حسناً بان ابن الله ملك السماوات والارض يطلبكِ عروسةً له قاصداً ان يصحبكِ يوماً ما الى السما حيث تتكللين بالبهاء والمجد وتذوقين لذات حبهِ الالهي مدى الابدية. فلا شك انكِ تتوقين الى هذا بكل رغبة واشتها بل انك منذ الآن ترومين الحصول عليه . لكن هذا وحده ليس بكافٍ، بل ينبغي ان تكوني اهلاً لهذا العريس الالهي موضحةً له حبكِ بحفظكِ شرايعه المقدسة وبخضوعكِ التام لما يفرضه عليكِ من الامتحان . فان ما يمتحنكِ بهِ ليس بصعب ولا شاق. غير انه امر مهم جداً. حيث انه حال حضورهِ للاقتران بكِ

ليصحبك اليه عند دقيقة وفاتك ومبارحتك هذه الحيوة ينبغي ان يجدك داخل الدار . اي في حال نعمته المقدسة . فاسعي اذاً الى اكتساب هذه النعمة ولا تخرجي منها ابداً . بل اجتهدي في تحصيل ما من شانه ان يثبتك بها موطداً وتجنبي كلما من شانه ان يخرجك منها باعداً . مزعزعاً حسن مقاصدك . محركاً اياك للخروج عن هذه الحالة المقدسة ولو دقيقة واحدة . على انه لا يكفي الشروع بذلك والمثابرة عليه مدة ما من الزمان . بل يلزم الثبات الى الاخير . اي الى حين مجيء هذا العريس الالهي *

حذارِ حذارِ من ان تعتمدي على ما يمكنك فعله حين الممات . فمن عادة الموت المجيء فجاءةً . واذا اعلنت المنية احياناً حضورها بالامراض والاسقام . فاننا نرى مَن تأتي اليه على هذه الصورة غير مفتكرٍ ولا مبالٍ بها . كأنه لايدركها ولا يلاحظها . ونرى الذين فوضهم امر ايقاظه قد يغشون وينخدعون ويتهاونون متغافلين عن نصحه . بل وقد يتفق غالباً بان تنبيههم يكون متأخراً ولا فائدة له .

لعمري ان عدد الذين يموتون يومياً من دون اعتراف وبغير قبول للاسرار الخلاصية من شأنه ان يملىء القلوب خوفاً وجزعاً *

فانتِ ايتها النفس الشريفة عروس يسوع الامينة التي منذ ازمنة مديدة تسكنين داره المقدسة . اي توجدين في حال نعمته الالهية مرتبطةً بهِ تعالى بوقار واحترام متصل . ناشدتك الله . لاتنسي ما اعدَّه وقسمه لكِ عريسكِ السماوي من السعادة وكمال الحظ . حلّي ذاتكِ بهذه الآمال الصادقة . وتوقي الى اوان تكميلها . اجتهدي من دون ملل ولا فتور في ان تكوني اهلاً بذاك اليوم العظيم يوم الفرح والابتهاج *



* المثل الثامن والعشرون *

* في السائح التعيس *

ان احد الشبان فيما كان قاطعاً احدى الفيافي صادف مسخاً مخيفاً شنيع الصورة قبيح المنظر بهيئة سبع وعلى رأسه سبع رؤس افاعي . فحالما رأى الحيوان

ذلك الشاب خرج من عرينه . هاجماً عليه وعيناه تتقدان ناراً وقرونه السبع ترتفع منتصبةً . والسنته السبع كأنها سهام ترشق . والجو يدوي من زئيره وضجيجه . امّا الشاب فكان ذا شجاعة غريبة وجرأة عجيبة فلم يرعه ذلك المنظر المهول ولا أثّرت به المخاوف . بل انه سحب فاساً كان معه وهجم على ذلك الحيوان الضاري فقطع منه اربع رؤس بضربة واحدة . وفي الثانية قطع رأسين اخرين وكاد ان يقطع الرأس السابع ويحوز الغلبة ظافراً واذا لنكد حظه وشدة تعسه طار الفاس من يده ولم يملك فرصةً لاخذه . لان ذلك الحيوان الضاري لعظم ما المّ به من الجراحات المنفجرة وثب على الشاب فعضه ممزقاً لجمانه وذهب به الى عرينه . فاخذ السائح التعيس يصيح ويصرخ مستغيثاً بمن يرد اليه الفاس . لكن لا مغيث له ولا سميع لصراخه لان الحيوان اختطفه فاضحى من ثمّ فريسةً له ولافراخه *

تأملنّ يا صاح هذا المثل ممعناً النظر في معانيه . فاولاً . ان ذلك المسخ هو الشيطان خزاه الله تعالى ورؤسه السبع هي سبع رؤس الخطايا التي

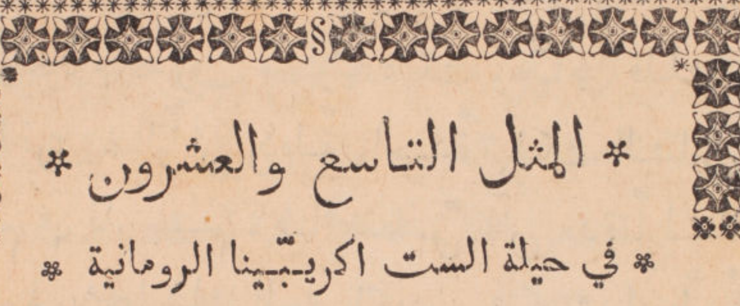
تقتضي محاربتها بكل شجاعة وجرأة وذلك باسلحة الايمان المقدس *

ثانياً. اعلم انه لا يكفيك قطع روس ستة لهذا المسخ الجهنمي فان تركت له ولو راساً واحداً فانك هالك لا محالة. لعمري ترى ما يفيدك وينفعك لو كنت ناجياً من كل الشهوات المفسودة اذا كان ميلٌ واحدٌ منحرفٌ مستولياً عليك وحيًّا في قلبك. فاننا نرى غالباً ان رذيلةً واحدةً تهلك الناس وتزجّهم في نار جهنم. فافحصنّ الآن مدققاً لئلا تكون في محاربتك المسخ الجهنمي تركت له راساً واحداً كافياً لافتراسك. واعلم بان الغلبة هي باطلة ان لم تكن تامة *

ثالثاً ينبغي الثبات حتى النهاية والمحاربة حتى الموت. حذارِ حذارِ من ان تمل ضاجراً فان اللعين خزاه الله تعالى يستغنم فرصة تهاونك وتغافلك فيثخنك بالجراحات المميتة. واذا اتفق مماتك وانت على تلك الحال فيجذبك الى النيران الجهنمية. فتضحى من ثم فريسةً له وأُلعوبةً لجماهير الابالسة وأُضحوكةً لسكان الجحيم فتنوح حينئذٍ نادباً. وتنتحب باكياً. وتستغيث طالباً

زماناً اضعته، ونعماً قد دستها ، ووسايط تغافلت عنها ، وكل ذلك لا يجديك نفعاً حيث لا مغيث لك ، ولا سميع لسوالك . ولا مردّ لما فاتك *

فبادرنّ الآن الى استغنام اوقات الخلاص باكتساب النعم الالهية واحذرنّ من فوات فرصه الثمينة *



* المثل التاسع والعشرون *

* في حيلة الست اكريبّينا الرومانية *

ان اكريبّينا الشريفة الرومانية لما رأت ابنها ينفق المال بدون تورعٍ ولا انتباه . صارفاً اياه بامور لا طائل تحتها . باسطاً يده للعطا . مغمّراً بالهبات الجزيلة والمنح الوافرة من طلب نداه والتمس عطاه . ارادت ان تصلح فيه هذا الاسراف وتردعه عن البدرقة والبدخ الذي من شانه ان يأول الى خراب البيوت . فاحتالت من ثم بهذه الحيلة وهو : انه في احد الايام قد كان صرف ابنها نحو نصف مليون من الدراهم . فلمّا علمت بذلك أمرت بان يوضع على طارلة كانت في قاعتها

دراهماً توازي ما انفقه ولدها سدىً . ولما كان المساء
دخل الولد على مألوف عادته ليحيّي امّه بالسلام . فوقع
نظره على ذلك المبلغ الوافر من المال . فسأل ما هذه
الدراهم . فاجابته والدته قائلةً : ان هذا ما قد
اضعته اليوم يا ولدي . قالت هذا وخرجت من القاعة
تاركةً اياه يغوص في بحر التاملات . فعندها استفاق
الشاب عن جهله راجعاً عن غيه . فغيّر من ثمّ تصرفه
واصلح ما مضى من امره *

ترى لو امكن ان يوضع امام اعيننا ما نخسره
يومياً بتهاوننا . وما نضيعه من النعم بتغافلنا
وما نفقده من الاستحقاق والثواب
الابدي بتقاعدنا عن ربحه واكتسابه . فحقاً لحارت
عقولنا وانذهلت البابنا . ولربما اتت بنا الدهشة والحيرة
في ان نكف مرتدعين عن اسراف هذه الخيرات الجزيلة
وان نصرف الزمان حسناً . فعلى ذلك يتوقف
اكتساب الخيرات الابدية . ليت شعري كم وكم من
الاعمال تذهب يومياً سدىً . وذلك لعدم توجه القصد
واستقامة النية . ترى كم من فرصٍ تفوتنا هذا ونحن
نستطيع ان نمارس بها فضيلة الاتضاع والوداعة والصبر

والمحبة والامانة . يا ليتنا ندرك ما نخسره ونضيعه يومياً مع ان ربحه واكتسابه لا يكلفان علينا الا قليلاً . اي نعم اننا سندرك ذلك يوماً نستفيق به على جهلنا . وذلك متى اضحت الخسارة عديمة التعويض والاصلاح . لعمري ترى لماذا نتقاعد عن العمل مستنظرين تلك الدقيقة الاخيرة ولا نشرع من الان بتعويض ما يمكننا تعويضه واصلاح ما يمكننا اصلاحه منذ الآن والساعة *



* المثل الثلثون *

* في الزعماء المغضوب عليهم *

قد توجد في هذه الحيوة امور واشياء من شأنها تؤثر تأثيراً عجيباً في العقول والالباب حتى انه قد لا يمكن ادراك المفاعيل المتأتية عنها اذا ما كان الانسان في حالة مَن الّمت بهم مثل هذه المصائب واثّرت بهم مثل هذه المفاعيل *

خبرونا عن فيليبوس الثاني ملك اصبانيا انه اذ كان يحضر يوماً الذبيحة الالهية لاحت منه التفاتة فرأى

رجلين من جلسائه وزعمائه يصرفان آوان القداس في الكلام والاحاديث . فعند خروجه من الكنيسة التفت اليهما قائلاً لهما : أهكذا تحصران الذبيحة الالهية . اني امنعتكما من ان تدخلا بلاطي . فكأن هذا الكلام صاعقة انقضت عليهما حتى ان احدهما مات خوفاً ورعباً والاخر فقد عقله واضحى مجنوناً . ليت شعري ترى ما الذي يحلّ بمن يسمع من فم الملك الابدي هذه الكلمات المرعدة الفرايص والمريعة القوي وهي : ابعدوا عني يا ملاعين الى النار المويدة *

* المثل الحادي والثلثون *

* في حب تيغرانوس ملك الارمن الى زوجته *
* الملكة بيرينيسا *

انه لمّا ظفر قوروش ملك الفرس على تيغرانوس ملك الارمن استاقه اسيراً مع بيرينيسا زوجته. فلما شاهد قوروش تلك الملكة اندهش من حسنها وجمالها . لكنه لما عرف بعظم محبة تيغرانوس لها التفت نحوه قائلاً له :

يا ايها الملك ماذا تُعطي فديةً عن بيرينيسا زوجتك .
فاجابه تيغرانوس . يامولاي . اني اعطي ملكي . ودمي وحياتي . فاجاب قوروش قائلاً : لعمري ان هذا حب صادق خالص . فاني امتدح من فرط سخائك وعظم شهامتك *

وكان لما تحسَّنت احوال الملك تيغرانوس ورجع الى مملكته اخذ في ذات يوم يتسامر مع الملكة زوجته . فسألها كيف رأت مملكة العجم وعظمة قوروش ملكهم . وبهاء بلاطه الملوكي . وكثرة وزرائه . فاجابته بيرينيسا قائلةً له : المعذرة والعفو يامولاي . اني لم ارَ شيئاً من كلما ذكرته لي . لان عيني لم تنظر ولم تلفتت الاَّ لمن قدَّم حياته فديةً عني *

فحينئذٍ تهلل الملك فرحاً وذهب مصافحاً بيرينيسا قائلاً لها : يا ايتها العزيزة . ترى من يدرك كمال اهليتك لمحبتي . فيا لسعادتي وسمو حظي في حبي لك . وبحصولي على مُلكٍ اتقاسمه معك *

اني عندما اتامَّل هذه القصة على ما هي عليه فتتحرك بي الحنية والانذهال . لكنني اذا ما قابلتها مع الملك السماوي والنفس الامينة نحوه تعالى . فحينئذٍ

يندهش عقلي وينسبي قلبي واخرج عن دايرة الحواس لعظم فرحي. على ان هذه المقابلة من شأنها ان ترفعني وتخفضني تخجلني وتشجعني. فاشدتك الله يا صاح قابلها لنفسك واخصّها لذاتك متّبعًا هذه الاعتبارات الاربع الآتية *

اولاً . ان اول كلمة تفوه بها تيغرانوس هو وفور حبه وسخاه. فالسيد المسيح له المجد لم يقدّم ذاته فقط للموت. بل انه قد مات حقيقةً فداءً عنّا . وذلك لا لكي ينجينا ويخلصنا من اسرٍ زمني وعبودية وقتية بل من اسر ابدي وعبودية سرمدية. من موت ابدي وعذابات مخلّدة. قد مات حقيقةً ليس فقط لكي يخلصنا بل ولكي يكتسب لنا ايضاً حيوةً موبدةً وملكًا سرمديًا. فقد مات لا عن عروس محبوبة اهلٍ بحبه. بل عن عروس قد اغاظته واهانته. عن عروس عديمة المعروفٍ والوفآ نحوه وذلك حتى انه من حال كونها حقيرةً دنية يجعلها اهلاً بحبه. ومن حال كونها مبغوضةً مكروهةً يجعلها محبوبةً مودودةً . فيا لعظم محبته الالهية . ان الملك تيغرانوس لم يتكلّف شيأً لمّا تفوه بذلك الكلام الذي عدا تبيانه حقيقة حب ذلك الملك للملكة زوجته فانه قد

رفع قدره لدى الملك قوروش وعظّم شأنه عند اهل بلاطه الملوكي . لكن ترى كم قد تكلّف على عريسنا السماوي اظهار حبه واعلان مودته لنا نحن البشر . فانه تعالى لم يجد في اظهار حبه لنا سوى عذابات فادحة وعار يُستحى منه ❊

ثانيًا . تاملنّ التأثير الذي اورثته في قلب الملكة بيرينيسا كلمة الملك عريسها . على ان تلك الكلمة اثّرت في احشاء الملكة واضرمت في فؤادها نيران الحب لكونها شعرت بكل سمو مقدار ذلك الحب السخي . وبكامل الاعتبار وسمو الشأن الذي حازته من اظهار حب الملك واعلان مودته لها على روس الملا . لعمري فكم يقتضي ان توقد بك نيران الحب المضطرم مشاهدة صليب يسوع حبيبك . يا له من حب عجيب ومن حنو غريب . فيا لعظم حظك ويا لسمو شرفك ❊

ثالثاً . تاملنّ عظم ممنونية الملكة بيرينيسا وكمال معرفتها الجميل . على ان كلام الملك عريسها اثّر بها تأثيراً شديداً حتى انها في مدة اقامتها في بلاط ملك العجم بقي ذلك الكلام مطبوعاً في ذهنها مستقرًا في عقلها . وكانت تنشغل به على الدوام حتى

انه لم يخطر لذهنها فكرٌ اخر ولم تمس فوأدها عاطفة اخرى ولا أثَّر موضوعٌ اخر بحواسها . بل وانها لم ترد ان تنظر او تسمع شيئاً البتة لئلا تنشغل عن حب فيه تمام سعادتها وكمال شرفها . فيا لشقاوتي ويا لخجلي . انَّ تصرف هذه الملكة ومعرفتها الجميل اوعباني حياءً وخجلاً . فسقياً للانفس التي وضعت بينها وبين العالم حجاباً منيعاً لئلا تنشغل في اوان خلوتها سوى بحب مخلصها وبحب صليبه الالهي *

رابعاً . تاملنّ سموحظ بيرينيسا وكمال سعادتها في الجواب الذي ابدته للملك عريسها . ترى ما اشهى وما الذ واعذب لقلبها وما اشرف واجمل لديها تلفظها بتلك الكلمة الصادقة . فيا لسموحظ النفس الامينة التي عند خروجها من هذا العالم تستطيع ان تجيب الملك السماوي قائلةً له : يامولاي اني لم انظر لشيء في العالم الذي خرجت منه . لان عينيَّ لم تختصا سوى بمن أعطى حياته فداء عنّي . فاني لم احب سواه ولم افتكر ولم اهذّ الاّ به . ولم اتحرك حركةً واحدةً الاّ اكراماً له وحباً به . ليت شعري ترى باي

حب يكافي ذلك الملك السماوي في ملكوت حبه الابدي نفساً قد احسنت الخدمة نحوه وتسامت بصدق الامانة في محبته *



* المثل الثاني والثلاثون *

* في تأويل وتخصيص ما قاله *

* اناكريون الشاعر اليوناني *

ان من جملة الرهبان الذين رضعوا لبان التقوى من ارشادات الانبا اوجينيوس وتعاليمه الروحية كان راهب يُدعى سعيداً قد امتاز بقريحته الجوّادة وعلومه العالية. فقد كان هذا الراهب الشاب قبل دخوله الرهبنة طالع في ايام صبوته شعراء الجاهلية . وكانت من ثم تخطر لذهنه بعض معانيها فتقلق افكاره وتشغل باله وتعدمه لذة خلوته وعذوبة وحدته . ولمّا لم يستطع مرشده الروحي ان يرفع من ذهنه مثل هذه الافكار العالية ارسله الى الانبا اوجينيوس المذكور حتى يطرده

من الرهبنة على انه عديم الاصطلاح . فالانبا اوجينيوس المملوحكمةً ودرايةً لمّا رأى سعيداً اتيًا اليه نائحاً والدموع السخينة تذرف من عينيه تشفق عليه راثياً لحاله . فأخذ يعزّيه ويشجّعه قائلاً له : انه عند عدم استطاعته على القاء معاني الشعراء من ذهنه فليأولها تأوئلاً خلاصياً ويخصها بموضوعٍ ما روحي . وانها على هذه الصورة تضحى افكاراً مقدسة خلاصية من حال كونها افكاراً مقلقة مشوشة . فاتبع الراهب هذا الرأي الحميد واجتنى منه جزيل الفايدة وذلك على مدة مديدة . غير انه لما لم يستطع في احد الايام ان يأوّل الى معنى روحي اشعاراً خطرت لذهنه ذهب الى ذاك الانبا الجليل وقال له يا ابتِ : اني لفي قلق عظيم وعلى وجل جسيم فاقد التعزية والسلوان . على انه منذ يومين امتلأت اذهاني من بعض اقوال لانكريون الشاعر اليوناني ولم استطع على ازاحتها من فكري ولا على تاوئلها لما به الفايدة لنفسي . فقال له الانبا وما هي تلك الاشعار : فاجابه الراهب قايلاً : ان الشاعر اليوناني يقول : ان اله العشق رشقه بسهامٍ كثيرة ملتهبة

فاوقى نفسه منها ولم تؤثر به اصلاً . غير ان ذاك الاله الصغير الخبيث المكار تحوّل هو ونفسه الى سهم واستولى من ثم على قلبه . ثم اردف قائلاً : ليت شعري ترى ما هي الطريقة للمدافعة ضد سهام هذا الاله المخيف وللوقاية من قِسيّه الموتورة ونبل سهامه المسنونة . فاجابه الانباء قائلاً : اعلم يا ولدي ان ما يذكّرك بهذه الاقوال العالمية الباطلة ويرددها في ذهنك انما هو مجرد اعتبارك لها . أَما ترى ايها الحبيب ان هذه التصورات الشعرية والمعاني الوثنية ما هي الا كذب واضاليل . وان اله العشق نفسه ما هو الّا وهم وتخيُّل لا حقيقة له ولا صحة لوجوده . وما تلك الّا اقوال والفاظ فارغة المعنى اخترعتها الشعراء اولوا الخلاعة تستراً واعتذاراً . بل لو استطاعوا لكان ذلك منهم زينةً وزخرفةً لشهوات قبيحة يُستحى منها . اعني بها تلك الشهوات ذات العار والهوان *

فالاله الحقيقي انما هو الهنا . اله المجد . خالق السماء والارض . الاله الذي مجرد حبه قد جعله ان يخلقك من العدم ويحفظك في الوجود . الاله الذي لمجرد حبه صار انساناً لاجلك . وافتداك

بثمن دمه الكريم . وسلّم ذاته لاجلك مائتاً على خشبة الصليب حبًّا بك . وكل هذه الاحسانات المتنوعة العدد انما هي سهام ملتهبة اوقيت منها نفسك مدةً مديدة . فالآن تاملنَّ ما اغرب واعجب اختراعات حبه تعالى :. فانك تعرف جيدًا الى اية استحالة قد استحال اله الحب هذا . وما ذاك الاّ لكي يدخل الى عمق قلبك وينضم اليك كأنه يتجسد بك ويضحى شياءً واحدًا معك . فانه تعالى لم يتحول الى سهم نظير اله العشق الوثني . اي حتى انه يجرح فؤادك بجراحات قاسية ذات هوان ويرشقهُ بسهام الهموم الفارغة . ويمزّقه بعواطف واميال منحرفة وطية يُستحى منها التي من شانها ان تسبب الياس وقطع الآمال . بل انه استقر تعالى تحت الرموز الحبيّة . اي تحت اشكال الخبز والخمر لكي يكون لك قوتًا وقوّة . تعزيةً وسلوانًا . لكي ينهضك اليه . يشركك بطبيعته الالهية وبسعادته ومجده الفايق العقول . فهذا هو يا ولدي سعيد اله الحب الحقيقي . ناشدتك الله قل لي الآن ترى هل انك عدت تطلب النجاة والوقاية من السه

كلي القدرة والحب معاً *

فعند هذه الاقوال انطرح الشاب عند اقدام ذلك الانبا غاسلاً اياها بالدموع . وصرخ قائلاً : اني اقر معترفاً يا ربي بمقاومتي وعصياني . امّا الان فاني أُسلم لهذا السهم الاخير سهم حبك الالهي . ومن ذاك الحين لم يعد يفتكر بشعراء الجاهلية الذين لا ينشدون سوى آلهة وهميةً وشياطين مرذولةً وشهوات قبيحة يُستحى منها . فان اجمل الاقوال اللطيفة والمعاني الدقيقة الرقيقة التي بنت عليها اوليك الشعراء تآليفها الخلاعية . المعاني التي كان مغرماً بها ومسبى الفؤاد بظرافتها اضحت مكروهة منه ومبغوضةً لديه . على انه لم ينسرّ ولم ينحظ بعده الاّ بالمزمورات الالهية والتسابيح الدينية والنشائد الروحية التي تسبّح الاله الحق ومن شأنها الاّ تلقي في القلوب سوى عواطف الحب النقي ذي السلام المرتجى المحبوب . المتوقفة عليه سعادتنا . القايم به شرفنا الآن ومدى الابدية . فان احساناته تعالى ونعمه الالهية اشغلت قلب ذلك الشاب واغالته عمّا سواها لاسيما احسانه تعالى في سر حبه الالهي .

على انه في كل مكان وزمان لا سيما عند امتثاله لدى القربان المقدس كان من عادته ان يترنّم بهذه الاقوال هاتفاً : كيف واين الوقاية من الـه ، كلّي العظمة والصلاح الذي قد انحدر حتى الينا وسكن مستقراً داخلنا ❊



❁ المثل الثالث والثلاثون ❁

❊ في الفرصة الموافقة ❊

ان سينتيلاّ ملك كاستيلاّ ذهب في ذات يوم للصيد والقنص . فابتعد عن اتباعه ودخل برية تاه فيها ولم يزل على تلك الحال الى ان اقترب الليل ودنا . فصادف اذ ذاك شابين حسنَيّ الشكل جميلَي المنظر يجولان في تلك البراري . وكانا اولاد عم عصبيين من سكان القرى المجاورة . اسم احدهما غافل والاخر مفلح . فدنا الملك منهما ومن دون أن يعرّفهما بذاته الملوكية صاح بهما قائلاً : يا ايها الفتيان انقذاني من التهلكة . فقد دخلت الغاب وتهت فيه .

فاخرجاني منه وعدّا لي مكانًا ابيت فيه الليلة .
وفي الغد ان شاء المولى اني متوجه الى البلاط الملوكي
واني هناك على جانب عظيم من النفوذ والاعتبار .
فمن اتبعني أُعِده باموالٍ وافرة ومناصب فاخرة .
فاجابه غافل قايلاً : يامولاي . امّا اخ اجك من الغاب
واعدادنا لك منزلاً تبيت فيه فسهلٌ علينا هيّن . لكنّ
اتباعك الى بلاط الملك فاقول مجاوباً عن نفسي
ان لارغبة لي فيه ولا شوق . فحينئذٍ تقدّم مفلح
وقال : يامولاي نرجوك ان تشرّف منازلنا . وفي الغد
ان شاء سيدي الوالد وارتضى اسافر بخدمتك واكون
مدى الحيوة رهينة امرك مستظلاً بظل حمايتك .
فعندها تفرقت الجماعة . فغافل ذهب لداره وسار
مفلح بالملك لدى ابيه . فتلقته الاهل بالترحاب
وبالغوا باكرامه مع جهلهم بسموّ منزلته ورفيع مقامه .
وبصعوبة كلية ارتضى والد مفلح ان يؤذن لولده
بالتوجه بخدمة نزيله *

فلمّا كان الغد لم يسِر الملك مع مفلح بعض السير
الّا وتلقتهما الاتباع فحيوا جلالته بالتحيات الملوكية .
وقبلوه بترحبات سنية . فانذهل مفلح من هذا

لاتفاق الجميل . فعندما لاحت من الملك التفاتة اليه فقال له : ها قد تأكدت الان يا مفلح صدق قولي لك بان اعتباري في البلاط الملوكي لعظيم ونفوذي لجزيل واني لم اغشك متلاعباً . فانطرح مفلح عند قدميه وقال له : العفو يا مولاي . حاشا من ان جلالتك تخدع وتغش . لكنَّ عبدكم قد اخطاء وزل . على اني اخاف واختشي من خطاءي بكوني وجهت نحو ذاتك الملوكية كالى صديق صدوق كامل عواطفي وخلوص حبي وذلك عوضاً عن الاحترام المتوجب على العبد لجلالة مولاه . فحينئذٍ اجابه الملك قايلاً : اما الاحترام والاكرام فمتعب انا بهما في كل آن بل واني املّ ضاجراً من المبالغة فيهما نحوي . لكنني لا اعلم ولا اعرف اذا ما كنت حاصلاً على خلوص حب صادق استوثق به واعتمد عليه نظير حب مفلح لشخصي . فدم يا فتى ثابتاً في محبتي ودع كل شيء واتبعني . فغمر الملك مفلح بالاحسان واولاه الانعام واخصه لذاته الملوكية نديماً ولاعماله زعيماً اميناً يعتمد عليه في كل زمان واوان *

امّا ما كان من امر اهل مفلح . فان والده اضحى أُضحوكةً في القرية وموضوع الازدراء والسخرية لدى الجميع . فكلٌّ كان يقول عنه انه لسهولة تصديقه وعظم سداجته سلّم ابنه لانسان مجهول الاصل والنسب يجول البلدان ويطوف البراري . واخذت الاصحاب والاقارب يلومونه على عمله . بل هو نفسه كان يلوم ذاته ويوبخها توبيخاً مراً لما فرط منه . وبعكس ذلك كان الجميع يمدحون فطنة غافل ويثنون المديح على والده لشدة تعقله وحسن استدراكه العواقب . لكنه لما وصلت كتابات مفلح واكدت بان الرجل الذي ذهب بخدمته هو الملك نفسه . ورآت الناس الهدايا الثمينة التي ارسلها الملك الى ابى مفلح فغيروا حالاً افكارهم واحاديثهم وقدّموا التهاني لابيه ناشرين الثنا على ولده . واما غافل فاخذ ينوح باكياً ويندب متأسفاً على ما فاته من الفرص *

وقد ازداد حزن غافل وتضاعفت اكداره حيث قد انفتحت في ذلك الاثنا حروب واضطر الملك الى عساكر . فاقتضى من ثم ردف كل شبان المملكة

فمن عدد الرديف كان غافل المشار اليه . فخدم في العسكرية بصفة نفر . ليت شعري ترى كم قاسى من العذابات في تلك الخدمة وكم احنى ظهره لمشقات يعسر تلخيصها . وزد على ذلك انه في وسط تلك الصعوبات والمشقات استولى عليه من الافكار ما مزّق فواده وفتّت اكباده . فاستقرت تلك الافكار في ذهنه ولم تنتزح من باله . على انها كانت مبجّنة في عقله ومصورة في مخيلته . فكان من ثمّ يتنهد الصعداء صارخاً من صميم الفواد : واسفاه اني اهلك جوعاً واموت تعباً وضنكاً . واقاسي كل انواع المشقات فيما ان مفلح يرتاح في البلاط الملوكي متنعماً محفوفاً بالاكرام والانعام . يا ليتني كنت معه . وآسفاه ترى لِمَ لم اغتنم الفرصة نظيره *

فكأن مجرد هذا الفكر لم يكن كافياً لتعذيبه بل اضحت اعينه سبباً لعظم تكديره . فانها احيت في ذهنه تذكار مصيبته المويدة . على ان الملك اراد ان يكتشف على الجيوش فجلس في صيوان ، انتصب له جلس مفلح بجانبه واخذت الجيوش تمر امامه فرأى غافل مفلح ولاحت من هذا التفاتة اليه . فعندها

تأسف غافل متأوهاً وقال في نفسه : لو كنت اتبعت الملك لكنت الآن ومفلح سويةً . وقال مفلح في نفسه لو لم اتبع الملك لكنت الآن مثل غافل . فيا ما اصعب واشق هذا الفكر على قلب احدهما . ويا ما الذه واعذبه على قلب الآخر *

أما يقتضي ان نظهر جميعنا يوماً ما امام الملك الابدي الحي الدائم . فيا لعظم سعادة من اتبعه ويا لسوء شقاحال من رفض اتباعه . ففرصة تعلقنا بخدمته تعالى واتباعنا له جلّ وعلا لم تزل في قبضة يدنا . لكنها سريعة الفوات *

ليت شعري أندعُ الفرصة تفوت وتمضي . لا لعمري . بل اننا نستغنم ما بقي لنا منها ناجين منه عظم الفايدة . لعمري ما من امرءٍ اصعب وانكى من ترك الفرصة سواء كان باجتناب اضرارٍ نقاسيها . او باكتساب خيراتٍ عظيمة عرّينا ذواتنا منها *

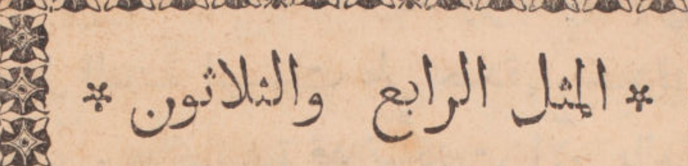
فيتردّد هذا الفكر في الذهن دائماً ويعدم الانسان التعزية والسلوان . وبعكس ذلك ما من امرءٍ اشهى والذ من مشاهدتنا ذواتنا اما ناجين من شرٍ جسيم . اما حائزين خيراً عظيماً . وذلك بمجرد اغتنام الفرصة .

سواءً كان باجتناب ذلك الشر او باكتساب ذلك الخير
على ان الامر الذي يزيد عذاب اهل الشدة والمحن .
انما هو ما كانوا عليه من السهولة باستغنام الفرصة . والامر
الذي يعزّي ويفرّح من هو في حال السعادة والراحة انما
هو ما كان عليه من خطر فوات الفرصة . فسهولة اغتنام
الفرصة تتصور في عقل الاول فتزيد عذابه . لاسيما
حيث يرى كثيرين قد استغنموا الفرصة واستفادوا
منها . وهكذا خطر فوات الفرصة يخطر لذهن الاخر
فيوعب قلبه فرحاً لاسيما متى رأى كثيرين تغافلوا
متقاعدين عن استغنامها . اخيراً الامر الذي من
شانه ان يقلق عذاب الواحد ويكمّل فرح الاخر
هو متى كانت الفرصة هذا شأنها وهو انها متى مضت
فلا يبقى امل لرجوعها ابدًا *

ان الحيوة الحاضرة قد أُعطيت لنا كفرصة عظيمة
جميلة لاجتناب اكبر الشرور وهو عذاب جهنم . واكتساب
اعظم الخيرات وهي السعادة الابدية في السماء .
فان هذه الفرصة متى فاتت وانقضت مرةً فلا رجوع
ولا مردّ لها . وهذه الفرصة تطوي تحتها وفي ذاتها
فرص كثيرة لا تعداد لها . على ان كل يوم هو

فرصة موافقة لاجتناب الجحيم واكتساب النعيم . وكل يوم يحوي ايضاً فرصاً كثيرة خصوصية لاجتناب الرذيلة وممارسة الفضيلة . ففي كل حال وكل وظيفة وكل صناعة ومهنة توجد فرص موافقة . هكذا كل ما هو في الوجود . وكلّما يجري ويحدث . وكلّما نشاهده في هذه الحيوة هو فرص موافقة جميلة . فالفقر والغنى . المرض والصحة . الفرح والحزن . النموذجات الصالحة والامثال المشككة . العذابات واللذات . وبالاجمال ان كل شيء هو فرصة جميلة موافقة . على ان التجارب نفسها واسباب الخطية عينها اي تلك الاسباب التي نجتنبها ولا نركض وراءها مفتشين عليها هي فرص جميلة موافقة حتى نؤكد له تعالى صدق خدمتنا له . فيا لتعاسة من فاتتهم مثل هذه الفرص الموافقة ولم ينتهزوها مستفيدين منها . لعمري لا مردّ ولا رجوع انها قد مضت وفاتت ولا وقوع لها ثانيةً بايديهم . فسقياً لمن انتهزها واستفاد منها ولا خوف عليه الآن في ان يعرّض نفسه لخطر سوء استعمالها . بل يالسعادتنا نحن ايضاً . فمع اننا قد تركنا فرصاً كثيرة تمر وتمضي

فلم نزل مع ذلك حاصلين على فرص عديدة جميلة نستطيع ان نصلح بها نقايصنا ونخلّص بها انفسنا *



* المثل الرابع والثلاثون *

* في بطرس المغفّل *

ان رجلاً من اهل القرى والبريُدعى بطرس لم يكن رأى في حياته الا القرية مسقط راسهِ . فاتاه في احد الايام خبر بان اخاً كان له قد تُوفّي في عاصمة المملكة عن تركة معتبرة ولا وريث له سواه. فيقتضي من ثمّ حضوره لهناك ليضع يده على المال ويستولي على تركة المتوفي . فلما سمع بطرس المذكور هذا الخبر حمل عصاه وخرج في ذات يوم من بيتهِ وتوجه مسافراً الى عاصمة المملكة . فما سار بعض السير الاّ وصادف في طريقه نهراً يجري . ولم يكن اذ ذاك رأى قط نهراً حيث لا انهر في بلادهِ . على انه لم يكن رأى سوى مجاري سواقي وسيول المطر التي من عادتها ان تنشف حال تراكمها . فلما شاهد

بطرس ذلك النهر عميقًا لا قرار له واسعاً عزوماً قوياً
قال في نفسه . ما شاء الله على هذه الامياه الغزيرة
كأن المطر اشتد في هذه البلاد ونحن نشكو في
بلادنا من قلته . فقد سمعت مرارًا عديدة بان الازمنة
وفصول السنة ليست على حدة، واحدة في كل
الاصقاع . وبالحقيقة قد تأكدت الآن بالعيان ما
كنت اسمعه بالخبر . فلا شك ان الغربة تفقّه
الانسان وتزيده معارف وخبرة . وتوقفه على صحة
ما لم يكن يعلمه الَّا بالسمع . لكن ما العمل الآن .
ينبغي لي أن استنظر انقطاع هذه الامياه *

فالامر الذي اقنعه بان المياه تقطع وتنشف هو
انها كانت تجري من عطفة ولم يكن يرى الَّا
بعضها لكنها مع ذلك كانت شديدة العزم . فبناء عليه
اراد المغفّل ان يجلس مستنظرًا فروغها وانقطاعها *

فكان من الجانب الاخر من النهر رجلٌ راكبًا سفينة
يحمل بها المسافرين . فلما رأى المغفّل اتى اليه
وقال له : أيا هذا هل تريد تعبر النهر . فاجابه المغفّل
اني اريد ذلك . فقال له النوتي اركب السفينة .
فاجابه المغفّل ان العجلة ندامة فما الحاجة في ان

اعرّض نفسي للاخطار فيما ان الانتظار اولى . فمن تأنّى نال ما تمنّى . فقال له النوتي الامر بيدك افعل ما بدا لك . وظنّ بان المسافر يسخر به مستهزيًا . ففي تلك الاثنا كثيرٌ من المسافرين ركبوا السفينة وعبروا النهر . واما بطرس فكان يندهل من جسارتهم واقتحامهم الاهوال . واخذ من ثم ينتظر فروغ تلك المياه . هذا والنهر على مألوف عادته يجري على اتم السرعة *

فانتظر المغفّل الى المساء . فداهمه الليل واقتضى ان يؤخّر سفره الى الغد . فرجع الى بيته زاعماً بان مياه النهر تنشف بعد . ولما كان الصباح عاد الى النهر فرآه على جاري عادته . فعاد اليه بعد ثلاثة ايام ورآه لم يزل على ما كان عليه اولاً . فعندها صرخ قائلاً : لا شك ان هذا ضرب من السحر فكأنّ لا قسمة لي ولا نصيب في ارث اخي . وفي حال يأسه وهنقه تنزّل عن حقوقه لابن عمٍ له اسمه بولص . وكان هذا من اهل الذكاء والمعارف مشهوراً بحسن الفطنة والدراية . فاخذ بولص المشار اليه بالسفر فقطع النهر وسار الى عاصمة المملكة فاستولى على تركة المترفي

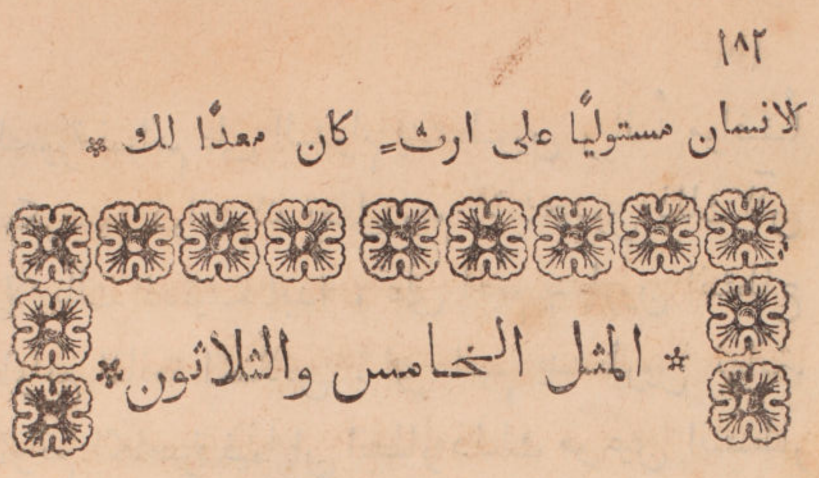
ورجع من ثم الى بلاده على جانب عظيم من الغنى والاعتبار . فاضحى من الاغنياء الشهيرين ممتازاً بين اهل جنسه ووطنه . فيما ان بطرس لم يزل مقيماً في كوخٍ حقير على اسوء حال من الشقا والفاقة ولم يحصّل من ذلك الارث سوى اسم مغفّل . لانه لما علمت الناس بما كان من امره و واقعة حاله من جهة ارث اخيه لقّبوه حينئذٍ باسم مغفّل . وذلك لتغفله وعدم درايته *

لعمري ترى هل كان يخطر لعقل بشرٍ في ان اغلب الناس نظراً لامر الارث السماوي المعدّ لهم يقعون في حالة التغفل والجنون نظير ذلك المغفل المار ذكره . ناشدتك الله افحصنّ متاملاً الخطاة وكل من لا يسير سيرةً مسيحية . ومن كان خالياً من حرارة الايمان والتقوى . فترى الجميع ينتظرون عبور مياه الانهر . اى انهم ينتظرون عبور الشبوبية واطفاء نار الشهوات اللحمية . بل وينتظرون الى ان تركز احوالهم ويستقر امرهم على حالة ثابتة . فمنهم من ينتظر نهاية دعاويه ومخاصماته . وغيره يؤمل التخلص من ارتباكات ارتبك بها . وعلى هذه

الصورة نراهم على الدوام ينتظرون زماناً موافقاً لتكريسهم ذواتهم لله تعالى وهم لا يجدون ذلك الآن ولا تلك الدقيقة ابداً . على انهم ينتظرون انقطاع الموانع المانعة الخلاص . اي انهم ينتظرون نهاية الموانع الحاصرة فيما ان انتظار ذلك هو عين انتظار انقطاع جري المياه . لعمري ان موانع الخلاص تتوالى وتتعاقب على الدوام على انها سلسلة موانع وصعوبات تنضم في بعضها . ويتكون منها نهر تجرى مياهه متواصلةً بدون انقطاع لانها ذات ينبوع لا يفرغ ولا يقل . فمن اراد السير فليدس برجليه كل هذه الموانع . بل ان النجاح يقوم بهذه الموانع نفسها *

تاملنّ كم من الناس يقطعون الانهر والابحر جادّين السير في طريقهم . فاحذ حذوهم مقتفياً اثارهم . وبادرنّ الى العمل من الآن . على انك اذا تاخّرت منتظراً فرصة موافقة كأنّك تنتظر انقطاع المياه الجارية . فيا لحماقتك ويا لغباوتك الفظيعة . اعلم متاكداً بانه قد ياتي انسان أخر وياخذ محلك وتضحى من ثمّ صفر اليدين وفريسة الياس وقطع الرجا والامال عندما تشاهد ذلك

للانسان مستوليًا على ارثـ كان معدًا لك *



* المثل الخامس والثلاثون *

* في المتعبدين لمريم البتول *

اعلم يا هذا اني لا اقصّ عليك عجائب ومعجزات لربما انك لا تنتظر وقوعها بشانك . لكنني اقص عليك فقط مفاعيل ظاهرة حسّية صدرت عن حماية البتول القديسة . المفاعيل التي كلٌ منا يتوقع نوالها بدون ادنى جسارة . والآن حتى انني اقوّي رجاك واحيي آمالك اذكر لك ثلاث انواع من البشر الذين نرى ان عبادتهم للبتول الطاهرة ليست عسرة الاقتفا . اي انني اقص عليك قصة نوتي وقصة جندي وقصة تلميذ دارس مضيفاً عليها . لا على سبيل المثل والنموذج . قصة رجل من اهل الخلاعة . وقصة عجوز اراتيكية كلوينية *

قصة النوتي

ان عدة سفن موسوقة اغلال سافرت من نابولي الى جهة البندقية وقصدت تبيت في جون محاذٍ لكنيسة السيدة في لوريتا . فاتفق انه في صباح ذلك اليوم كان عيد السيدة عليها السلام . فكأن الفرصة والمكان والزمان اثّروا في جمهور البحرية . فرغبوا من ثمّ في الذهاب لاستماع القداس الالهي في كنيسة لوريتا حيث انها لم تكن بعيدةً منهم سوى مسافة ساعتين تقريباً . فأخذ القبطان يضاد هذا الراي متعللاً بان مراكب الاتراك كانت تجول في ذلك الخليج فانه يخشى ويخاف من انها تأتي وتسطو على السفن فيما انهم يكونون منشغلين في قيام الصلوة والعبادة . فعندها قام نوتي يُدعى انطونيوس في وسط الجماعة وخاطب ذلك القبطان قائلاً: اعلم يا ايها المولى انه لا خوف علينا ولا خطر البتة . على انه حال انشغالنا في خدمة العذراء عليها السلام لا يحيق بنا ضرر ولا تلمّ بنا اذية . فاني ارى الاوفق ان تذهبوا غداً جميعاً الى لوريتا ودعوني احافظ وحدي على السفن . فاني

اذا ما كنت تحت اكناف حماية العذراء عليها السلام فلا اخاف ولا اخشى ولو اجتمعت عليَّ قوات الاتراك بأسرها . فضحك الجميع من حركات انطونيوس وايراداته وارتضى القبطان برأيه . ولما كان الغد ذهب البحريون غلساً الى لوريتا وبقي انطونيوس يحافظ على السفن وحده . فعند انشقاق الفجر راى قلوعاً تتماوج عن بعد فتأملها فرأى عبارة عن عشرين مركباً من مراكب الاتراك متجهة نحوه لتسلب وتخطف سفنه ❊

فعندها قال انطونيوس في نفسه . الآن اوان الشجاعة والجرأة . الآن اوان البطش والبسالة . لكن يا ترى كيف اقاوم وحدي هذه المراكب كلها . واخذ من ثمَّ يهتف نحو البتول قائلًا ايتها البتول عينيني . علميني كيف ادافع عن نفسي . يا رجاء من لا رجاء لهم لا تردي رجاي فارغاً . ولا تخيبي لي امل . لا تسمحي يا بتول بان هذا اليوم المكرَّس لخدمتك يترك ذكراً يثلم شرف اسمك . قال هذا وتوكل على البتول القديسة وجلس في اخر السفينة المعرَّضة

لجهة مراكب الاعداء فكمن ضمنها واخذ بيده فاساً وقال في نفسه . لا بدّ من قطع راس من دخل هذه السفينة اولاً . ولا باس بما يجري بعد ذلك . وفي تلك الاثنا تحركت السفينة وارتجت . على ان تركياً دنا منها ومدّ يده ليسحبها فرفع انطونيوس الفاس وضربه فقطع يده فسقطت ضمن السفينة ثم كمن موضعه متوقعاً هجوم غيره . امّا ذلك التركي فلشدة ألمه صاح صيحة عظيمةً القت الخوف والرعب في كل العمارة وقال لرفقائه ان هذه مكيدة واشراك تمد لنا . ان هذه السفن مملوة اناساً متسلحين يكمنون لقتلنا . فرّوا بنا هاربين قبل ان يثبوا علينا . فكان انطونيوس يفهم قليلاً في لغتهم . فلما سمع كلامهم اخذ يقهقه ضحكاً فرفع راسه واذا بالاتراك ولّوا هاربين . فحينئذٍ اسدى الشكر لسيدة الاكوان التي لا تخيّب رجاء من التجاء الى حمايتها الفعّالة . واخذ من ثمّ يستنظر قدوم رفقاه . واذا بهم اليه راجعون . لكنهم على قلق زايد و وجل عظيم . حيث حال رجوعهم من لوريتا رأوا مراكب الاتراك راجعة الى

الوراء . فتوهموا بانها اخذت انطونيوس والسفن معاً . فقلق القبطان واضاع الآمال . وفي حال اليأس والكرب توجه والبحرية الى حيث تركوا السفن قاطعين الامل من وجودها . لكن يا للعجب والاندهاش . فحال وصولهم رأوا السفن كافة وانطونيوس يترنّم بالالحان وينشد الاناشيد . وفي يده فاس مخضّباً بالدما وفوقها يد مقطوعة . فأُشكل الامر على رفقاه ولم يدركوا واقعة حاله . فقصَّ عليهم القصة بكامل ظروفها . فعندها أخذوا جميعاً في تلاوة طلبة العذراء واسدوا لها الشكر عن هذه الغلبة المستحقة الذكر المؤبد *

فعلى مثال هذا النوتي الشجاع . فلنضعنّ اتكالنا على العذراء فهي تطرد عنا اعداء خلاصنا . ولنحاربنّ نظيره على اتم الشجاعة والبسالة . متسلحين بحسن الفطنة والقوة . راشقينهم بسهام تذهلهم وتقلقهم . فيتركوا فريستهم قاطعين الامل من تجديد المحاربة ثانية *



قصة الجندي

ان جندياً مسيحياً يُدعى اميناً كان يتلو يومياً سبع مرات الصلوة الربية والسلام الملايكي . وذلك اكراماً لسبعة اسرار الفرح ولسبعة احزان العذراء المجيدة عليها السلام . اما كيف توصّل الى هذه العبادة وكيف تعلمها وكيف كان يمارسها فهذا نجهله ولم نقف له على حقيقة . فكلما نعلمه هو انه كان متعلقاً تعلقاً قوياً بهذه العبادة . حتى انه لم يتركها قط . واذا اتفق بانه رقد في فراشه وخطر لذهنه بانه قد تغافل عن تلاوتها فكان ينهض حالاً ويجثو على ركبتيه تالياً هذه العبادة المحبوبة منه *

ولمّا كان يوم القتال والكفاح . وامين المذكور في مقدم الجيش . وكادت حينئذٍ تتقد نيران الوغى . خطر لذهن عبد مريم هذا الامين بانه سهي عن تلاوة الصلوة المألوفة منه . فرسم اشارة الصليب على وجهه . واخذ من ثم يتلوها ورفقاه بجانبه . فلما رأوه راسماً اشارة الصليب اخذوا يسخرون به ويستهزئون بعبادته قائلين عنه . انه نذل جبان قد استولى عليه الخوف والرعب

ولهذا تتعبّد . واخذت هذه الشتايم تتناقل على افواه الجنود من فيئة الى اخرى . اما هو فلم يقلق من هذه الاقاويل ولم يعباء بالازدراء والسخرية . بل كان لعبادته ملازماً وعلى تلاوة صلاته مواظباً . وحال نهاية عبادته أُطلقت نيران الحرب فاهلكت رفقاه ولم يبقَ منهم احد سواه . فرآى من ثم اوليك الاقوام الذين منذ هنيهةٍ كانوا يسخرون به ويستهزئون بعبادته قد سقوا كاس المنون وتجندلوا قتلى في الارض . فارتعد من هذا المنظر المهول معترفاً بقدرة تلك اليمين التي عضدته ومن التهلكة خلصته وكان بامره تعالى وبشفاعة شفيعة البشر في كل تلك المعركة القوية بل في كل تلك الحرب الطويلة لم يُجرح جرحاً واحداً حتى ولا خفيفاً . فعند نهاية الحرب ونوال الاجازة رجع الى بيته سليماً مصاناً ناشراً الثنا والمديح على تلك التي اوقته وصانته حافظةً اياه في الحيوة وكامل الصحة ✲

فلا ندعنّ اذاً الحياء البشري ان يمنعنا عن تتميم العبادة نحو مريم العذراء . ومتى رأينا الناس يتممون نحوها فروض العبادة فلا نهزاء ولا نسخر بهم لانها

عليها السلام متساوية القدرة باجراء الثواب والعقاب *

* قصة التلميذ الدارس *

لما ازداد احد الانهر وطاف لتراكم السيول والامطار وامتنعت من ثم المسافرون عن عبره جاء بعض صبيان المدارس الى شواطئه واخذوا يرتعون بقرب مياهه فرأى احدهم سفينة مربوطة فركبها واخذ يقذفها بالمقذاف فانحظ مسروراً بحسن ادارته لتلك السفينة ودرايته بالصناعة البحرية هازئاً بجبانة رفقائه وعدم جرآءتهم حيث اقاموا عند الشاطئ . فلم يتم كلامه الّا وندم على جسارته لانه قد احسن المسير طالما كانت السفينة بقرب الشاطئ حيث كان يتصل المقذاف بالقاع . اما لدى وصولها الى مجرى المياه فاضحى التقذيف عبثاً لعمق النهر وبعد القرار . فحينئذٍ استولى عليه الخوف والرعدة واخذ يتضرع الى البتول الطاهرة صارخاً نحوها السلام عليكِ يا ملكة الرحمة والرآفة . اما رفقاه فخافوا عليه اكثر من خوفه على نفسه . حيث كانوا ادرى منه بالاخطار المحيقة به . لانه حال وصوله الى مجرى المياه

العزومة سحبته بلحظة عين وغاب عن نظرهم ٠ فصرخت رفقاه وضجوا . واذا باحد النوتية حضر اليهم فاخبروه بما كان من امر الشاب . فبادر الى انقاذه . وقطع من ثم البساتين والمروج آخذاً اقرب الطرق لكي يسبق سير السفينة حال كونها تجري بعطفات من النهر . اما الولد فكان يجهل كلما سعت رفقاه بشانه . فاخذ يفرغ جهده بمعالجة السفينة ومعاركة الامياه . لكنه ازداد رعباً وارتعدت فرائصه لما وصل الى مضيق ، في النهر تنحصر به المياه الشديدة العزم والقوة . هذا والاشجار المتقطعة من تلك الجبال يسحبها النهر وراءه فحينئذٍ صاح قائلاً: يا للداهية الدهماء ويا للبلية العظمى ترى اين انا والى اين اذهب . واخذ يضاعف الصلوة ويبالغ في معالجة السفينة . هذا وهو غير مهتدٍ لما يقول ولا لما يفعل . فكان يهتف قائلاً نحو البتول : السلام عليك ياملكة الرحمة والرافة . ويقذف السفينة يمنةً فتلقيها الامياه يسرةً فتاخر سير السفينة بهذه المعالجة . لكن كلما ابداه الولد بامره وما ابداه الاخرون بشأنه كان عبثاً لولا حادثة نجته وخلصته فيما كان يخال بانها

تغرقه وتهلكه ❊

فالنوتي لشدة الاخطار وعزم السيول كان في اجتيازه المروج تارةً يسقط في المياه • واخرى يقع في حفر عميقة . واحياناً يوقف الطين خطواته حتى انه كاد ان يعدل ويعرض عن مسعاه تاركاً الولد والسفينة هدفاً لسهام التقادير . ففي هذه الاثنا عصفت العواصف وتراكمت الامطار وتطايرت الارياح فالقت ذلك النوتي في حفرة مملوة مياهاً وطيناً والقت الولد ضمن السفينة وطافت المياه فوقه ولم يعلم أكان هو في الماء ام ضمن السفينة . وفيما انه كان تعباناً مضنوكاً . مهدوم القوى . متلاشي العزم . سلم ذاته للامواج وشرع يهتف من دون انقطاع السلام عليك يا ملكة الرحمة والرافة . وذلك لا املاً في النجاة . بل استعداداً وتأهباً للموت . فبامره تعالى اقتلعت تلك العاصفة ذاتها شجرة صفصاف ضخمة شامخة والقتها في النهر فلدى نهوض النوتي من سقطته رأى الشجرة فخطر لباله ان يسد النهر بها ليوقف السفينة عن سيرها فبادر اليها واذا بالسفينة واقفة عندها والولد كموسى زمانه ملقياً ضمنها . فعندما

اطمأنّ النوتي على حال الولد وحال السفينة ظهرت امارات الغضب على وجهه فصاح بالولد صارخاً : كيف تسطو على مال الغير وتتعدى الحقوق . قل لي باي حق وباية شريعة اخذت السفينة والقيتها في خطر الغريق *

اما الولد فكأنه ميت فلم يعلم من هو ذاك الانسان ولا من اين اتى اليه . لكنه اعتبره كملاك سماوي مرسول من العلا لاغاثته فلم يتفوه بكلمة ولم يبدُ حركة *

فدخل النوتي السفينة ونهض الولد من وسطها واجلسه في مقدمها . واخذ مقذافًا يعتمد عليه واندفع يسوق السفينة الى ان اوصلها الى مركزها الاصلي *

فلما امّن عليها رثي لحال الولد فاخذه لداره واضرم نارًا اصطليا عليها وقصا على بعضهما واقعة حالهما وما جري لهما من التقادير واحاق بهما من الاخطار . شاكرين الباري على نجاتهما *

اما ما كان من امر باقي الصبيان هو انه لما اشتدت الارياح وتراكمت الاخطار ولّوا هاربين الى منازلهم واخذوا يشيعوا بان رفيقهم قد غرق في النهر .

فبلغ الخبر والدة ذلك الشاب فكانت ارملة لا ولد لها سواه. لكنها مجملة بالفطنة والرصانة فلم تسلّم ذاتها لكل الخوف والرعدة ولم تصدق كل التصديق اراجيف شيّعتها الصبيان. فانها كانت متورعة نقية تخاف الله تعالى متمسكةً بحبال التوكل على مراحم والدته الطاهرة. فتضرعت الى ام الاله بحرارة العبادة وسلّمت ولدها و وحيدها الى حمايتها الفعّالة فكأنّ بخور صلواتها تصاعد نحو العلا في وقت ازدحام الامطار وهبوب الارياح والعواصف التي في وقت واحد خربت كل شيء وخلصت كل شيء. ولربما كانت تلك العواصف مفعول حرارة عبادتها الصادقة. وعلى كل الاحوال كانت تستنظر من يأتيها باخبار صادقة عن ولدها. فكان اول من حضر اليها ابنها نفسه. فاعلمها بكلما جرى له. فحمدا المولى على احسانه ناشرين الثنا على حماية والدته الطاهرة. فبادرت الاقارب والاجانب ليعزوها على مصيبتها وما الم بها من التجارب واذا لدى وصولهم شاهدوا الولد رجع لامه فعانقوه معانقة حبيّة. واعترفوا جميعًا بان نجاته لم تكن الا مفعول حماية البتول المجيدة ملكة السما والارض الكلية القدرة والعظمة.

اما الشاب فاعتبر ذاته مديوناً لاحسان البتول على ابلغ نوع . فلم يكتف بتقدمة الشكر لاحسانها نحوه بل انه كرّس ذاته لخدمتها برهبنة مختصة بتكريم والدة الاله المجيدة *

قال راوي هذه القصة اني ادعو لعبد مريم هذا بحفظ الصحة وتوفيق المسعى لانه يُخال لذهني بانه لم يزل في قيد الحيوة حال تسطيري قصته هذه التي سمعتها منه ونقلتها عنه وادرجتها في هذا التأليف *

فلنضعنّ على مثال هذا الشاب اتكالنا على مريم البتول ملتجئين اليها حال التجارب والاخطار ملتمسين منها النعم الخاصة لئلا تسمح وترتضي في ان هجوم الشهوات وعزم الامثال الردئية يسحبانّا الى الهلاك . اجارنا الله من ذلك بشفاعة ذات الشفاعة والدته الطاهرة عليها السلام التام *

* قصة شاب من اهل الخلاعة *

ان احد الشبان قد كان طوّح ذاته بالمعاصي والقبايح وانهمك بالادناس والفواحش فانقطع خيط حياته وهو غايص في بحر ملذاته وذلك بمرض اعتراه

ومات بعد . غير انه حال كونه ذا خلاعة وسيرة مفسودة كانت له عادة جيدة وهو انه كان يتلو يومياً السلام الملايكي اكراماً للبتول القديسة . حتى انه لم يتغافل قط عن تلاوته ولو كان منشغلاً في قبح الادناس والفواحش . لكنه لم يعرف لماذا ولاية غاية كان مدمنا على هذه العبادة . على انه كان محركا من قبل مجرد العادة لا من داعي التقوى والعبادة . فلما ساآت احواله وكان مرضه قتالاً لا محالة توجه اليه كاهن الرعية ليفتقده ويحركه الى الاعتراف . فاجابه المريض قائلاً : انه اذا كان لا بد من الموت فانه يرغب ان يموت على ما عاش عليه سابقاً وانه اذا تعافى ونجى من مرضه فلا يريد ان يعيش خلافاً لعيشته السالفة . هذا ما كان يجاوب به كل من حدّثه بامر الاعتراف . فلا الكاهن ولا الاسقف ولا الرهبان ولا المرسلون الذين افتقدوه حال مرضه بل ولا احد اقاربه واصحابه استطاع ان يأخذ من فيه جواباً اخر . فتكدر من ثمّ الجميع على سوء حاله ولم يتجراء احد بعد ذلك ان يفاتحه بامر الارتداد الى ربه خشية من ان يكرر على سماعهم الفاظه التجديفية واقواله الكفرية

فبتوفيق المولى كان له صاحب ودود مقارن له بالسن لكنه اعقل واحكم منه . وكان من عادته ان يوبخه دائماً ويلومه على سوء تصرفه . فلما علم بمرضه ذهب اليه في صباح احد الايام . وغب ان اصرف معه برهةً بالاحاديث والمعاشرة قال له : ينبغي ان تفتكر بامر ارتدادك ورجوعك الى الله تعالى . فاجابه المريض . اني خاطي عظيم فكيف يتفق ارتدادي . فاجابه صاحبه . فاذا كنت خاطياً كبيراً عليك بالالتجاء الى مراحم الام الحنونة فانها ملجاء الخطاة . فقال المريض اني احييها يومياً بالسلام الملايكي . يا ترى هل ان هذه العبادة تفيدني شياءً . فاجابه صاحبه كيف لا وكل الافادة في هذه العبادة . أما كنت تقول لها في ان تتضرع لاجلك في ساعة الموت . فاجابه المريض . اي نعم هذا ما كنت التمسه دائماً في صلاتي . والحالة هذه اذهب يا اخي واحضر لي كاهناً يستمع اعترافي . قال هذا وهطلت سيول الدموع من عينيه . فقال له صاحبه . لماذا تبكي وتسكب العبرات . فاجابه المريض قائلاً : وهل من دموع كافية امحو بها اثامي وقد عشت عيشةً ملطخة

بالادناس واهنت الله خالقي اله الرحمة والرافة . لاله المستعد دايماً ان يقبل الخاطي ويغفر له . من اين لي ان ابكي دماً . لكنني ترى ماذا اقول وبماذا انفوّه . ان دمي دنس فكيف يُقدّم لله تعالى . وهل يقتبل الله ذبيحةً دنسةً . فقد قدم الفادي له السجود دمه الكريم . ففي ذلك الدم الطاهر اضع رجاي وكل امالي . فلما سمع صاحبه كلامه هذا ورأى مياه الدموع تجري من عينيه بدون انقطاع تحرك للبكا معه *

وكان بامر يريده المولى خطر لذهن الكاهن ان يفتقد المريض مرةً اخيرةً ويمتحن الامر عساه يحصل على نتيجة . واذا به وقتئذٍ داخلاً مخدع المريض . فاندهش لدى مشاهدته هذين الشابين يسكبان الدموع السخينة . فقال لهما لِمَ ذلك البكا والنحيب . فاجابه المريض قايلًا : اني ابكي وانوح على خطاياي . فيا لشقاوتي لقد تأخرت كثيراً عن سكب الدموع . لكن استحقاقات مخلصي هي غير متناهية ورحمته غير محدودة . ففيها اضع رجاي وعليها اوطّد امالي . فسأله الكاهن مستعلماً : ترى

ما الذي أتى بهذا التغيير العجيب . اجابه المريض ان هذا فعل البتول المجيدة . انها ام حنونة ففتحت عيني وحرّكت قلبي ولا تريد هلاكي . فقال له الكاهن : كأنك تريد ان تعترف . فاجابه اي نعم . يا ابت . ارجوك ان تحضر لهنا الجميع حتى انه كما كانت سيرتي القبيحة شهيرةً يكون اعترافي كذلك شهيراً لدى الملا . فاجابه الكاهن لا حاجة لذلك . على انه اذا ما اتضح واشتهر لدى الجميع بانك اعترفت اعترافاً حسناً وعدت راجعاً الى ربك بالتوبة الصادقة فيكون ذلك كافياً لرفع شكوك قد سبّبتها . فعندها مضى صاحبه واخبر الجميع بارتداده . اما هو فاخذ يعترف بخطاياه للكاهن . هذا وعيناه تذرفان الدموع السخينة . غب ذلك اتاه الكاهن بسر القربان زوادةً اخيرةً . فحضرها جمع غفير . لاسيما اشراف البلدة عندما سمعوا ارتداد ذلك الخاطي الشهير *

فحينئذٍ وعظ الكاهن عظةً بهذا الشان ابان بها كيفية ارتداد ذلك الخاطي وتوبته ناشراً الثنا على كرامات البتول المجيدة . فتحرك الحاضرون لابراز

افعال الحب نحوها عليها السلام . واظهر المريض شعائر الحب والثقة ومعرفة الجميل نحو والدة الله القديسة وطلب من الجميع المغفرة عمّا سبب لهم من الامثال الرديئة ملتمساً دعاهم . فكنت تسمع البكا والنحيب والتنهدات من كل ناحية . وكان من ثمّ ذلك الاحتفال سبباً لارتداد كثيرين *

ولما كان المسا شعر المريض بازدياد المرض فطلب المسحة الاخيرة فقبلها بشعائر التقوى . وعند نصف الليل تغيّرت احواله فنازع قليلاً ثم سلّم روحه لله خالقه . فتواردت الناس لدفنه وازدحمت الكنيسة وضاقت على الحاضرين . وكنت ترى ان ذلك الاحتفال لم يكن لدفن ميت بل كان يوم الظفر والانتصار لمريم البتول . فعظّم الجميع شانها واعترفوا بسمو قدرتها ناشرين الثنا والمديح على مراحمها العظيمة *

* قصة عجوزٍ بروتستانية كلونية *

ان احدى الستات الشريفات ذات حسب ونسب وغنى وثروة ولدت في المذهب البروتستاني

وتمسكت به تمسكاً شديداً فارتدت اهلها اجمعون الى حضن الكنيسة الكاثوليكية . اما هي فبقيت مصرة على ضلالها غير متزعزعة عن سو معتقدها بل انها اضحت ام الاراتقة ومعضدتهم . على انها كانت بمثلها وارشاداتها وفرط سخائها تثبتهم في ضلالهم مانعة اياهم عن الرجوع والارتداد *

فلما طعنت في السن اعتراها مرض ادنفت فيه على الموت . فتوجهت نحوها كل الارشادات والتقنيعات لكي ترتد الى الايمان القويم فاضحى كل ذلك عبثاً على انها كانت تجاوب على كلما قيل لها : ان زمان الموت ليس هو زمان المباحثة بل ينبغي بان كلاً يموت على ما استحسنه من المذاهب في مدة حياته . ولما خابت الامال بها اقتصر الاصحاب عن مخاطبتها بهذا الشان . وحيث كانت صاحية العقل ولم تغيب عن دايرة الحواس فلم يخطر للذهن دنو وفاتها فتخلى عنها الجميع تاركين عندها جارية تمضي الليل معها . وكانت العجوز تود الجارية . لانها كانت ابنة تقية خايفة الله تعالى متعلقة تعلقاً قوياً بمولاتها . فلما تأكدت الابنة ان

سيدتها ادنفت على الموت اخذت ترشدها وتنصحها على الارتداد اليهِ تعالى متوسلةً اليها في ان تفتكر بامر خلاصها الابدي . ولما رأتها لم تاتِ بجواب بل كانت مصرة على عنادها خاطبتها بفظ الكلام وبمر الاقوال قائلةً لها : يا سيدتي لا غرو ان بعد هنيهة تذهب روحكِ الى الجحيم لكونكِ مصرة على العناد وترفضين الارتداد اليهِ تعالى . فانكِ تعرفين الحق وتتأكدين بان لا خلاص خارج الكنيسة الكاثوليكية لكن الحيا البشري يمنعكِ عن الارتداد الى هذه البيعة الحقيقية . اي نعم انه ما من امر يثبّتكِ في ضلالكِ سوى هذا الحيا البشري المستحق اللعنة والرذل . على انكِ ترغبين ان يُقال عنكِ انكِ ثبتِّ على ما انتِ عليه حتى الممات ولم تتزعزع افكاركِ ولم ترتجعي عن عنادكِ . وآسفاه فمتي اضحى الجحيم مقركِ . يا سيدتي . ترى ماذا ينفعكِ الحياء البشري وما يُقال عنكِ حينئذٍ على الارض . فلم تجاوب العجوز بشيءٍ على كل ذلك . ولما كانت تشتد عليها الاوجاع والآلام . وتتنهد الصعداء لفرط صداعها فكانت تقول لها

الجارية : نوحي وابكي على ذاتك فانك بعد قليل تنوحين نوحاً شديداً وتبكين الدما متى شعرت بلظي نيران الجحيم . ولما كانت تطلب ماء تشربه فكانت الجارية تقدمه لها قائلة : اشربي الآن واروي ظماءك لانك عن قليل تكونين مع ذلك الغني في الجحيم فتطلبين نقطة ماء فلن تعطى لك *

فلما افرغت الجارية ارشادها وحثها لمولاتها بالارتداد ولم تحصل على ادنى نتيجة . قالت لها لم تبقَ عندي سوى وسيلة وحيدة اومل بها الانتصار على اصرارك وعنادك . على اني اتوسل الى البتول القديسة تالية طلبتها لاجلك . وفيما كانت الجارية تتلو طلبة السيدة علناً كانت العجوز تارةً تجاوب قائلةً : تضرعي لاجلنا . واخرى تضرعي لاجلي . وعند نهاية الطلبة قالت الجارية لمولاتها : اراك تستدعين البتول القديسة . فاجابتها وهي تتنهد الحسرات وتسكب العبرات . اي نعم اني قد جعلت دايماً اعتمادي على البتول و وضعت اتكالي عليها . وحفظت دائماً صورتها الكريمة في كتاب صلواتي . فقالت لها الجارية . فاذا كان ذلك

كذلك وانت كاثوليكية يقتضي ان تعترفي بخطاياك . فاجابت العجوز . ترى هل بقي لي زمان لذلك . فاجابت الجارية ان الفرصة موافقة فضلاً عن ان حسن الارادة واستقامة النية تقومان مقام العمل لديه تعالى متى بذل الانسان جهده وافرغ جدّه . فقالت العجوز امضِ اذاً الى الكاهن واستحضريه لهنا على وجه السرعة لان وفاتي قد دنت . فذهبت الجارية واشاعت الخبر واعلمت اهل الدار بما جرى . وبادرت من ثمّ لاستدعاء الكاهن . فحضر و سمع اعتراف تلك المنازعة . فلم يتم اعطاء الحلة الّا وسلّمت روحها لله خالقها .

فحينئذٍ قصّت الجارية كلّما جرى بينها وبين مولاتها . فوُجدت في كتاب صلواتها صورة البتول القديسة على رقٍ غزال متقنة التصوير جميلة . فقبّلها الحاضرون تشكرًا للمعروف واظهارًا للممنونية بهذا الارتداد المشتهى والغير المتوقع الحدوث . فعلم الكاثوليكيون بذلك فسبّحوا الله وباركوه . اما الاراتطقة فارادوا اطفاء صحة الخبر فخاب مسعاهم و رويت هذه القصة عن الجارية نفسها *

فكما قدمنا القول ان هذه الحوادث الاخيرة الموردة منا لم نأت بها نموذجًا للاقتفاء حتى نطمئن انفسنا في المثابرة على الخطاء وارتكاب المعاصي مؤخرين ارتدادنا الى ساعة الموت . لكن من شأن مثل هذه الحوادث ان تعلّمنا كم هو ضروري ومفيد حث المنازعين في ان يتوكلوا على مريم البتول ، وكم يلزم ان نحرّك انفسنا على عبادتها والثقة بها عليها السلام في مدة حياتنا لاسيما عند مماتنا *



* المثل السادس والثلاثون *

* في حجر الفلاسفة *

انه من جملة المسافرين مع احدى القوافل كان تاجر اسمه عبدالله وراهبان احدهما يُدعى توما والآخر مرقس متوجهين جميعاً الى احدى المين البحرية قاصدين السفر الى بلاد الهند . امّا التاجر فلاصلاح احواله والرهبان فلاعمال الرسالات الدينيّة . فلما قامت الرحال واخذت في السير ، فالتاجر مسايرةً للحاضرين وصرفاً للوقت على وجه الصفا والانشراح

بدأ يتحدث قائلاً من نفسه: اكاد اصير راهباً . على اني سافرت ثلاث مرات الى الهند وانا على ما كنت عليه من سوء الاحوال ولم ازل صفر اليدين لا املك شيئًا . فلا مال لي ولا زوجة ولا ولد . فما الذي يمنعني من ان اكون راهبًا . فعندها اجابه الاب توما قائلاً : فاذا كان ذلك كذلك ولا تعلّق لك بالدنيا لماذا لا تتمم مقصدك وتجريه . فقال شيخ القافلة . لعمري ان هذا الرأي صوابي . فاجاب التاجر اني ابتغي السفر هذه المرة الرابعة الى الجزائر الهندية لعلي انجح بمسعاي . ثم اردف كلامه بكلامه قائلاً : لعمري ان من يملك الحجر الفلسفي لسعيد . فانه يغتني بلحظة واحدة ولا يحتاج الى مقاساة الاسفار والاتعاب . فاجابه الاب توما قائلاً : ان كان هذا الحجر يجعلك سعيداً وشاء خاطرك فاعطيك اياه فقال التاجر . كيف لا اشاء ذلك وانا لا اتمنّى سواه . اعطنيه جزاك الله خيرًا . قال هذا وبسط يده للاب توما . فعند مشاهدة هذه الحركة واستماع ذلك الوعد صغت الحاضرون وتفرّسوا مؤملين ان يروا ذلك الحجر الشهير ينبوع الغنى . بل جرى بنا القول ان

يروا ذلك الوهم العجائزي جنون الكيماويين وعلة فقرهم وعنوان سخافة عقولهم . فحينئذٍ قال له الراهب : من اي جنس تريد ذلك الحجر. فاجابه التاجر لعله على اجناس مختلفة . فقال الراهب . اي نعم . فمنه ما يحيل المعادن ويغيّرها الى فضة . ومنه ما يغيّرها الى ذهب . فاجابه التاجر اعطني الحجر الذي يحيلها الى ذهب . فقال الراهب : لقد اجبت بالصواب. على انه ينبغي ان نختار دايماً الاحسن . لكن قل لي الآن. من اي جنس تريده: لان من الاحجار ما يغيّر المعادن الى ذهب وذلك على نصف سنة او على سنة كاملة او على سنتين . ومنها ما يغيّرها الى عشر سنوات . ومنها الى عشرين ومنها الى خمسين . ومنها الى ماية . فاجابه التاجر اعطني دائماً الاحسن . اي اعطني الحجر الذي يغيّر المعادن ويحيلها الى ذهب على ماية سنة . فقال الراهب : ولِمَ ذلك وانت لا تومل ان تعيش ماية سنة . فاجابه التاجر . اي نعم لا اومل ان اعيش هذه المدة لكن على كذا الاحوال لا بأس بذلك . فانني استخدمه مستنفعاً منه طالما انا في الحيوة وما

اعمله به من الذهب يبقى لبعد حين *

فحينئذٍ قال له الراهب : فلو اعطيتك حجراً بتغييره المعادن الى ذهب على مائة سنة يبقيك في الحيوة مائة سنة ايضاً . فعندها تهلل التاجر فرحاً وصاح قائلاً: ناشدتك الله يا ابت. اعطني هذا الحجر. فقال الراهب : لكنه بعد تلك المدة يقتضي ان تموت . فاجابه التاجر . لاشك بذلك . لكن ما العمل فاقله اكون عشت مدة طويلة على ارغد عيش واهناه . فقال الراهب . اراك تحب الحيوة وتحبها سعيدةً . والحالة هذه انـي ارق لحالك فينبغي ان اعطيك الحجر الفلسفي الحقيقي الذي يغيّر كل شيء الى ذهب وذلك الى مدة لا نهاية لها ويبقيك في الحيوة ابداً و سرمداً . فقال التاجر ما هو هذا الحجر وعلى اي شيء تتوقف خاصيتهُ ومفاعيله . فاجابه الراهب . ان مفاعيله تتوقف على ان تعمل كل اعمالك حباً بالله تعالى وان تقاسي كلّما يلمّ بك من المشقات والاتعاب والاكدار حباً به جلّ وعلا . والّا تفتكر بشيء ولا ترغب شيئاً سوى لاجل مجده وحبه تعالى . فان هذا الحب المقدّس يغيّرك

ويحيلك الى ذهب مدى الدوام ويمنحك حيوةً تحيى بها الى الابد . فعندها التفت التاجر للاب توما وقال له : قد لحظت منذ اول كلمة تفوهت بها انك تهزأ وتسخر بي ، فانا ما اعنيت قط عن هذا الذهب بل عن ذلك الذهب الخالص الصافي الرنّان . فقال له الراهب ألعلك تفتكر بان ما يبقى ويدوم مدى الدوام ليس هو اصفى مما يبقى مدة محدودة لا غير . وانٍ الخيرات المؤبدة التي توليك حيوةً سعيدةً مخلّدةً لا توازي خيرات لا تحجب الموت عنك ولا استطاعة لها ان تهبك الحيوة والصحة ولا يومًا واحداً . فاجابه التاجر: نعَم ما تقول لكن ها ان هولاء الحاضرين جميعاً لا يقبضون هذه العملة ولا يتعاملون بهذه الدنانير . وكان باتفاق جميل حضر شيخ القافلة وجماعته يطلبون اجرة الدرب من المسافرين *

فلدى وصولهم الى احدى المدن البحرية حطت بهم القافلة وتوجه كلٌ الى حال سبيله . ومضى الراهبان سويةً وفيما كانا سائرين في الطريق قال الاخ مرقس للاب توما: لقد اعطيتنا يا ابتِ حجراً فلسفياً عظيماً لا اعلم اذا كان

التاجر يستفيد منه . اما انا فاني استعمله دائماً .
فاجابه الاب توما قائلاً : حسناً تصنع لكن لا تتغافل
عن ان تتضرع الى الله تعالى لاجل ذلك التاجر
انه صغي لكلامي اصغاءً اوصل منه الخير . فقال
الاخ مرقس : اني ازعم يا ابتِ ان من عمل
اعماله لاجل غاية صالحة فانه يحيلها الى فضة . كقولك
من عمل عملاً صالحاً ووزّع الصدقات لاجل محو اثامه
وخطاياه او لاجل نوال نعمة عدم الرجوع اليها
فكأنه يربح الفضة . لكن من عمل ذلك لاجل
حب الله تعالى فانه يربح الذهب . فاجابه الاب
توما قائلاً : اعلم يا اخي الحبيب ان سبب حب الله
تعالى لا يمنع الاسباب الاخر . فلو عملت عملاً لاجل
سبب ما خصوصي مثلاً لاجل محو خطاياك
يمكنك الّا تقف عند ذلك بل ان تتقدم
الى ما قدام وترغب محوها لاجل حبه تعالى
ولاجل مجده وتقديس اسمه المثلث القداسة .
فحينئذٍ يتحول كل ذلك متغيراً الى ذهب .
على انه يقتضي ان نوجّه كل شيء الى الله تعالى
خلاصنا وتقديسنا وكمالنا وكلما يلاحظ خيرنا .

فقال الراهب : ارى الآن اني متأخر جداً الى الوراء لقصر معرفتي وعدم ارشادي . لكن من الآن وصاعداً اوجّه كل شيء رأساً لحبه ومجده تعالى . وفيما كانا على مثل هذه الاحاديث وصلا الى المينا وسافرا منها الى الهند *

وكان بعد اربع سنوات اضطر الاب توما ان يرجع الى بلاده لقضا مصالح رسالته . فعند وصوله الى اول دير من رهبنته اندهش متحيراً لما رأى بواب ذلك الدير مسرعاً اليه من بعد وعانقه قائلاً : احمد الله يا ابت توما على رجوعك بالسلامة . اني على فرح عظيم وسرور جزيل لمشاهدتك ايها الجليل . فاجابه الاب توما قائلاً : المعذرة يا اخي الراهب . لا يخطر لذهني باني اعرفك ولا باني شاهدتك اصلاً . فقال الراهب : انا بواب الدير . فاجابه الاب هذا كمال معرفتي بك ولا علم لي باكثر من ذلك . فقال له الراهب البواب : أَما اننا سافرنا سويةً وكنا في قافلة واحدة : فحينئذٍ تفرّس به الاب توما متاملاً وقال له : لعلك ذلك التاجر حبيبنا . فاجابه البواب : اي نعم انا هو التاجر الذي اعطيته الحجر الفلسفي .

فغب مبارحتي لكن لم افتكر سوى به. *

فعوضاً عن ان اسافر الى الهند دخلت الرهبنة ولم انسَ ذلك الحجر الفلسفي. على اني اجدّ في استعماله على ممر الدقايق والساعات. قال هذا ودخل كلاهما الدير فاجتمعت الرهبان لمقابلة الاب توما واخذ البواب ذلك التاجر القديم المسمّى حينئذٍ برتلماوس يقص عليهم القصة. فاستفاد الجميع منها واخذوها إسّاً لاعمالهم. على انهم شرعوا يمارسون كل شيء ويقاسون كل شيء حباً به تعالى. فلنقوِّ قلبنا ونحرك همتنا على ممارسة هذه الفضيلة المقدسة العذبة المفيدة الخلاصية. على انها هي الغنى المحض الحقيقي. هذه هي الحجر الفلسفي الحجر المكرّم الحقيقي *



* المثل السابع والثلاثون *

* في ابنةٍ يتيمة بلغت مناها *

إن رجلاً من الاعيان الشرفاء يُدعى صادقاً توفت امرأته ولا ولد له. فلما رأى ذاته عند ميلان العمر

والتوانه هجر العالم وتنحى في ضيعة تخصه واخذ يجدّ من ثم في الاعمال الصالحة مهتماً بامر خلاص نفسه . وكان من عادته ان يحضر يومياً في آنٍ معيّن الى باب قصره واتباعه تحمل المواكيل ولحوماً وخبزاً ودراهم يوزّعها صدقةً على من حضر اليه من الفقراء *

فكان من جملة الفقراء البائسين الملازمين التردد الى باب قصر هذا الامير ابنة تُدعى امينة تبلغ من العمر اثنتي عشر سنة . فكلما اخذت صدقة منه كانت تبادر مقبّلةً يديه . ولما كانت مؤتلفة على هذه العادة وحدها دون غيرها من الفقراء لحظت اهل الاحسان هذا الامر من الممنونية ومعرفة الجميل واخذ صادق يزيد نحوها العطاء . بل وانه تفرّس بها فوجدها على جانب من الجمال مع كونها بهيئة رثة واثواب خلقة . فقال صادق في نفسه يلوح لي بان هذه الابنة ذات مزايا حميدة وسجايا فريدة . فبما انها تظهر لي الممنونية والمعروف فاني اريد لها الخير. لكنه ينبغي اولاً ان امتحنها مجرباً *

ولما كان الغد حضرت امينة على جاري عادتها

فاعطى صادق كلًّا من الفقراء صدقةً ولم يعطِ امينة شيأً . فذهب الكل ولم يبقَ احد سواها . فحينئذٍ قال لها صادق قد توزّعت الصدقة كلها ولم يبقَ ما نعطيكِ . فتقدمت الابنة اليه وقبّلت يديه وسارت في حال سبيلها . فقال صادق في نفسه . لعمري انها لقد احسنت التصرف اليوم . فلننتظرنّ الغد لنرى ما يكون منها . ولما كان اليوم الثاني اعطى الجميع دونها . ولما بقيت وحدها عبس بها صادق واخذ يكلمها بفظ الكلام قائلًا : ايتها الابنة لم تبقَ صدقة نعطيكِ اذهبي بسلام . فكان من امينة ان تتقدم اليه وعلى جاري عادتها قبّلت يديه ومضت . فانسرّ صادق لذلك وقال : لعمري لقد يشق عليّ كسر خاطر هذه الابنة . فاني امتحن امانتها ثالثةً . فان ثبتت عليها فما من خير الاّ واوليتها اياه . ولما كان الغد جرى الامر على ما تقدم فاخذت الفقراء كافةُ صدقةً واما امينة فلم تُعطَ شيأً . فذهب الجميع وبقيت وحدها . فتقدمت على مألوف عادتها وقبّلت يدي صادق . فقال لها ايتها الابنة اتبعي الخدام واذهبي الى الكلار فتُعطي ما تغتذين

به . فقالت له يامولاي إن ما اخذه من الصدقة ليس هو لي وحدي بل لامراة قد ربتني وانا مقيمة عندها.فاحب ان تكرم عليّ اتباع مولاي بما اخذه لها من ان آكل والتذ وحدي . فقال لها صادق اذهبي الى الكلار وكُلي ما يُقدّم لك .ومتى اكتفيت فعندي كلام اخاطبك به وحينئذ يُعطي لك ما تاخذينه لمربيتك . فلما قامت الابنة عن الاكل نزل صادق الى الكلار وطلبها فحضرت اليه فسألها قائلا : كيف افتكرت بي يا فتية في هذه الايام الاخيرة حيث منعت عنك العطا . فجاوبته الابنة لم افتكر شيأ يامولاي . فقال لها صادق لا بد لي من ان اعرف ما كانت افكارك . اصدقي في القول لا تخفي شيأ .فاجابته امينة قائلةً : والحالة هذه فتبعاً لامر مولاي ابدي له ما كانت افكاري . اعلم ياسيداه . اني قد افتكرت في نفسي قائلةً: ان كان ما جرى قد جرى على وجه الصدفة والاتفاق فما تلك الّا مشيئة الله ربي . فينبغي من ثمّ التصبّر والاحتمال . وان كان ذلك جرى قصداً من مولاي صادق فما هو الّا لخيري . فلا بد من ان يكون له مقاصد

تأول لنفعي . فقال لها صادق : ولمّا كان اليوم الثاني وظهرت امارات الغيظ على وجهي واخذت اكلمك بفظ الكلام فما الذي افتكرت به وقتئذٍ . فاجابته امينة قائلةً : ان ذاك مما أكّد لي بان مولاي اتى به قصداً . فانسريت لذلك واملت منه الخير . فحينئذٍ التفت صادق الى من كان حاضراً من اتباعه يستمع هذه الاحاديث وقال : ترى هل يمكن بان مثل هذه الافكار تخطر لذهن ابنة مثل هذه حديثة السن . ثم التفت نحو الابنة وقال لها : فلو عاملتك مدة على هذه الصورة ترى ما الذي كنت تبدينه . فاجابته الابنة قائلةً : لقد كنت اومل واترجى دائماً . فعندها قال لها صادق اذهبي يا ابنتي وخذي طعاماً لمربيتك وقولي لها ان لي كلاماً اقوله لها فاحضرا كلاكما لديّ *

فلنضربنّ صفحاً عمّا جرى بعد ذلك . فيكفي القول بان صادق علم من تلك الامراة ان امينة كانت بنت احد اصحابه الشرفاء . وان والدها مات كمداً بسبب دعوى خسرها مع ورثاء زوجته وكان بها خرابه . فحينئذٍ اخذ صادق تلك الامرأة عنده وربى امينة

تربيةً تليق بشرف مقامها واحبها حبًا ابويًا كأنها ابنة له وبعد مضي سنوات زوجها بابن اخ، كان له واقامها وريثةً شرعية لكلما يملكه *

لعمري ان هذه القصة لطيفة توعب القلب حنوًا . فلنمعنّ النظر فيها آخذين منها بعض نتائج خلاصية . فاننا نرى بجودة صادق واحسانه شبهًا ولو ضعيفًا خفيفًا بجودة الله تعالى واحسانه ولمقاصده الخيرية نحونا . ونرى في سيرة امينة وتصرفها ما ينبغي علينا من التصرف نحوه تعالى *

ان الله سبحانه وتعالى يعطي جميعنا عطاءً غزيرًا وافرًا فلنسدينّ له الشكر عن احسانه . فاذا اعطى لغيرك زيادة عنك . اشكرنّه تعالى مقبلاً اياديه . واذا اظهر قساوة نحوك . اشكرنّه ايضًا والثم اياديه وثق متأكداً بانه في كلما افتقدك به تعالى من المصائب والاحزان لا بدّ له من مقاصد تأول لخيرك . فالثمنّ اذاً اياديه الكريمة . ان الاناء المصطفى قد اختصر لنا الحيوة الروحية اختصارًا عجيبًا ساميًا اذ انه يوصينا بان نشكر الله تعالى على كل شيء بواسطة ربنا وسيدنا يسوع المسيح . ان ما يسد ينابيع

الخير والنعم عنا انما هو نكران الجميل والاحسان . قال بطرس هامة الرسل: أما تعلمون ان ثمرة صبركم هو الارث السماوي . فان شئت اذاً ان تبلغ المنا كن عارفاً الجميل والاحسان . على انه بمعرفة الجميل والاقرار بالمنّة تبلغ مناك فيكون من ثمّ الله لك اباً ويسوع عريساً والسماء ميراثاً *



* المثل الثامن والثلثون *

* في النظّارة المعظّمة *

خبرنا الكاردينال سفروندراتوس احد علماء رهبنة ماري مبارك حادثاً مضحكاً جرى عند وفاة راهب يسوعي نمساوي الاصل يُدعى الاب تانيروس من ذوي الفضل والفضيلة ممتاز بالعلم والتقوى . فلما كان هذا الاب متوجهاً من براك الى ايسبراك لاستنشاق دواء وطنه مراعاةً لحال صحته واملاً بتقدّمه للعافية . ازاد السفر مرضه واماته في الطريق وكانت وفاته

في قرية لم يذكر لها المؤرخ اسماً . فبحسب شريعة المكان حضرت حالاً اهل المحكمة والشرع لمحل وفاة الميت واجروا قيد امتعته. فوجدوا من جملتها علبةً صغيرةً ذات هيئة غريبة . فتفرّسوا بها واندهشوا من تكوينها. على انها بانت لديهم سراً من الاسرار وبجهلهم بامر صناعتها اشتبهوا بها . فكانت العلبة سوداء مكوّنة من الخشب والبلور . وقد تفاقم انذهالهم وتعاظم عجبهم لما تفرس بها احدهم واحدق نظره في البلورة الاولى منها فخاف وارتعد ورجع الى الوراء صارخاً : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وهكذا قال كل من نظر فيها وتفرّس بما كان في داخلها . على انهم رأوا في تلك العلبة حيواناً حياً اسود ذا هيئة مهولة وقرون طويلة وكبر جسيم . فخافوا جزعاً وحارت افكارهم بامر ذاك الحيوان المريع . وفيما انهم كانوا على هذه الحال واذا بشاب قد كان انهى علومه وخرج من المدرسة حديثاً فاخذ يشرح للحاضرين بان الحيوان الذي ضمن العلبة هو اكبر حجماً من العلبة نفسها . وانه على هذه الصورة يكون ما في الظرف اكبر من الظرف ذاته . الامر الذي يضاد كل مبداء طبيعي ويستحيل

حدوثه طبيعياً . ونتّج من ذلك قائلاً : ان ذاك الحيوان لم يكن حيواناً مادياً هيولياً بل انه روح بهيئة حيوان . فتهلل الجميع من ملاحظاته وبيان تعليلاته . وما من احد الاّ واقنع نفسه بان ذاك الحيوان هو الشيطان بالذات مستقر ضمن العلبة . بل انهم نتّجوا نتيجةً اخرى جلية مبنية على القياس المنطيقي وهي ان صاحب العلبة لم يكن الاّ ساحراً . فشاع من ثمّ خبر تلك الحادثة الشيطانية . فبادرت اهل القرية الى ذلك المحل واراد كلُ ان يرى العلبة وما فيها . واخذوا يخاطبون بعضهم بعضاً بكل دهشة واندهال قائلين : اليوم قد رأينا الشيطان *

ولما كانت العلبة تنتقل من يدٍ الى اخرى كان القاضي واهل المحكمة يقيدون تركة الميت ويصورون صورة الدعوى عليه . فحكم القاضي بان لا يُدفن الميت في مقبرة المؤمنين واصدر امره للكاهن في ان يباشر التقسيم الكنايسي في الكنيسة لكي يخرج الشيطان من العلبة ومن كل البلدة . هذا هو منطوق حكم القاضي بدون زيادة ولا نقصان . اما ارباب بوليتيكة القرية وفلاسفتها توسعت افكارهم الى ما فوق ذلك

متحسبين تحسبات بعيدة . على انهم ارتأوا قائلين : ان سحر الاب تانيروس لا بدّ من ان يكون عموميًا لكل اهل رهبنته . ويلزم من ثمّ ابراز الحكم واصدار الامر بنفي جميعهم وخلعهم من الرهبنة . وفقًا لما جاء في الحكم الفلسفية والمبادي الشرعية وهو انه : في مسئلة الذنب من الواحد امرفنّ الجميع *

وفيما كانت الناس تنشغل بتلك الحادثة الغريبة وبامر ذلك الشك المريع وكلٌّ يتفلسف كيفما خطر في ذهنه . ومن ثمّ اضحت الافكار في قلق عظيم وهيجان جسيم واذا بفيلسوف من اهل بروسيا اجتاز في تلك القرية فانبأته اهلها بما جري عندهم في ذلك النهار وقصّوا على سماعه الاشاعات المتناقلة على شفاه الناس . فلما سمع ذلك الفيلسوف بيسوعي ساحر وشيطان ضمن علبة هزاء بالرواية والراوي . فحضرت اكابر القرية اليه . وسلّموا عليه واستهموه ان يحضر بذاته ويشاهد بعينيه . تلك الحادثة . فاستجاب طلبهم و وافق رغبتهم . فلما قدّموا له العلبة السحرية قهقه ضاحكًا وهتف قائلًا : يا ترى هل يمكن بان اهل هذه البلدة تجهل للآن ايجاد النظّارة المعظِمة . والتفت من ثمّ

اليهم مكرراً القول عليهم : ان هذه هي نظّارة معظِّمة ، ان هذه نظّارة معظِّمة . اما هم فلم يفهموا كلامه ولم يعوا لما قاله . فكان كمن يخاطبهم بلغة اجنبية على ان تلك اللفظة وذلك الاصطلاح كانا مجهولَين منهم . بل انهم ارتابوا به واوقعوا الشبهة عليه . ولقد كانوا احتسبوه ساحراً اخر لو لم يسرع برفع الشبهة عنه واخذ يفك ما لاح لديهم من السحر . فاخذ العلبة وازاح عنها الغطا فارتفعت معه بلورة النظّارة ثم قلب العلبة واذا بخنفسة صغيرة سرَت منها على الارض . وبداء الفيلسوف يشرح لهم ذلك السر واحوال النور مع قوّة البصر . فاقنع الجميع بشروحاته وقوة ايراداته . وخلفت من ثم حادثة غريبة على اخرى مثلها . على ان ذلك الحيوان اي الدويبة بانت للناظرين اضحوكةً وهزؤًا بقدر ما بانت لديهم اولاً جسيمة مهولة ضمن العلبة . فحينئذٍ ارتفعت الشبهة من افكارهم وزاحت الاوهام من عقولهم . فمزق القاضي حكمه وتحسّن اعتبار المتوفي واصطلحت سمعته . ورجع كلّ الى بيته ضاحكًا . وقد وجد هناك اناس عقلاء اشاعوا في كل جهة حادثة الاب تانيروس لكنهم لم يتحدثوا

الاّ من العلبة وحكم القاضي والغوا ذكر الفيلسوف والنظّارة المعظّمة *

فهذه القصة مع كونها مضحكة هزئية فانها تقدم لنا تعليماً جديداً من شأنه ان يصلح بنا ثلاث نقائص *

اولاً . اسراعنا بالحكم على الغير سوًا على اننا لا نرى نقائص الاخرين الاّ في نظّارة معظّمة تعظم الاشياء تعظيماً بليغاً . فهذه النظّارة المعظّمة هي قلبنا والبلورة هي خباثتنا . ليت شعري ترى ما هي هذه الفواحش والنقائص القبيحة الجسيمة التي نراها في قريبنا . لعمري ما هي الاّ خنفسة في نظارة معظّمة . ارفعنّ عنها البلورة فلا يبقى منها الاّ ما يُضحك منه ويوجب الشفقة على الغير *

ثانياً . سهولة تصديقنا ما يُقال من القبيح عن الغير . فكن متأكداً بان من يتكلم سوًا وشراً عن الغير لا يتكلم به الاّ بموجب النظّارة المعظّمة . واذا ادّعى بانه رأى وشاهد فيكون رأى في نظارة معظمة . واذا نقل عن الغير فنظارة معظمة تنقل عن مثلها . على انه بقدر ما تتناقل الحوادث عن افواه كثيرة بقدر ذلك تتغير عن اصلها وتُزاد اضافات والحاقات

كثيرة . وتكثر من ثمّ النظّارات المعظّمة وتزداد عدداً . لكنّك اذا ما رفعت عنها البلورة ترى ما الذي تراه حينئذٍ . لعمري انك ترى خنفسة ضمن نظارة *

ثالثاً . رغبتنا في نقل اخبار السوء والشر الذي نعلمه ونعهده في القريب *

فلا تكن ذا نيةٍ منحرفة ولا تقل بانك رايت حيواناً جسيماً في علبة بدون ان تأتي بذكر النظّارة المعظمة . واذا لم تشاء ان تتكلم عن النظارة فلا تتكلم عن الحيوان الذي لا يستحق الذكر . دعه على ما هو عليه . فهو ضمن نظارة . اواه ترى كم من البلدان والمدن والبيوت التي تجهل للآن اكتشاف النظارة المعظمة وخداعها *



* المثل التاسع والثلاثون *

* في المظلوم المنتقم له *

لما كان اريستيين الفيلسوف سايراً في ازقة مدينة

تيبيس من بلاد اليونان رُشق بحجر . فالتفت الى الرامي فرآه شاباً قوياً شجاعاً . فدنا منه واخرج ديناراً من جيبه وقدّمه له قائلاً : جزاك الله خيراً عمّا اوليتني من المعروف . لكن المعذرة يا فتى لانني لا احمل الآن ما اكافيك به عن الاحسان نحوي سوى هذا الدينار. فاقبله مني وغضّ الطرف عني ولك الفضل والمنّة . فلو ملكت اكثر من هذا لاحسنت جزاك . قال هذا واوما للشاب عن رجلٍ مجتاز في الطريق فقال له : هاك بانسان يسير امامك فاذا ما عاملته نظير معاملتك لي فانه يبالغ في جزائك ويكافيك حق المكافاة عمّا ابديته نحوي وعمّا ستبديه نحوه . وكان ذلك الانسان الملك ايبامينونداس الشهير ذلك البطل الشجاع الفريد بين قواد جيوش اليونان . فكان الملك اذ ذاك راجعاً الى بلاطه مصحوباً ببعض القواد وقدامه جنود تعتقل الرماح . اما الشاب فحركته الاطماع واقتنع من كلام الفيلسوف ودنا من ذلك الرجل ورشقه بحجر على ظهره ثم اقام في مكانه مستنظراً نوال الجزاء والمكافاة . فركضت اليه الجنود

فضربوه واهانوه . ثم اوثقوه بالقيود واستاقوه الى السجن . وكان الفيلسوف اذ ذاك واقفاً في الطريق . فلما رآه الشاب صرخ به قائلاً : يا لك من مكّار مخادع . لقد مكرت بي يا خائن . ها حسن الجزا الذي جوزيتُ به . فاجابه الفيلسوف قائلاً : لقد قبلت ما تستحقهُ من الجزا والثواب . فاني لم اغشك ولم امكر بك يا اسفه السفهاء واقبح الاشقياء . فما غشتك الّا نفسك وما خدعك الّا طمعك . لقد زعمت يا شقي ان تهين عابري الطريق عفواً . وترشق بالحجارة اناساً ادباء لم تخطر لهم ببال ولم يفاتحوك بمقال . أَما قلتُ لك ان هذا الانسان يكافيك عن نفسهِ وعني ايضاً *

فاقرّ الشاب معترفاً بضلاله واستماح من الفيلسوف التشفع به لدى الملك فلم يُعطَ زمان لذلك . فاستاقتهُ الجند الى السجن حيث قاسى امرّ العقاب واشد العذاب ومات اخيراً مشنوقاً *

فينبغي ان نعتبر هنا ثلاث اعتبارات :

اولاً . حيلة ذلك الفيلسوف . فالانسان المسيحي الضعيف المظلوم لا اقتضا له الى الحيلة . على ان الامر

محكومٌ به . فكل ضرٍ وشرٍ تبديه الناس ضده . فكأنهم قد ابدوه نحو ملكه السماوي . اما هو فما عليه سوى ان يحسن الصبر ويفرح مسرورًا بما اعدّه له مولاه من الجزا . متضرعًا له تعالى لاجل من اساء اليه . حتى انه بصدق التوبة والندامة واصلاح احوال نفسه ينجو من العذابات القاسية التي اعدّها ملك الابدية لمن اخطاء وخالف ناموسه الالهي *

ثانيًا . جهل ذلك الشاب . لا غرو انك تعتبر ذاتك بانك اعقل واحكم منه . زاعمًا بانك لا تسقط بفخ ولا تتعرقل رجلاك باشراك نظيره . اما انا فقد تأكدت ذلك وحققته وعلمت بانك لا تفعل بانسان ، ذي اعتبار ومقام قدير في ان يقتص منك مما تبديه ضده من الاسوآء ما تبديه وتفعله يوميًا نحو من هو احط منك قدرًا ومن لا اهابة له ولا اعتبار لديك . لكنك بهذا اشد حماقة وغباوة من ذلك الشاب الجاهل نفسه . على انك تعلم جيدًا بان كلّما تفعل من السوء وتبديه من الجور والعدوان وتسببه من الحزن والاكدار لاحد هولاء الصغار فانك فاعله نحو ملك السماء القهار . على انه قال وهو اصدق قائل : بانه يحتسب ذلك مصنوعًا به *

ثالثاً . صرامة العقاب . اذا ما بان لك العقاب شديداً فاعلم بان الذنب ولو كان خفيفاً اذا ما اتجه ضد الملك فيضحى كبيراً جسيماً . ويستحق من ثمَّ اشق العذابات . خف واخشَ من ان تهين احد اخوتك هولاء الصغار فانك بذلك تهين ملك السماء . الملك الذي اقتصاصاً منك وعقاباً لك قد اعدَّ سجون النار المؤبدة . فالاولى بك اذاً ان تبادر الى مساعدة اخوتك وتحسن نحوهم المعاطاة وتوليهم الاحسان . على ان كلّما تفعله نحوهم من الخير فملك السما يحتسبه مصنوعاً به . لانه قد صرّح قائلاً بفمه العزيز : مهما فعلتموه بهولاء الصغار فبي فعلتموه . وبموجبه يكافيك مجازياً بالسعادة الابدية وبهاء المجد السرمدي *

ليت شعري كم من الحب والغيرة ينبغي ان تلقي في قلوبنا هذه الحقيقة نحو فصيلة الوداعة والصبر . كم ينبغي ان تحرك بنا مراعاة خاطر القريب والتنازل نحوه والحب الصادق له *



* المثل الاربعون *

* في تشكي اهل قريطش الى المشتري كبير الالهة *
* وامامهم *

قال مولف هذه القصص والامثال ان هذا المثل مأخوذ عن اليونانيين ولم يتصرف به غيرهم سوى فيرجيليوس الشاعر اللاتيني ولما رأيناه ذا نتائج جليلة لابتنائه على المبادي الادبية الجميلة وجاء من ثم موافقاً المقصود ادرجناه في سلك هذه الامثال الحاضرة *

ان اهل قريطش قدّموا استرحاماً لديوان الاله المشتري قائلين فيه انه عيب عليهم وعار في انه مع كون جزيرتهم مسقط رأس ذلك الاله ومهد طفوليته . لانه ولد وتربى فيها ومع هذا لم ينعم على اهاليها بانعام خصوصي يمتازون به عن باقي سكان المسكونة وانهم من ثمّ يلتمسون من سخاء مراحمه الفيّاضة ان يخصهم بانعام يليق بعظمته وفيض جوده ثم وبحبهم ورق عبوديتهم له *

فارسل الاله المشتري عطارد وقال له : امضِ اليهم وبلّغهم رسالتنا وقل لهم اننا فوّضناهم الامر في ان يطلبوا منا ما يشاؤن . فاننا نعطيهم ما يتمنّون . واذا لم نستجب كلامهم اولاً وثانياً فاننا نؤذن لهم بطلب ثالث يلتمسونه من مراحمنا . فارتضت اهل قريطش بهذا الجواب وطابت خواطرهم وقرّت اعينهم وباتوا فرحين مسرورين لانشراح خاطر الاله عليهم *

فكان اول طلب طلبته الاقريطيشيون هو ان يُعافوا مدة حياتهم من الاشغال والاتعاب والمشقات والمصائب والاكدار وبالاجمال من كل شر وضير . فجاوبهم عطارد من قبل الاله المشتري بان طلبهم هذا قد تجاوز كل حد . على ان مثل هذا الاعفاء انما هو انعام خاصّ باهل السماء ويمتنع حباه لاهل الارض . فينبغي من ثمّ ان يلتفتوا الى طلب اخر سواه *

فكان من الاقريطيشيين ان يطلبوا طلباً ثانياً . وهو ان يؤذن لهم الاله المشتري بان يتقايضوا ويتبادلوا فيما بينهم المصائب والاكدار . فأذن لهم المشتري بذلك وعيّن عطارد محلاً يحضر اليه كل من رام

المقايضة والمبادلة . مصرّحاً لهم ان ذلك العرض يبتدئ في يوم عيّنه لهم ويبقي مدة ثمانية ايام متصلة . فبادر من ثمّ كلّ الى حزم مصائبه واتعابه وشدّ مسافراً الى المحل المعيّن . فلما رأت الفقراء الاغنياء اتين للمقايضة توهموا بانه ولا بد من ان يحصلوا على نتيجة تأول لخيرهم . لكنهم لما كشفوا على تلك التجارة وتأملوا تلك البضاعة ورأوا شدايد الاغنياء وحسدهم وغيرتهم وخوفهم واختشائهم فعدلت الفقراء عن المقائضة وولّوا راجعين الى مساكنهم . اما الاغنيا اصحاب الثروات الوافرة فقد كانوا مدحوا كثيرًا توسط الاحوال . فلما رأوا في ذلك العرض اناساً على غنى متوسط ركضوا اليهم وارادوا المقايضة معهم . لكنهم لدى نشر التجارة وتامل البضاعة رأوا شح اوليك المتوسطي الاحوال ومسك يدهم فعدلوا عن المقائضة ورجعوا الى محلاتهم . فلم ترَ في ذلك العرض سوى شارد ووارد متفرج وفاحص ولم يكن فيه من مقائض مبادل . فانتهت مدة الثمانية الايام ورجع كلٌ الى محله على ما جاء عليه . فلما رأت الاقريطيشيون طلبهم الثاني عديم الثمرة كالاول ولم يبقَ لهم من ثمّ

سوى طلب واحد فاجتمعوا سويةً وعقدوا ديواناً تشاوروا فيه في كيف يوجهون الطلب الثالث . وارتأوا في ان يلطّفوه عن الاول وان يكون صوابياً ممكن الاجراء لا كالثاني . وهاك ما قر به القرار *

اما طلب اهل قريطش الثالث فكان في ان قسمتهم في المصائب والاتعاب لا تعلو وتفوق على قسمتهم في المنافع والملذات والّا يعلو من ثمّ سوء حظهم على حسنه . وبالاجمال ان يكون مجموع خيرهم معادلاً لمجموع ضيرهم *

فحضر عطارد من لدن المشتري واعلمهم بان الاله قد استجاب طلبهم وصادق على رغبتهم . وانه يمنحهم ليس فقط المعادلة والمناسبة فيما يطلبون بل يزيد عليه ضعفاً اخر من الخير . اي ان مجموع الخير يفوق ضعفاً على مجموع الضير . فقبلت الاقريطيشيون هذه البشارة بالافراح والتهاليل وهتفوا باصوات الابتهاج قائلين : يعيش الاله المشتري ويعيش رسوله عطارد . ولما سكتت اصوات الافراح وهدأت واستولت السكينة وقرّت . اخذ عطارد يخاطب القوم قائلاً : يا قوم . من رام تغيراً في قسمته وحظه دليه بعدلين يضع باحدهما

النعم التي يتمتع بها وبالاخرى المصائب التي يقاسيها . وان يتأهبوا مستعدين ليوم معلوم ومحل مفهوم . فانا عطارد احضر لهنالك وازن كل ذلك . فان كان مجموع الخير لا يزيد ضعفاً على مجموع الضير فحينئذٍ امّا اني ازيد الخير او انقص الضير واضع من ثمّ المجموعين على الحالة التي انعم المشتري عليكم بها . واذا كانت الشرور لا توازي نصف الخير . فحينئذٍ امّا اني ازيدها او انقّص ذلك الخير . وهذا حفظاً للنسبة والاعتدال وهو من العدل والانصاف . فهتف الجميع قائلين انه لعدل وصواب . وذهب من ثمّ كلٌ الى داره واخذ يحزم عدول تجارته *

ولما كان اليوم المعيّن اتجه كلٌ بعدليه ولم يبقَ احد في الجزيرة الّا وحضر حتى وثمانية ملوك قريطش انفسهم اتوا الى المحل المعهود . فلما فهم عطارد بان كلاًّ قد اتى بعدلَين احدهما صغير والآخر كبير . ولم يكن يعلم ما كان ضمنهما رفع صوته قائلاً : يا ايها السادة الكرام اني لا استصوب وزن عدولكم من دون ان اعرف ما فيها . على انه اذا

كان احدكم على نعمة، متمتعاً بخير لم يضعه في عدل الخير فلا بد لي من ان اضعه فيه قبل ان ازنه . كما وانه اذا وضع احدكم شروراً وهميّة واضراراً مخياليّة لا صحة لها ولا حقيقة . او انه يكون هو نفسه سبباً لشرور يلقيها على هامه. وذلك بطوعه ورضاه فينبغي ان ارفعها من عدل الضير . على اني لا ازن ولا اعدّ حقيقياً صحيحاً ما كان شراً مخيلياً وهمياً او شراً مرغوباً منكم محبوباً . فقبل كلٌّ بهذا الايراد وصادق على هذا المراد بدون اختلاف ولا نزاع وان يكن صعب الامر على البعض وقلقوا منه ضاجرين ❊

فكان اول من قدَّم عدليه للوزن ملك كورتينا . ففتح عطارد عدل الخير فراى ان الملك لم يضع فيه نعمة استقلاليته وعدم خضوعه لانسان في الارض فوضعها من ثمّ ضمن ذلك العدل . وراى ايضاً ان الملك لم يضع ما كان عليه من نعمة حسن الصحة والعافية وحسن تركيب البنية وسلامة المزاج فوضعها عطارد ضمن عدل الخير . كما وانه وضع نعماً ومنافع اخرى قد كان الملك تركها . ثم حزم العدل وختمه واخذ يفتح عدل المصائب والمشقات فوجد فيه اولاً قلق الملك

وعدم راحة باله لعدم كفاءة قواد جيوشه . فقال له عطارد ان هذا الشر لايخلو من ان يكون امّا وهمياً او اختيارياً . فينبغي ان تعرف تنتخب حق الانتخاب او ان تأمر جيوشك بنفسك . ورفع من ثمّ هذا الشر من ذلك العدل . ثانياً وجد فيه عدم ثقة الملك بمدبري الخزينة . فقال له عطارد : وهذا ايضاً شر وهمي او اختياري . فرفعه من العدل وقال للملك : ينبغي ان تحسن انتخاب المدبرين وتفحص اعمالهم . على ان هذا الفرض ينطوي وينضم في سلك مشقات ادارة الحكومة ومتاعبها . وقد وضعت كل ذلك في عدل الشر والضر . ثالثاً وجد فيه خوف الملك مما يقوله الشعب في حق الحكومة . فقال له وهذا ايضاً وهمّي او اختياري . فاتقن العمل واحسن الادارة فيطلع الشعب على ذلك فحينئذٍ يتكلم عنك خيراً . واذا اتفق وتفوه احد شراً لا تباليَنّ بقوله اذا ما احسنت ادارة ملكك واتقنتها . فبعد ان رفع عطارد هذا الشر الثالث وغيره معاً حزم العدل وختمه ثم وزنه فلم يوازِ عدل المشقات والمصائب ربع عدل الملذات والمنافع . فلم يرد عطارد ان يعامل هذا الملك

بقساوة المعاملة وصرامتها فاضاف على عدل المشقات والمصائب حتى ربع اعترث الملك مدة سنتين ابتدأت من ذلك الموقف ورجع الى بلاطه مريضاً محموماً *

فلما رأت بقية الملوك تصرف عطارد مع ملك كورنتينا وانه كان تارةً يأمره واخرى يزجره وينتهره ويبالغ الفحص والتدقيق بأموره حملوا عدولهم ورجعوا الى ممالكهم *

ثم تقدّم بعد ذلك اول شاب من اعيان البلاد واشرافها . ففتح عطارد عدله فلم يجد فيه نعمة كونه لم يعلمه احدٌ من الناس سوى الملك وحده . ثم ونعمة الشرف بكونه يتسلسل من احد الجبابرة الابطال . مع انه كان دائماً يفتخر متحدّثاً عن شرف اصله وفخر اجداده . كما وانه لم يضع ذلك الشاب المنة والانعام بكونه اباً لاولاد ادباء مهذبين منعكفين على الخير . فحسب عطارد كل هذه النعم واضاف عليها غيرها وحزم العدل وختمه . ثم فتح عدل المصائب والمشقات فوجد فيه اولاً قلق ذلك الشاب وعدم راحة ضميره بامانة امرأته نحوه .

فاجابه عطارد ان هذا وهمّي فرفعه . ثانياً خسارة دعوى بليغة . فاجابه عطارد ان هذا طوعي اختياري . أما انك اعتماداً على اعتبارك ونفوذك بنيت دعوى لا صحة لها ولا اصل ولا حق لك بها *

ثالثاً . كونه عديم الحظ في اللعب . فاجابه عطارد ان هذا اختياري فينبغي امّا ان تتقن اللعب او لا تلعب ابداً . رابعاً علمه بكونه مبغوضاً من اتباعه . فاجابه عطارد وهذا ايضاً امّا وهمي او اختياري . اصلحنّ نقائصك فتكون محبوباً . فعندما اسقط كل ذلك حزم العدل وختمه ثم وزنه فرأى ان عدل الشر لا يوازي سدس عدل الخير ولكي يقرّبه من النصف اضاف عليه موت ابنه البكر فوصل خبر وفاة الولد وابوه حينئذٍ في ذلك الموقف . فسمع الخبر ورجع الى داره مأيوساً . فعندها رحلت بقية الشرفاء والاعيان وولّوا هاربين ولاوطانهم طالبين *

فتقدم بعلٌ ثالث وكان رجلاً تاجراً ففتح عطارد عدله فلم يجد فيه نعمة ربحه ثلاثة اضعاف بالواحد وذلك في بحر اربع سنوات لا غير . ثم ونعمة اتساع اسمه

وامتداد سمعته وزيادة اعتباره . وان الامر انتهى به الى ان حاز مراتب عالية وأُعدّ من الاشراف وضاهى الملوك باقتداره وغناه وعظمة منازله وجمال خيوله وفخامة عربياته وفخفخة ملابسه ونظام موائده. فاضاف هذه النعم على ما في العدل وحزمه وختمه . ثم فتح الاخر فرفع منه احتقار زوجته له لانها كانت اشرف منه اصلاً . فقال له عطارد . لماذا تزوجت بها . ثم خلاعة ولك . فقال له . ولِمَ ربيته على هذه الصورة . ثم حسن حظ جاره وغناه . فقال له : ولِمَ لا تفرح له بذلك . ثم قرضا تبلصه بين الاعيان والاشراف . ثم احتقار الاكابر له وعدم رضائهم منه . فقال له : لماذا تتردد عليهم وتنضم معهم . اخيرا وجد الشيخوخة . فصاح عطارد قائلاً : أما ان هذه تنضم في العدل الصغير. فوضعها فيه. ووزن الكل فوجد ان عدل المصائب والمشقات لا يوازي ثمن عدل النعم والملذات. فاضاف عطارد على الاول غرق مركب ذلك التاجر. وكان اذ ذاك راجعاً موسوقاً اموالاً ثمينة من الهند . وابلاه بصرع يستولي على مصدغيه كل ستة اشهر مرة . فسمع التاجر خبر غرق المركب فاستولى عليه وجع الشقيقة في

دقيقة الحال فركب في هودج ورجع مرتدًا الى الوراء *

فانصرف الثالث ولم يحضر اخر بعله بل حمل كلَّ عدوله ومضى راضيًا بما كان عليه من الاحوال ولم يعرّض نفسه للفحص والتدقيق *

ومن ذاك الحين كفّت اهل اقريطش عن ان تقلق اذان المشتري . فركنت افكارهم وقرّت احوالهم . فلنقتدينّ من ثمّ بمثالهم على ان هذا المثل يلاحظنا ويختص بنا فانه يوبخنا على ثلاث نقائص *

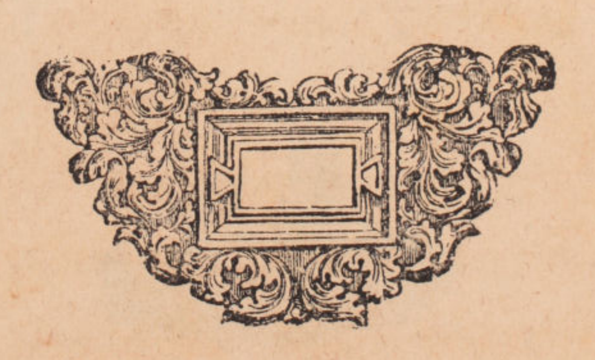
اولاً . على كبريانا . لاننا ننسى اننا بشر خاضعون للمصائب والمشقات . واننا موجودون في الارض محل التعب والاوجاع . واننا خطاة مديونون للعدل الالهي . فالاعفاء من كل الشرور والمصائب لا وجود له الا في السماء . فاذا رغبنا ذلك وتمنيناه فلنرغبنّ في السما ونتمناها مجدين في اكتسابها مستخدمين المصائب والبلايا لنوالها *

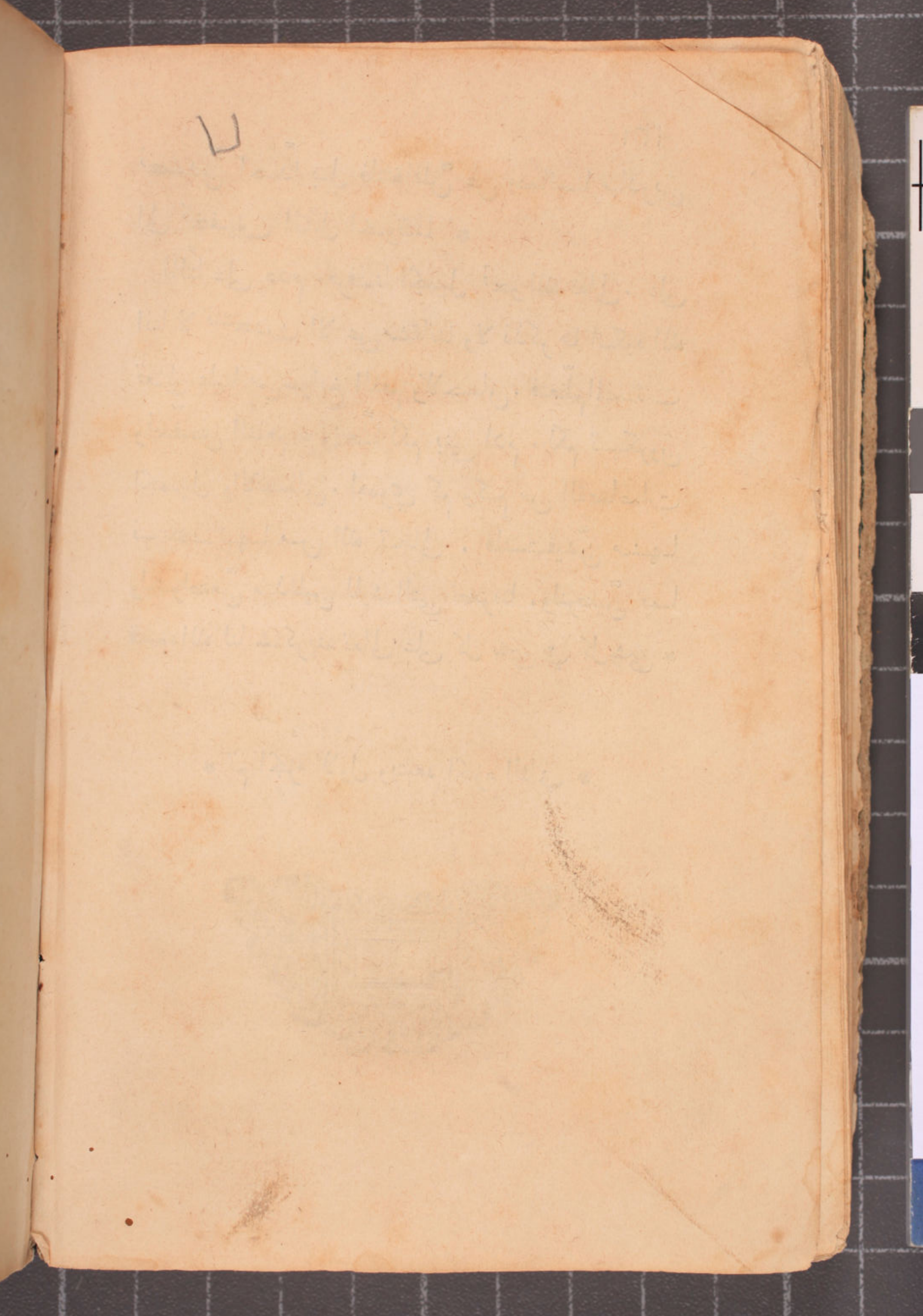
ثانيًا . على عدم انصافنا نحو الاخرين . لاننا نتوهم باننا نقاسي دائمًا اكثر من غيرنا . ليت شعري مهما احتملنا من المشقات وقاسيناه من العذابات فاننا نرى غيرنا يقاسي اكثر منا . فلا

نحسدنّ احداً بل فلنتغافلنّ عن مصائبنا مبادرين الى تخفيف اثقال اخوتنا *

ثالثاً على عدم معرفتنا الجميل نحو الله تعالى. على اننا لا نتحدث الا عن مشقاتنا ولا نذكر ما اسكبه الله تعالى علينا من سوابغ النعم والاحسان. فنعظّم المصائب ونخفّض النعم * ويحاً لكم بني ادم. لكم تنكرون الجميل والاحسان. لعمري كم وكم من القصاصات نستحقها من الله تعالى. فلنستفيدنّ منها ولنتواضعنّ متذللين لليد التي تضربنا. ولنرضينّ بما قسمه الله لنا شاكرينه تعالى على كل شيء في كل شيء *

* تم الجزء الاول ويتبعه الجزء الثاني *





الجزء الثاني

من كتاب القصص والامثال

للاب الجليل والعلامة النبيل

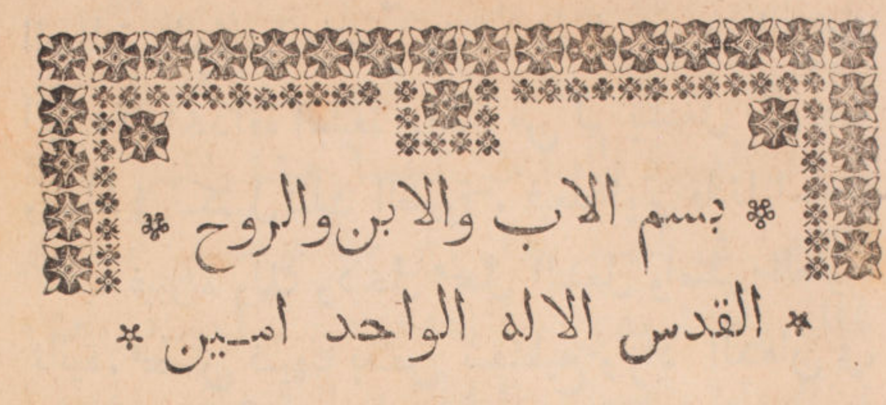
الپادري جيرودو اليسوعي

المكمّل

من العلامة شابيون

دى نيلون





بسم الاب والابن والروح
القدس الاله الواحد امين

المثل الاول

في الصورة

كان مصور وله ولد يتعلم عنده صناعة التصوير فلما مضى على الولد مدة من الزمان اخذ ارتفاع الصناعة وتقدم وبداء من ثمَّ يشتغل بها بذاته معتمداً على مجرد قريحته . فخطر لذهنه ان يأخذ خفيةً من ابيه بتصوير صورة قاصداً الاَّ يعلم بها والده ولا ان يطلعه عليها الاَّ بعد نهايتها وتكميلها . فاتفق بان اباه علم مقصده وذهب سراً عند غياب ولده واخذ قلم التصوير واصلح تصليحات جمَّلت الصورة وحسَّنتها . فلما عاد الولد الى محل شغله وشاهد الصورة على تلك الحالة الجميلة انسر سروراً لا يُلخص لاتقانه

الصناعة واحكامها مفتخرًا بذاته . لما بان منه من القريحة الجادة والحذاقة البليغة واخذ من ثمّ يشتغل بكل همة ونشاط في تكميل تلك الصورة . فبعد ايام قلائل استغنم الاب غيبوبة ولده ودخل محل الشغل واصلح الصورة ثانيةً . فحسّن فيها بعض تقاطيع وازاد الدهان في اماكن وخفّضها في غيرها وخرج من المحل ولم يشعر به احد . ولما كان الصباح خرج الولد من مخدعه ودخل محل شغله فاندهش منذهلاً لاتقان العمل واحكام الصناعة وقال في نفسه : لعمري يلوح لي بان البارحة جادت بي القريحة فاثمرت مثل هذه الاثمار الحسنة . وازداد من ثمّ عجبًا وتيهًا مفتخرًا بفضله وحذاقته . امّا الاب فكرر هذا الامر مرارًا مدة عمل تلك الصورة وكان الشاب من ثمّ ينحظ مسرورًا لنجاح عمله وتقدمه في الصناعة . وعند نهاية الصورة دخل الاب خفيةً على جاري عادته الى محل شغل ولده واخذ قلم التصوير فرفع عيوبًا من تلك الصورة وازاد عليها تحسينات وبالاجمال اصلحها اصلاحًا جعلها متقنة محكمة ترضي الناظرين وتسكّت المنتقدين . ولا حاجة للقول عمّا حاق الولد

من السرور والابتهاج وما استولى عليه من العجب والافتخار لمّا في صباح ذلك اليوم دخل محل شغله وتأمل الصورة فرأها على اجمل هيئة واكمل صنعة فازدهى في نفسه وقال : ان هذا هو عملي هذا هو شغلي وصنعة يدي . فاستدعى من ثمّ احباه ورفقاه في الصناعة واصحاب المعلوميّة في الفن لكي يشاهدوا تصويره وثمرة قريحته . فحضروا اليه ولدى مشاهدتهم الصورة قالوا له : انه لاشك ولا ريب في ان اباه اصلحها وحسّنها . امّا هو فاجابهم قائلاً : اني كنت مستنظراً منكم هذا الجواب لا محالة . لكن فليكن معلوماً لديكم ان ابي لا نظرها ولا علم بها . لانني صورتها خفية عنه واردت ان اذهله وادهشه عندما اريه اياها اول مرة . فذهب من ثمّ حالاً عند ابيه والتمس منه ان يحضر الى محل الشغل . فاستجاب الاب طلبه ولدى مشاهدته تلك الصورة اظهر امارات الاندهاش لما رأى من احكام الصناعة واتقانها وركض من ثمّ الى ولده وضمه الى صدره . وقبّل وجنتيه وهنّاه على تقدمه ونجاحه واوعظه الّا يكف عن العمل بل ينعكف على مهنته . على انه بحسن قريحته

الجوادة وحذاقته الفريدة لا بد من ان يأخذ محلاً اولاً بين اهل حرفته *

اما الشاب فانتفخ متعجرفاً وامتلئ تكبراً لما كان من انقان الصورة واحكامها . وزعم بان لا حاجة له لنصائح والده وارشاده . بل وانه في حال عجبه وكبرياه توهم بان ما اوصله الى تلك المرتبة من التقدم والنجاح انما هو مجرد قريحته لا تعليم والده وتدريسه له . وزد على ذلك انه تجاسر متظاهرًا لدى ابيه بانه يعتبر ذاته من اقرانه لا من تلامذته . فحينئذٍ اختشى ذلك الاب العاقل الحكيم من ان الكبريا تعمي عقل ولده . فاعلمه من ثمّ بما احتال به عليه وافهمه بان حسن الصورة وجمالها انما ينسب لقلمه لا لقلم ذلك الولد الجاهل العقوق . فيا لخجله ويا لتفاقم خزيه عند سماعه ذلك الخبر وتأكده صحة الامر . لعمري ان خجله لا يُلخّص وخزيه لا يوصف . لكنّه قد استحق ذلك بسوء فعله واجلب البلا على نفسه *

لعمري كم وكم من الناس الممثّلون بهذا المثل . ان من النساء من تسر بجمالها وتبتهج باوصافها وتتيه عجباً بحسنها وبهائها فتطلب المديح من

حسن تكوينها وتتفاخر بجمال صورتها كأن الفضل لها في ان تكون جميلة او كأنها قد كوّنت نفسها على تلك الحال من البهاء والجمال . او كأنّ ما هي عليه من الملاحة والمحاسن هو صنعة يدها *

انك ترى هذا الرجل ذا القريحة الجوادة . وذاك صاحب العقل الثاقب . وغيره ذا عقل ومعارف يفتخر الجميع بما هم عليه من الفهم والعقل . وما تلك الّا منّة من لدن مكوّن الكاينات ومجمّل المخلوقات الذي اوجد تلك المزايا في عباده وذلك بمجرد قدرته ومطلق ارادته ولا رأي لهم بذلك ولا علم . اذ ليسوا شركاؤه في صنع مصنوعاته . ترى ذلك الواعظ الذي لدى علمه بفوائد كانت من وعظه وارتدادات جرت عن يده ينسب المجد لقوة فصاحته وعظمة بلاغته . فيما ان ذلك ما هو الّا مفعول النعمة الالهية التي حرّكت القلوب عند طرق صوت وعظه الاذان . فالملوك تفتخر بعظمتها . والوزراء بحكمتها . وقواد الجيوش ببأسها ناسبين صولتهم وشوكتهم ونفوذهم وثمرة اعمالهم الى انفسهم . فيما ان كل ذلك كان مرتباً محتوماً به من العناية الالهية التي تجري كل شيء وفقاً

لمقاصدها الازلية . هذا ما صرح به الله تعالى على لسان اشعيا النبي الى سنحاريب الملك الذي كان يفتخر بكثرة فتوحاته قايلاً له :

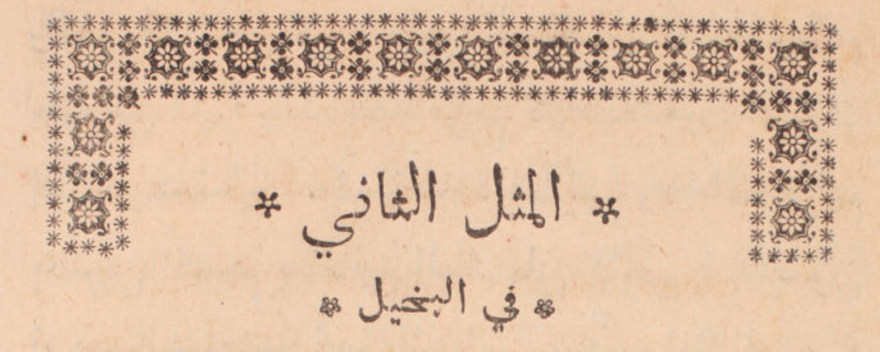
أَما سمعت ما فعلت منذ البدء اني جلبتها منذ اوائل الايام والآن جلبتها وتصير خراباً للاكام المتحاربة المدن المشيدة والذين فيها ضعفاء الايادي ارتعبوا وخجلوا وصاروا كعشب المزارع وكخضرة الحشيش الذي ينبت فوق السطح الذي يجف قبل الحصاد . انا عارف بمجالسك ومخارجك ومداخلك وسبيلك وغضبك عليّ وتجريت عليّ وارتفع كبرياؤك الى مسامعي . فاني القي زماماً في انفك ولجاماً في شفتيك واردك في الطريق الذي جئت فيه (ملوك رابع ص ١٩ ع ٢٥ الى ٢٩) *

فالشاب الممثل بهذا المثل قد تاه عجباً بفضله الكاذب وبحذاقة نسبها لنفسه حتى انه نسي ما هو مديون به لوالده بل وتجاسر في ان يقابل نفسه معه زاعماً : بانه مقارن له في الصناعة . فما هؤلاء صورة ومثال للانام المتفلسفين الذين يدعون بكونهم فلاسفة ويتيهون عجباً باوهامهم ويقول الكتاب انهم

ينسون خالقهم رب كل ما هم عليه من حسن المزايا والنعم . فبدلاً من ان ينسبون اليه تعالى عقولهم وما هم عليه من النيرة والذكاء تراهم لايستخدمون ذلك الّا لمقاومته تعالى . ثم ولشدة غباوتهم وسخافة عقولهم يعتبرون انفسهم كأنهم آلهة على الارض فيزعمون انهم يشرعون لها الشرايع ويسنّون لها السنن *

فاب ذلك الشاب الجاهل اراد ان يزيح عن عقل ولده برقع الكبريا والغرور فاطلعه على من جمَّل الصورة واتقنها . فهكذا الحق سبحانه وتعالى يفهمنا بصوت العقل والصواب . بصوت الديانة والوحي بان كل ما نحن عليه من الصلاح . كل ما نفعله من الخير يأتينا من لدنه تعالى . واننا لا نقدر على شيء بذاتنا . اما كبريانا فهي صمّاء عن هذا الصوت . فلما يكون اليوم الاخير وتظهر الناس امام منبر الديان العظيم . ليت شعرى ما يكون حينئذٍ خزينا وخجلنا عندما يكشف لنا الله امام اهل المسكونة ضعفنا وعجزنا ويطلعنا على شقائنا وعدمنا . عندما يلزمنا بان نقرّ معترفين بان كل ما كان سبباً ان نعتبر به ذواتنا ونسر بانفسنا مرتضيين منها لم يختص بنا ولم يكن

منـا ولا هو صنعتنا انما الفضل به لله وحده لا لسواه ❀



❀ المثل الثاني ❀

❀ في البخيل ❀

كان في احد المدن رجل شهير بالبخل والشح وكانت تظهر منه يومياً امارات بخلية قبيحة تشمئز الاذان من استماعها. وقد كان هذا الرجل تزوج بامرأة، تبغض البخل وتكرهه كرهاً لا حد له ولا قياس. فاعتنت هذه في ان تعد لزوجها احسن الملابس وافخرها وتصرف مصاريف تليق بمقامها. لكنّها ماتت ولم تترك له ولداً. فكان من زوجها حالاً بعد وفاتها ان يرجع الى ما كان عليه سابقاً من الاطماع والبخل القبيح. فاراد ان يبيع كل ملابسه واثاث بيته. لكنّه اذ لم يُعطَ اثماناً ترضي طمعه وضع كل ذلك في صناديق وقفل عليها مستنظراً فرص تصريفها بوجه، يوافق مرغوبه من الارباح. وقصد من ثمَّ الّا يلبسها ولا يمسها ابداً ليلا تنقص قيمتها. وبالحقيقة

كنت تراه ماراً في ازقة المدينة وشوارعها باثواب خلقة وامتعة رثة قذرة وسخة . باحذية عتيقة . بعمامة ممزقة على لبادة وخمة . فيما ان خزائنه كانت معباة ملابس ثمينة وامتعة ظريفة . فلا صرامة الشتا ولا شدة البرد احادته عن ملبوسه المألوف . بل كان في كل من الفصول على حالة واحدة من امر الملبوس بدون تبدل ولا تغيير . فأثر به من ثمَّ البرد تأثيراً شديداً فمرّضه واسقمه . وهو مع ذلك لم يكن يداوي نفسه ولا يأخذ علاجاً البتة ولم يشترِ شيئاً يخفض به اوجاعه وامراضه . فكثيراً كنت تراه بردانًا مجلداً ولم يقد ناراً يصطلي عليها . بل ولم يكن يغيّر ثيابه . فكانت تفني وسخاً على جسمه . فاضحى من ثمَّ ضعيفاً نحيفاً سقيماً مهزولاً مصفرّ اللون تأنف العين من النظر اليه . وكان يترك ذاته يهلك جوعاً . فيمضّي الليالي راقداً على التبن . تاركاً فرشه الثمينة لئلا تنحط وتنخفض من قيمتها ولم يكن يجلس على كرسي ولا على فرش لئلا تنتزع وتعدم . فمن سوء معيشته استولت عليه علل في جسمه والمّت به قروح لا دواء لها ولم يملك راحةً البتة . وهو مع ذلك لم يبالِ بامره

ولم يأخذ دواءً ولم يمارس علاجاً خوفاً من الكلفة والمصاريف ❊

لعمري ان هذا امر عجيب وتصرف غريب امر يُهزاء به ويُزدرى منه . ومع هذا فترى من يذم هذا التصرف ويستقبحه يقتفي به اشد اقتفاءٍ ويجعله دستوراً للعمل . فلا شك انك تقول ان هذا الانسان فاقد العقل . مجنون لكونه يفضّل ملابسه وامتعة بيته على جسده ذاته . ناشدتك الله قل لي يا هذا هل انت على اقل من ذلك بتفضلك جسدك على نفسك . بل أما قد فقته وسموت عليه بذلك بما ان النفس تفوق الجسد وتسمو عليه فووقاً لا حد ولا قياس له كفووق الجسد وسموه عمّا هو معد لخدمته من الملابس والامتعة لوقايته وصيانته ❊

فكأني اراك تسخط وتغضب من قولي هذا زاعماً انك تحب نفسك اكثر من جسدك . ناشدتك الله يا صاح صخ سمعاً فابيّن لك خلاف ما تدّعي وتزعم ❊

فاولاً . متى الم بجسدك الم او اعتراه مرض او جُرح جرحاً ولو خفيفاً بل ومتى شعر ولو بادنى الاوجاع

فتبادر الى الاطبا والجراحين وتأخذ الادوية وتحتمي اشد حمية. بل انك تستعمل كل ما هو مكروه منك حبًا بصحة جسدك. ليت شعري ترى هل انك تتصرف تصرفًا مثل هذا نحو نفسك المخلوقة على صورة الله ومثاله. هل انك تبادر الى الجرّاح الى الطبيب الروحي حالما تُرشق نفسك بسهام المآثم وتُجرح بنبل الخطية. عندما تثقلها الشهوات المفسودة بامراض شديدة ضالة. اواه. أما انك تترك حينئذٍ قروحها تتمكن وتنتن ولا تأتيها بدواء. أما ان هذه النفس المسكينة تضعف وتنسقم وتغوص سنين عديدة في ابحر امراض خطرة ضالة وانت لا تفتكر بمدواتها. أما انك تتهاون بما يقتضي ويلزم من التحذر والاحتراس لحفظ سلامتها واوقايتها من سقطات جديدة. فاذا كان ذلك كذلك لا فرو بانك تحب جسدك وتفضّله على نفسك *

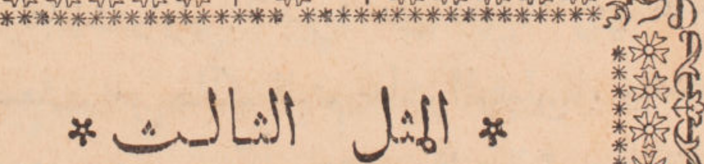
ثانيًا. اراك تعتني بقوت جسدك ولا تحتمل في انه يقاسي جوعاً وعطشاً. وكثيرًا ما تعفي ذاتك من سنن الصوم والامساك لئلا تتغير هيئتك وينحل جسمك وينقص منحطاً عمّا انت عليه من السمن والتعافي. ولا تقلق ولا تهتم بامر نفسك العادمة قوتها الروحي. فان

لم تغتذِ النفس بكلام الله وخبزه السريّ قوت حياتها وقوّتها فتنحط قواها وتضعف وانت لا ترق لحالها ولا ترثي لها. فلا غرو اذاً بانك تحب جسدك وتقدّمه على نفسك *

ثالثاً . انك تعتني في ان تقدم لجسدك ملابس جميلة فاخرة تزينه وتوقيه . وما لنا ان نقول من النساء وغواهنّ . لعمري ترى اي اعتنا واي جد واجتهاد لا تبذلنه انتنّ ايتها النساء بزينة اجسادكنّ كالاصنام المعبودة منكنّ . ترى كم من مصاريف تصرفنها ومن عنا تفرغنه لكي تنهضنَ بهاءها وجمالها وتخفين قبحها وعيوبها . تزيننها بزينات فارغة باطلة وبكل ما يخترعه الغوى من امور يحق ان يهزاء بها ويضحك منها . لعمري لو اعتبرنا اهتمامكنّ بزينة رؤسكنّ لا غير . ترى كم تكلف عليكنّ من الاتعاب والمشقات ومن العناء والعذاب . فكم وكم تغيرن هيئتها وكم تتحملن احمالاً ثقيلة وتخضعن لاحكام الغوى المذمومة . كم من عناء لا يليق بنا ذكره تبالغنَ في بذله بما تتوهمنَ بانه يجمّل صورتكنّ ويحسّن منظركنّ . ترى هل تعتنينَ بزينة انفسكنّ وتحفظنَ بدون

عيب ودنس ثوب نقاوة قد تسربلت به يوم تطهيرها بمياه المعمودية المقدسة مضيفات عليه زينة التواضع والآداب والحيا والمحبة والتقوى وبالاجمال كل فضيلة ادبية مسيحية . لعمري انكنّ لا تفتكرنَ بشيء من كل هذا ولا يخطر لكنّ ببال كأنّ لا انفس لكنّ . فان كانت هذه حالتكنّ أما تحببنَ ايتها النساء اجسادكنّ وتفضّلنها على انفسكنّ المخلوقة على صورة الله ومثاله والمفتداة بثمن دم ابنه الكريم *

رابعًا لو لزم الامر لحصولك يا صاح على لذة محرّمة اثيمة في ان نعدم حيوة الجسد او تكابد قطع احد اعضائك . فلا شك انك لا ترتضي بذلك ولا تقبله ومع هذا نراكم ايها البشر تضحّون حيوة نفوسكم . أفما انكم تحبون جسدكم وتفضّلونه على انفسكم *



* المثل الثالث *

* في الراهب والجندي *

فيما كان في جمعية حافلة راهب قشف السيرة

دخل اليها جندي شجاع مشهود له بالجندية الصادقة ،
لكنه كان على ما قلّ من الدين. فلما رآه الراهب داخلاً
حاول الخروج من المحل فاوقفه الجندي وقال له: لماذا
تهرب يا ابت. هل انك تخاف مني . ناشدتك
الله ابقَ هنا ولا تذهب فعليك الامان ولا تخف امراً
البتة. اي نعم انني اعلم جيداً ان اقراني وامثالي
ينحظون مسرورين بمسامرات تهين الرهبان وارباب
الديانة ويصرفون اوقاتاً باحاديث يمزحون بها ضدهم .
اما انا فلست من هولاء ولا اوافقهم على مشروبهم .
لاني ارى هرباً من الوطؤ والحماقة اهانة من لا يحسن
مجاوبتنا حسب رائنا. وما ذاك الا كمن يسحب الاسلحة
على من لا اسلحة له . والحالة هذه اطمئن يا ابت. ولا
تخف ولا تخشَ من ان اتحدث بشيء يغيظك . معاذ الله
من ان اكدرك واهينك بالكلام بل بالاحرى
اني ارق لحالك وارثي لامرك على انني لا ارى حالة
اشق واصعب من حالكم انتم معاشر الرهبان . وعندها
اخذ الجندي يشرح مبيّناً مشقات الرهبانية وعذاباتها
وصرامة قوانينها وشدة تقشفاتها كخشونة الملابس وقلة
المآكل وضخامتها . والقيام بارجل حافية عارية . واحياناً

حافية . وزد على ذلك كله ما هو اصعب واشق من كل شيء وهو انه لقيام المعيشة يقتضي بان الرهبان تتسول من باب الى اخر وهلمَّ جرًّا *

فلما اتمَّ الجندي كلامه والراهب يسمع مقاله اجابه قائلاً : لك الفضل والمنّة عمّا اظهرته نحوي من التشفّق. واني اسدي لك عن ذلك الشكر الجزيل. لكن التمس منك ان تؤذن لي بان اقول لك اننا نحن معاشر الرهبان لسنا في حال ينبغي ان يُتشفق عليها ويُرثى لها كما تزعم متوهماً . بل اني اتجاسر قائلاً: بانك انت نفسك اهلٌ ان يُرثى لحالك ويُتشفّق عليك اكثر منا . فلا غرو بان ايرادي هذا ممّا يذهلك ويدهشك بل ولقد يلوح لك انه عجيب مستغرب بعيد التصديق. لكنه يسهل عليَّ جداً تبيانه واثباته لك *

لعمري اما انك ترى الجندية ذات مشقة لا تُعرف وصعوبة لا تُوصف وذلك متى اضطريت عند اعطاء علامة الحرب ان تبارح وطنك وتخرج من حضن عايلتك العزيزة لديك وتفارق اعزّ احبابك واصحابك وتنفصل من معارفك وخلانك وتترك ما هو محبوب

عزيز لديك ولا تؤمل في اذا كنت تعود من سفرك
وترى ثانية موضوع مهجة فؤادك وما يتعلق به قلبك .
ثم وفي اوان الحرب نفسها أيلذ لك النزول في الفيافي
والبراري . في وسط الثلوج والامطار . تارةً تحت خيام
تضربها الارياح . واخرى تحت الفلا . ولا مكان تلتجئون
به انتم معاشر الجنود . أتلذ لك وتعذب محاولات
الحرب وحركاته . فتارةً تتقدمون الى قدام . واخرى
ترجعون الى الوراء . تهجمون على العدو ثم ترتدون
عنه . تارةً تأخذون طرق قريبة . واخرى تقطعون جبالا
واودية . تقاسون بردا شديداً وحرا محرقاً ما عليه
مزيد . تمضون الليالي في اي مكان اتفق . فهذه
وما شاكلها من المشقات ليست بشيء ولا اهلٌ لان
تذكر . فاين انت عن ضيق المحاصرة وشدتها . عن
الترصد في الخنادق والهجوم على القلع الحصينة .
اين انت عن نيران الوغى لمّا تضطر تارةً ان تهجم على
العدو . واخرى ان تحافظ في مكان تضحى فيه
فريسةً لاسلحته . ولا اجازة لك ان تنتقل من مكانك
ولا ان تخطو خطوة واحدة او تتحرك ادنى حركة .
وبالاختصار اين انت عن الرصاص الممطر وعن

الكلل والقنابل المنقضّة كالصواعق فتصفر في اذانك ويدوي الجو من اصواتها وانت في وسطها كانسان حاقت به الزوابع وهطلت عليه سيول الامطار فتخرب كل ما حاط بك وتتهدد حياتك على ممر الدقايق . فاذا ما اخذت النَفَس مرةً فلا تؤمل ذلك ثانيةُ . ولنضربنّ صفحاً من الاسلحة المرهفة. اين انت عن الحراب والرماح . عن السيوف والخناجر . فانك تراها تتلألأ لامعةً امامك وتضطر في ان تقاومها . فاذا كان ذلك كذلك أَما هو اولى ان يُرثى لحالك ويُرثى لامرك اكثر من كل راهب ناسك مهما كانت عذاباته قاسية واتعابه مشقة . على انه مهما كانت معيشة الراهب صعبة وقوانينه صارمة فحياته في آمان وقلبه في اطمئنان . لا يخشى من ان يثخّن بالجراحات ولا يخاف من ان يُقطع له عضوٌ ويضحى متعوهاً . فترى كم من الجنود والعساكر . كم من القوّاد والمتقدمين يرجعون الى اوطانهم مثخّنين بالجراحات كثيراً فاقدين بعض اعضائهم *

فاغتاظ الجندي من هذا الكلام والتفت الى الراهب وقال : يا ترى هل لا تعد شيئاً ما تكتسبه الجند من الشرف

والافتخار عندما تعرّض ذاتها لمثل هذه الاخطار . امّا حب الوطن ومرضاة خاطر الملك عندك بشيء . فان التوقان الى هذا الشرف وامل تحصيله يجعلانّنا ان نقوّي عزمنا وندوس بارجلنا المنايا والاخطار . فاجابه الراهب وقال : لقد ازدتني رغبةً وجراة وما كنت الّا وانتظر منك هذا الجواب . فاني احاربك الان بنفس اسلحتك . فانتم معاشر الجنود والعساكر بخدمتكم الصعبة الخطرة وبمعيشتكم الشاقة المرّة لا تؤملون جزاءً عن اتعاب تقاسونها . واخطار تقعون فيها . وجراحات تكابدون مرّ آلامها . سوى شرف وقتي زمني . فيما انه لو جدّ الراهب واجتهد . لو خدم ربه وعبد . لو لاميالهِ كبح . ولشهواتهِ قمع . فانه يتأكد تأكدًا لا ريب فيه سعادةً مخلدةً ومجداً موبداً وشرفاً دايماً لا يضمحل ولا يُمحى *

فاتفقت اراء الحاضرين على ان براهين الراهب وتعليلاته صوابية عادلة . ولما اخذ الجندي يجاوب على خلاف الصدى انتقل الحديث الى امور اخرى *

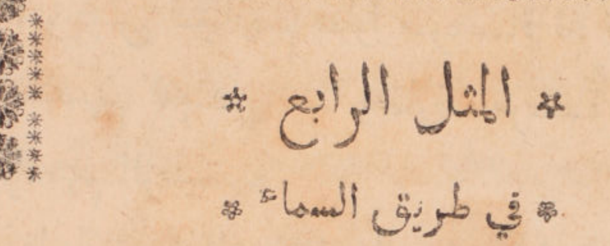
ليت شعري كم من الناس في عالمنا هذا يقاسون مشقات لا توصف وعذابات لا تُلخص . وذلك

لا لكي يحصّلوا ما وفر من الغنى وكُثر من الاموال . بل ليحصّلوا قوتاً ضرورياً يسدّون به ضور جوعهم. فيجدّون ويكدّون كدًّا يفوق سعي من رام السموات ورغب في اكتسابها . لعمري لقد كان هولاء اضحوا من اعظم القديسين واكبر الاتقياء والمتورعين لو انهم فعلوا مرضاةً لله تعالى وحباً بخلاصهم الابدي ما يعملونه مرضاةً للعالم وحباً براحتهم الزمنية ❊

فليعانقن ذاك الانسان محواً لخطاياه وغفراناً لاثآمه واساياه . فليعانقنّ العيشة القشفة والامساك الصارم والاماتة الزايدة التي قاساها مدة سنين عديدة مراعاةً لصحته ووقايةً لمزاجه. فاذا ما فعل ذلك فاني اضعه في مصاف اعظم القديسين ومرتبة النساك السائحين ❊

فلتصرفنّ تلك الامرأة التائهة في عنفوان شبابها يومياً بالصلوة وتأمل الحقايق المقدسة وتلاوة كتب التقوى والعبادة ما صرفته للآن من الاوقات لزينتها وتحسين صورتها. ولتفرضنّ على ذاتها اماتات لاتعلو بل توازي وتعادل ما تكابده من الملل

والضجر وما تقاسيه من العنا والتعب لكي تتزين تمام الزينة وتلبس تمام الملابس . فاذا ما فعلت ذلك فاني اعتبرها ذات فضيلة سامية وفضل عظيم وافر *



* المثل الرابع *

* في طريق السماء *

ان رجلاً سامي المقام محفوفاً بالمجد والاكرام مع كونه في وسط كرامات فاخرة واموال وافرة كان على جانب عظيم من الديانة والتقوى . فاتفق بانه في ليلة من الليالي حلم حلماً قصّه في الغد على كاهن بارّ تقي كان ذلك الرجل يستوثق فيه ويعتمد عليه . فقال له : يا ابت . قد تصوّرت ذاتي جالساً في مكان مرتفع في مدخل طريق السما وكنت ارقب منه بكل راحة وسكينة كل من دخل تلك الطريق . اما عدد الداخلين فكان قليلاً بل وكان من مدة طويلة لم يمرّ بها احد . وفيما كنت على هذه الحال واذا بجلبة

عظيمة دوت وضجت وبموكب عظيم قد وصل وكانت تلك عربية تسحبها ستة من الخيول القوية المجمّلة بالذهب والفضة وعدد من الاتباع يركب في موخرها وصاحبها جالساً وحده ضمنها والعربي وقواس معه يسوقان العربية شاقين طريق السما . فبان لهم هذا الطريق عن بعد عريضاً متسعاً . لكنهم لما وصلوا الى مدخله رأوه ضيّقاً يعسر الدخول فيه . وكان صاحب العربية قصير البصر متسلحاً بنظارة تعلو انفه . وبما انه اضعف نظره لم يكن يرى ما اعاق العربية واوقفها عن السير . اخذ يصيح بالاتباع ويحضهم على السير . واذ لم يستطيعوا على اجراء امره رغماً عن شدة رغبتهم بمرضاته صاح بهم وضاقت اخيراً اخلاقه واحتد فنهض من محله ونزل من عربيته وتقدم الى قدام الخيل ليعلم سبب وقوفها وتأخيرها واذا بملاك ظهر له عند مدخل الطريق متسربلاً بحلل البهاء والنور وبيده سيف مرهف لامع . فالتفت نحو ذلك الرجل ناظراً اليه شذراً وصاح فيه قائلاً : أما ترى ان الطريق ضيق من ان تستطيع الاجتياز به . وانت بهذا الموكب العظيم . فاذا ما شئت المرور ارجعنّ العربية والعربي والقواس

والاتباع والخدّام . بل وينبغي ايضاً ان تُلقي عنك ملابسك الثمينة الفاخرة التي من شأنها ان تأخذ مكاناً كبيراً ولا بد من انها عند كل خطوة تتعلق بالقرطب والاشواك المسيّجة الطريق . وحينئذٍ اقدم لك ثوباً اخر عوضه بسيطاً اعتيادياً لا يعيقك عن السير ولا تتعرقل به خطواتك في الطريق *

فارتاع الرجل من هذا الكلام وتغيّرت الوانه فطرق نظره في الارض وافتكر لحظةً ثم رفع عينيه وقدم واجب الاحترام الى ذلك الملاك وركب عربيته وامر العربجي ان يرتد الى الوراء ويطلق للخيل اعنّتها . فرافقته برهةً فرأيته شاقاً طريقاً بعيداً تغطيها عربيات من كل الانواع والاجناس لا يُحصى عديدها فلحقتها عربيته وانضمت في سلكها *

فبالكاد قد كان غاب ذلك الرجل عن نظري واذا بسائح تقدم الى طريق السماء وكان ذلك السائح رجلاً ضعيفاً نحيفاً مسقوماً نحيل الجسم مهزولاً لابساً ثوباً رثاً كاد لا يحسن ستره . فقلت حينئذٍ في نفسي لا شك في ان هذا الانسان لا يجد مانعاً يمنعه عن السير في هذه الطريق . فلدى دخوله فيها

تقدّم اليه الملاك حارس المرور وصاح فيه قائلاً : اغرب من ههنا ان الطريق ضيق من ان يسعك مع كل موكبك . فاجابه السائح مندهشاً : أمع كل موكبي . ترى ما تعني بهذا الكلام أما ترى اني وحدي واني على اعظم حالة من الشقا والمسكنة *

فحينئذٍ اخذ الملاك مرآةً ووضعها امام اعين ذلك السائح . وكانت المرآة من شأنها ان تحضر امام اعين من نظر فيها ما هو عليه تماماً من حالته الباطنة . اي انها كانت تريه ما كان يرغب ويتمنّى ان يكون عليه من الاحوال . وبما اني من ذلك المحل الذي كنت مقيماً فيه كنت أرى كلما كان مصوراً ومهيئاً في تلك المرآة . فيا لعظم الحيرة والاندهاش فاني رايت ذلك السائح المسكين متسربلاً بحلل ثمينة جميلة . وكأنه يأمر وينهي بكل عجرفة وتشامخ عدداً عظيماً من الخدام والاتباع . وكان واقفاً في وسط قاعة كبيرة جميلة منقشة بالالوان . مفروشة بالفرش الثمينة . مزينة بالخز والديباج . وحوله قوم قيام بكل احترام ووقار يستميحون انظاره ويستمدون نعمه . ورأيت عند باب قصره عربيات بديعة الصناعة من احسن ما اخترعه

الذوق السليم واوجده زي العصر وغواه . فقال له الملاك بصوت مرعد مخيف . أما عرفت ذاتك الآن . أما ان قلبك قلق وفوادك معذب رغبةً في ان تكون غنيا مقتدراً ذا اموال عظيمة وارزاق واملاك كثيرة ثمينة . أما تتصور ذاتك احياناً على ما تراها الآن وتشاهدها في هذه المرآة . أما تسرّ ملتذاً بهذه الاوهام الفارغة والافكار الباطلة ذات الجنون والهوان . أما تتوق وترغب من صميم فوادك صحة آمالك وحقيقة وضعها بالعمل . فلما رأى المسكين ان حاله استبانت واتضحت . لبث صامتاً ولم يتفوه بكلمة . لكنه فرّ هارباً وولّى مدبراً . وفيما كنت على هذه الحال من الانزعاج والاضطراب من هذه الرؤيا والّا فقت صاحياً من رقادي *

فهاك سيدي ما اتفق لي من الاحلام في الليلة البارحة . فيخال لذهني بان ما ذاك الا انذار لي من قبل الحق سبحانه وتعالى ينبغي لي ان استفيد منه واصلح امر تصرفي بموجبه . على ان ما نتجته من صدق النتايج من حلمي هو ان الاغنياء ومواكبهم واموالهم وثروتهم لا تستطيع الدخول في طريق السماء .

وانت تعلم يا ابت ـ اني رجل غني ذا اموال واملاك ، صاحب صولة وعظمة محفوفاً بالخدمة والاتباع ، فيقتضي اذاً ان القي العربيات جانباً واطلق عبيدي وخدامي واوزع مالي على الفقراء والمساكين ، وان اكون فقيراً واقوم مقامهم اذا ما شئت الدخول الى ملكوت السماوات ، فهذا هو سبب قلقي واضطراب افكاري فاني اتمنَّى الخلاص واريده ارادةً صادقة جازمة قاطعة باتّة ، ومع ذلك اقرّ معترفاً بين يديك يا ابت ـ ان هذا التعري يصعب عليَّ جدًّا ه

فاجابه خادم الله قائلاً : لا تسلّم نفسك للقلق والاضطراب ، ولا تخف خوفاً بغير محله ، على ان الاحلام اعتيادياً ما هي الاّ تلاعب المخيلة ولا ينبغي من ثمّ الالتفات اليها ولا الاعتبار لها ، ومع هذا اني ارى حلمك متبوع السياق حسن السبك ، فلربما قد استخدمته العناية الالهية وسيلةً لنصحك وارشادك ، لكن النتيجة التي استخلصتها منه ليست بحسنة المناسبة والاحكام ، لان صحة نتيجة ما حلمت به وحقيقة حاله هو انه لاجل الوصول الى السماء يقتضي

في ان يكون الانسان فقيراً ومحباً للفقر لكن بالقلب ، هذا ما يعلمنا اياه السيد المسيح في انجيله الطاهر . اما التعري من الاموال والاملاك وتوزيعها على الفقرا وذلك لكي يعيش الانسان بفقر حقيقي فهذه مشورة لا وصية . اما القول في ان يعرّي الانسان قلبه ويرفعه من حب الغنى والكرامات ومن كلّما يتمتع به من الملذات الزمنية ويتنعم به من الخيرات الارضية فهذا فرض ملزم على كل من تتلمذ للمسيح وانطوى تحت لوائه *

ان الانسان الغني الذي ظهر لك اولاً عند مدخل طريق السماء لم يستطع الدخول فيها. فما ذاك الّا لان الملاك تصفّح في كتاب قلبه فوجله متعلقاً. تعلقاً قوياً حياً بالغنى والاموال والخيرات الزائلة الفانية التي كان يمتلكها . على انه كان في وقت واحد غنياً قلباً وفعلاً . اما ذاك السائح الذي حضر بعله كان فقيراً فعلاً لكن غنياً قلباً . وهذا هو سبب رفضه وطرده ولكي نرجع اليك في المقال فاني ارتائي بانه لا ينبغي ان تتبع ما يريعك ويشق عليك من العزم والمقصد ولا تعوّل عليه معتمداً . على ان شرف

اصلك وسمو مقامك وعلو مرتبتك تطلب في انك تكون على حالة جليلة بهجة. لكنه لا ينبغي ان تعلّق قلبك بالدنيا بل يلزمك ان ترفع منه حب كلما يبان لدى الله تعالى زائداً لاحاجة اليه *

ولنأخذنّ الآن بالبحث سوية عن هذا الامر. فاني اعلم جيداً انه امر صعب جداً في الاّ يحب الانسان خيرات والا يتعلق باموالٍ تريحه وتجلب له تنعمّات لذيذة عذبة لديه. فانه ينحظ بها منسرّاً ويحبها متعلقاً بها برباطات تبان عديمة الفك والانحلال. ولهذا قال معلمنا الالهي لذكره السجود: انه لاسهل ان يدخل الجمل في سم الابرة من غني يدخل ملكوت الله. لكن مهما كان هذا الامر صعباً وعدم حب الارضيات مستبعداً. فمع ذلك هذه الصعوبة هي فرض ملزم لا اعفاء منه. فيلزمك من ثمّ ان تكون مستعداً استعداداً صادقاً لان ترفض وتبغض كلما اسرّك وابهجك من الحال التى انت عليها اذا ما اتاك ملاك نظير ذلك الملاك الذي رائته في الحلم انذرك قائلاً: ان الله تعالى يتطلب منك هذا التعري والتجرد *

فهذا التفسير اراح قلب ذلك الغني وركّن افكاره

على انه كان حقيقةً من اهل التقوى والصلاح . فكان يبتغي المخاطرة في كل شيء وخسران كل شيء لكي يؤكد امر خلاصه الابدي ويجعله في امان *

* المثل الخامس *

* في البورتقال *

كان رجل يُدعى فاضلاً وله ولد يُدعى عاقلاً يحبه ابوه حباً شديداً لانه كان مجمّلاً بصفات فريدة ومزايا حميدة جعلت والده ان يزداد نحوه حباً وبه تعلقاً . فاتفق بان هذا الولد قد كان منذ برهة وجيزة بداء يقلق افكار ابيه بسبب ارتباط ارتبطه واتصالية عقدها جهلاً وغباوةً مع شبانٍ مشبوهي السمعة والسيرة . فنصحه والده واوعظه مراراً في ان يرتد عمّا القى نفسه فيه من الاخطار قائلاً له : ان الشاب العديم الخبرة سهل الغش والانخداع . موكداً عليه ان يقطع حبال وصل ومعاشرة ذات عوائد رديئة . اما عاقل فاخذ يريح افكار ابيه ويرفع الاوهام من ذهنه قائلاً له : ان ما ارشده اليه من الفضائل وما رسمه في

قلبه من حسن التربية والاداب مغروس في فواده مبجّناً في ذهنه وعقله . فلا تستطيع اقوال الغير ولا صحبتهم ومعاشرتهم ولا امثالهم وسيرتهم ان تزيحه من عقله وترفعه من قلبه . واردف كلامه بكلامه قائلاً : اني اتجاسرنّ يا ابت بان اوكد مصرحاً بانه امر مستبعد في ان ولدك ينفسد وينعكس من مثل هولاء الشبان بل باحرى اني اردّهم عن طرقهم المفسودة وسبلهم المعوجة وتأكيداً لصحة مقالي اني اعزم قاصداً في ان امتحن الامر بالعمل . فصعب على الاب ثقة ولده بذاته الجاهلة وشقّت عليه جسارته واعتماده على نفسه . لكن اذ لم يرد ان يستعمل نحوه مطلق السلطان الابوي ويردعه عن معاشرة اوليك الجهلة اتخذ طريقة جميلة وحيلة ظريفة اعلمه بها وابان له في ان اماله كانت في غير محلها *

فاخذ من ثمّ علبة واملأها بورتقالاً جميلاً ظريفاً ووضع عمداً بين تلك البورتقالات واحدةً قد كان اعتراها بعض الهريان . ثم استدعى اليه ولده وقال له يا ولدي الحبيب اني اتحفك بهدية تسرك وينشرح منها خاطرك . فحيث قد علمت رغبتك في

البورتقال وتفضيلك له على باقي الفواكه والاثمار فاخذت لك منه احسنه واجمله ووضعته ضمن هذه العلبة اسأل الله تعالى ان يكون مصروف الصحة والعافية. فتهلل الشاب فرحاً واسدى الشكر لوالده عن الهدية. وبادر من ثمَّ حالاً الى فتح تلك العلبة. فلدى تأمله جمال تلك الفاكهة ظهرت على وجهه امارات الرضا والانشراح وغب ان تفرس بها واحدق النظر فيها وجد احداها على خلاف حالتها الطبيعية حيث كان قد اعتراها بعض الهريان. فقال له يا ابت. ها ان بورتقالة منها قد اخذت تُفسد وتنتزع فيلزم من ثمَّ رفعها من العلبة. فاجابه الاب ولِمَ ذلك. فما هذه الا بقعة صغيرة تضمحل وتنمحي من عين ذاتها. فقال الولد لعمري ان هذه البقعة تزداد وتقوى. فما هذا الّا ابتداء هريان من شانه ان ينزع البقية ويتلفها ان لم ارفع المفسودة من بينها. فاجابه والده قائلاً: دع هذه البورتقالات على ما هي عليه وارح افكارك فاني اضمن لك صحتها. وان جرى لها ما لا يسرك فتقع حينئذٍ المسئولية عليَّ. أَما ترى يا ولدي انه اذا ما كانت احدى البورتقالات مفسودة. فالبقية بما انها صحيحة سليمة

فانها تصلحها بسلامتها . فاجابه الولد قائلاً : معاذ الله ان اصدّق هذا المدّعي واومل هذا الاصلاح . بل من الآن احتسب البورتقالات عدماً ان لم ياذن لي سيدي برفع المفسودة من وسطها . فاجابه والده قائلاً : فبما انك عديم الثقة والاركان هات نضع الان البرهان بالعمل . دع هذه البورتقالات كلها في العلبة واقفلها وسلمني اياها . وبعد ثمانية ايام نكشف عليها سويةً . فلا شك انك حينئذٍ تتهلل فرحاً عندما تراها على احسن حال . فامتثل الولد لامر ابيه . لكنه ذهب من عنده حزيناً مأيوساً لتأكده بان تلك البورتقالات لا بد من انها تتلف وتنتزع *

فبانت تلك المدة الوجيزة اجيالاً لدى ذلك الشاب لشدة ما قاساه من صعوبة الاستنظار . فلما كانت نهايتها توجه الى ابيه ليكشف على العلبة ويرى ما كان اكنزه فيها . لكن يا لحزنه وفرط كدره فانه عندما شاهد تلك البورتقالات الجميلة التي كانت تلذ الحواس بمنظرها وذكاء رايحتها اضحت تلاً مهريًا بكى وتاسف واخذ يقول لابيه : أما قد سقت

واكدت لك ذلك. فلو انك تستوثق بمقالي لما اصبحت بورتقالاتي عدمًا. فاجابه والده قائلًا: اني اقرّ معترفًا بغلطي وخطائي. لقد صدقت يا ولدي. اي نعم ان بورتقالة واحدة مفسودة تفسد معها الصحيحة. واما الصحيحة وان كثرت وتعددت فلا تصلح المفسودة بل تعدي الصحيحة صحبة الجرباء *

فهات الآن يا ولدي نتاملنّ صحة الامر وحقيقته منتجين لانفسنا من هذه المخبرة والامتحان نتائج ذات افادة. لعمري فاذا كانت بورتقالة واحدة مفسودة بعض الفساد قد نزعت وافسدت كل تلك البورتقالات الصحيحة السليمة. ناشدتك الله قل لي كيف ان عددًا كبيرًا من الاشقيا الاشرار لا يفسدون ولدًا اديبًا فاضلًا. فاذا كانت بورتقالات كثيرة لم تصلح واحدة قد بداء بها فساد كاد الّا يُحس به. فكيف نومل ان ولدًا واحدًا عاقلًا يصلح بمعاشرته كثيرين من اهل الخلاعة والفساد *

فحينئذٍ صغي الولد لقول ابيه وعلم انه لم يقصد بذلك جميعه سوى ايصاله الى هذه النتيجة. فشكر افضاله على هذه العظة والارشاد الذين اجدياه نفعًا جزيلًا وافاداه فايدة جزيلة ولم

يفتكر بامر البورتقال ولم يبال بتلك الخسارة بل اوعد اباه بانه يستفيد من هذا المثل . وقطع من ثمّ حبال الوصل مع عشرآئه *

المثل السادس

* في الفضل الحقيقي *

ان رجلين من الذوات استخدمهما مولاهما الملك في مصالح تخصه . فارسل احدهما بسفارة مهمة والاخر توجه بامر مولاه لقضا امور سرية خفية لا سمعة لها ولا شهرة ظاهرة . فتمم كلٌّ منهما خدمته على اكمل نوع واتم مراد . وبعد ان اديا حساباً للملك من امر خدمتهما اتفق وجودهما سويةً في آن واحد بحضرته . فقبلهما بحالة متساوية من الاستمالة والالتفات واظهر لهما تمام انشراح الخاطر . لكن كل ذلك على حدٍ متساوٍ من دون فرق ولا امتياز بينهما . فكأن هذا التساوي صعب على السفير الاكبر لزعمه بانه نظراً لسمو مقامه ولما كان عليه من نعمة مولاه كان يستحق استقبالاً ممتازاً عمّا سواه . فكظم غيظه ولم

يظهر كدرًا امام الملك . لكنه عند رجوعه الي داره ووجوده في حضن عايلته اظهر ما كان عنده من الغيظ والحنق بحضرة اصحابه واحبائه *

فحينئذٍ التفت احد الحاضرين في ذلك المجلس وقال له بدون ارتجاع : اني اتعجب يا مولاي مما ابديته من التشكي والتدمر. فالملك قد عمل ما كان يجب عمله . على اننا نحن اجمعون عبيد له على نوع متساوٍ من دون فرق ولا امتياز . وهو يستخدمنا كيفما شاء و اراد بما يوافق شرفه وخير المملكة . اما فضلنا لديه فليس بكون احدنا يباشر هذه الوظيفة والاخر تلك . انما الفضل الحقيقي هو بان نقوم بالوظيفة على ما ينبغي من صدق الامانة ونصوح الخدمة . فحينئذٍ على الملك ان يظهر المسرة وانشراح الخاطر على حدٍ متساوٍ نحو الذين يكونوا تمموا وظيفتهم على نحو متساوٍ . وذلك من دون ملاحظة الخدمة التي اكملوها . فوالحالة هذه وان يكن مقامك اسمى و رتبتك اعلى من الرسول الاخر الذي بحصر القول ما هو الاّ مباشر . فاذا كان ذاك الرجل قد تمم امر الملك بدقة ونشاط نظيرك فعلى الملك ان يظهر لكليكما اشارة الرضا على حدٍ متساوٍ بدون امتياز *

ان الديانة والايمان يهتفان نحو كل منا بما قاله هذا الرجل الحكيم العاقل لذاك السفير المار ذكره . اي ان الناس جميعاً هم على حدٍ متساوٍ لا فرق فيه ولا امتياز . فجميعهم مخلوقات الله تعالى وعبيده فانهم لم يوجدوا في الكون الّا لكي يمجدوه تعالى بتتميم اوامره . فيوزع عليهم تعالى كيفما شاء واراد وظائف مختلفة واحوال مجنسة يجب عليهم حسن تكميلها على وجه الارض . فيعطي هولاء الرتب الاولية من الاجتماعات البشرية ويعطي اوليك وظايف غيرها وفقاً لمقاصده تعالى فيهم . فاذاً المراتب والوظائف لا تجعلنا عظماء او ادنياء امام اعين الله تعالي . بل النوع الذي به نكمّل الفروض التي فرضها لتلك المراتب والوظائف واخصها بها يرفع قدرنا لديه جلّ وعلا *

فمتى جلس الديان العادل على منبر الدينونة الرهيبة وامتثلت الناس جميعاً بازاء حضرته الالهية . فحينئذٍ ترى الملك الرفيع القدر والشان والعبد الحقير الوضيع لديه تعالى سيّان . فانه لا يتصرف نحوهم ملاحظاً المقام الذي كانوا فيه ولا النعمة التي كانوا

عليها في هذه الدنيا . لكنه يعاملهم حسب صدق الامانة ونصوح الخدمة بتتميم واجبات احوالهم المختلفة . ومن ثمَّ فالعبد الوضيع الذي يكون احسن تكميل وظيفته بكامل الشروط المقتضية لها يحوز حينئذٍ حسن الالتفات والقبول من لدن السيد المسيح نظير الملك الذي يكون تمم الواجبات المفروضة عليه من نفس مقامه *

فلنقل ذلك ايضاً عن حبر ذي مقام سامٍ ، في بيعة الله تعالى . فاذا ما قابلناه مع كاهن حقير وضيع من اهل القرى والجبال فيحوز كلٌّ منهما القبول والالتفات من لدن ذلك القاضي العادل وفقاً لغيرتهما ونشاطهما وطهارة نيتهما وقداسة الحيوة التي اظهراها في مباشرة وظائفهما بدون ملاحظة ولا التفات الى اعتبار احدهما وسمو مقامه ولا الى عدم شهرة الاخر وما كان عليه من الحال المنكّرة المجهولة *

* المثل السابع *

* في الديونة الباطلة *

انه في احد الايام خرج رجل هندي من كوخه متوجهاً

الى الصيد والقنص . فعند غيابه سرت افعى الى مسكنه
واتجهت رأساً الى مهد راقد فيه طفل صغير كان له
فكادت تفترسه لا ريب ولا محالة واذا بكلب يحرس
المكان بادر اليها حال سماعه صفيرها فوثب من ثمّ عليها
وصارعها فقتلها . وفيما انه كان ملطخ الفم دماً سمع
صوت صاحبه الهندي راجعاً الى الدار . فركض اليه
وامارات الفرح تتلألأ على هيئته . واخذ من ثمّ
يلاطفه كأنه يقول له بلسان حاله : انه قدّم له خدمة
تستحق الحمد والثنا وصنع معه معروفاً اهلاً لان
يُذكر . اما الهندي فلما رأى الكلب ملطخاً دماً
اضطربت افكاره وقلق باله . اصفرت الوانه وتغيّرت
احواله ودخل حالاً الكوخ فوجد سرير الولد ملقياً
في الارض . فافتكر في نفسه عند تأمله الظروف الحالية
من سقوط السرير في الارض وتلطخ الكلب دماً . فتوهم
ان الكلب قد افترس الولد لا محالة . وفيما انه كان على
هذه الحال من الغضب والخروج عن دائرة التعقل والصواب
استل سيفه وضرب عنق ذلك الكلب فقتله . ثم دنا من
السرير ورفعه فوجد الولد راقداً فيه بكل سكينة وهدو .
فعندها استولت عليه الحيرة والاندهاش . فندم على سوّ

فعله وقتله لذلك الحيوان جوراً . ثم تفرّس بما حوله فرأى بالقرب من السرير الافعى التي قتلها ذلك الكلب . فعلم حينئذٍ متاكداً بانه ليس فقط لم يضر ذاك الحيوان الولد ولم يؤذِهِ . بل انه خلصه من القتل ونجاه من الموت *

فهذا المثل من شأنه ان يعلمنا اولاً . في ان لا نعجل بالحكم والا نحكم ابداً على الامور بموجب ظاهرها . فما هذا الّا خداع مبين يتفق حدوثه يومياً . بل انه ينبغي ان نفحص الامور ونتاملها . على انه قد اكّد لنا الفحص كثيراً بطلان الحكم وعدم استناده على حقيقة الحال . لعمري كم من دينونة باطلة وحكم فارغ بسبب العجلة وعدم التأني كانا ذوي غوائل مشومة ونتايج مضرة . ثانياً في ان نكبح حركات غضبنا الفجائية . لان مثل هذه الحركات من شأنها ان تسبب تعديات كثيرة . لعمري كم من الندم الفارغ والتأسف العديم الثمرة قد حاق بمن سلم ذاته لهذا الميل الاعمى مستسيراً بموجب حركاته النفسية الفجائية *



* المثل الثامن *

* في العبد الشرير *

ان رجلاً غنياً مقتدراً ارسل عبله الى كورة بعيدة يبتني له قصراً في ارض تخصه . فاعطاه رسم الارض وصورة تكوينها بكامل جهاتها علواً وعمقاً وطولاً وعرضاً وسلمه الدراهم المتطلبة لمصاريف البنا . لكنه لم يعيّن له اوان الرجوع . بل قال له انه يامره بالرجوع اليه عند ما يخال لذهنه بان العمل يكون كمل وانتهى *

اما العبد فعند وصوله لمحل مقصده عوضاً عن ان يبادر حالاً الى اجراء امر مولاه اخذ يجول تلك البلدان الجديدة لديه ويبحث مستعلماً عمّا هو فيها من الامور المستغربة المستحقة الفرجة ويفحص عن عوائدها واخلاق اهلها . فعرف من ثم ما فيها من المعامل واطّلع على حال تجارتها . وتعرّف باهلها فعقد صداقة مع البعض واخذ يتغرض لاغراضهم ويميل لميلهم ويعيّد اعيادهم ويحضر احتفالاتهم . لكنه كان احياناً يتفاوض

مع احد المهندسين ويقيس ارض البنا ولم يعمل اكثر من هذا . بل كان تارةً يصرف اوقاته بالانشراح واخرى بانشغالات لا طائل تحتها . وغيرها في السياحة . وعلى هذه الصورة كان دائماً يوجد موانع تمنعه عن الشروع في العمل *

ففي تلك الاثنا استدعاه مولاه فحضر لديه . ولما رآه مقبلاً سأله مستعلماً عن القصر الجديد . ولا حاجة لتبيان ارتباك ذلك الاثيم . فاضطر اخيراً ان يقرّ معترفاً بانه لم يكن باشرهُ بعد . لكنه لكي يبرر نفسه ويستر ذنبه اراد يعدد لمولاه اموراً على زعمه مفيدة موافقة اشغلته عن تكميل مأموريته . فحينئذٍ نظر مولاه اليه شذراً وبكّته بهذه الكلمات قائلاً له : يا عبداً شريراً . ألهذه ارسلتك . فماذا يهمني كل ما فعلته ان كنت لم تتمم الامر الوحيد الذي امرتك به . فلم يبقَ للعبد سبيل يتخلّص به سوى بان يقول له . يا مولاي . قد افتكرت في ان اتمم امرك واتخذت طرقاً لذلك . لكنك ارسلت بطلبي في وقت لم اكن استنظره . فاستشاط مولاه غضباً وصاح به قائلاً : أيا خائن . أما اني سبقت وانذرتك . فلو تكون

شرعت بالعمل حال وصولك كما كان ينبغي لك ان تفعل لكان الوقت كافياً لانجاز العمل. وعندها صاح بالاتباع قائلاً : خذوا هذا العبد الشرير الكسلان واوثقوا يديه ورجليه والقوه في السجن المظلم *

فالمولى الغني القدير المقصود في هذا المثل هو الله تعالى جلّ وعلا. والعبد المرسول الى كورة بعيدة هو كل واحد منا . على انه تعالى لمّا خلقنا ارسلنا الى هذه الارض التي نعيش فيها بعيدين عن السما . وطنّنا الحقيقي . والبنا الذي امنّا على تشييده هو امر خلاصنا الذي فوضنا قيامه وارتفاعه . والرسم الذي سلّمنا اياه في تكوينه هو الانجيل الشريف الطاهر الذي يوجد فيه مسطراً رسم خلاصنا . والدراهم لاجل مصاريف البنا هي النعم التي يمنحنا اياها تعالى حسب الاقتضا والحاجة *

اما نحن فعوضاً من ان نشرع اولاً في هذا البنا المهم . فنمضّي شبوبيتنا في البطالة والتنعم والانشراحات . فاذا ما بلغنا الى سن الرجولية ننشغل باشغال اجنبية لا تختص بامر خلاصنا . لكننا قد نرغب احياناً بل

ونقصد مقاصد جيدة موافقة . لكن لا ثمرة لها ولا نتيجة . وعلى هذه الصورة تمرّ الحيوة وتمضي . وفي آن ٍ لا نستنظره يستدعينا تعالى الى منبر ديوننته الرهيب ويطلب منا حساباً مما امنّا عليه . ليت شعري تُرى ما الذي نجاوب به حينئذٍ . يا لها من حال مشومة . يا ترى هل اننا نعظّم لديه الخدم التي قدمناها للحكومة وللملكة والمعارف السامية التي اكتسبناها . والافكار التي اشغلت ذهننا والاملاك والبنايات التي اورثناها لاولادنا . فيجاوبنا تعالى قائلاً : فماذا يهمني كل ما فعلته اذا كنت لم تعمل الامر الوحيد الذي لاجله وضعتك في الارض . أهل نقول له حينئذٍ : اننا قصدنا ان نجدّ في امر خلاصنا ففاجانا امرك بالحضور . فيجيبنا تعالى قائلاً : أَما قد انذرتكم في ان تكونوا دائماً مستعدين . فوالحالة هذه يقتضي اذاً بانه بعد اقتفائنا اثار ذلك العبد الشرير الكسلان الممثّل بهذا المثل وبعدم امانته في خدمة مولاه ان نقاسي العقاب نظيره . اي اننا نلتقي في سجن الجحيم المظلم *

* المثل التاسع *

* في ثلثة مرضى *

ان احد الاطبا استُدعي يوماً على وجه التتابع والتوالي عند ثلثة مرضى وجدهم على استعدادات مختلفة *

فالمريض الاول سلّم ذاته لفحص الطبيب بكل هدو وسكينة وجاوب بكل سهولة على كل سوال واستعلام . وبعد ان تامل الطبيب سعي المرض واعراضه اراد يباشر لعلاجٍ باخذ الدم ، فامر من ثمّ بالفصد . اما المريض فابى رافضا وصاح قائلاً : انه لا يأخذ دماً ابداً . فافهمه الطبيب ان الفصد لا بدّ منه للتنقية وان ما ذاك الّا تسهيلاً لاخذ العلاجات المقتضية لمرضه . فاجابه المريض انه لا يرتضي بالفصد مطلقا ولا ياخذ علاجاً اصالةً . فقال الطبيب أتزعم بان الاخلاط التي هي سبب مرضك تنقى وتنظف بدون استفراغ دم وتنقيصه . فاجابه المريض قائلاً : ناشدتك الله لاتحدثني عن كل ذلك مطلقا ، ولا تتفوه بكلمة واحدة . فحينئذٍ اخذ الطبيب

يقنعه بتعليلات صوابية وادلة عقلية . اما هو فلم يذعن لرأي من الاراء ولم يقبل برهاناً قطعاً *

فعندما قطع الامل من اخذ الادوية امره الطبيب بالحمية وشرب الچايات . فرفض المريض كل ذلك رفضاً مطلقاً ولم يرتض ان ياخذ ادنى علاج ولم يشاء ان يغصب طبعه بشيء *

اما المريض الثاني فلم يظهر صعوبة زائدة لامر الطبيب . فارتضى بان يُفتح له عرق اولاً وثانياً . لكنه ابى الحمية الشديدة ولم يذعن لرأي الطبيب . اي نعم قد قبل ما وُصف له من الاشربة اللطيفة . لكنه لما سمع بامر التنقية والتنظيف وما شاكلهما من الادوية ابى وانكر ولم يشاء اخذ دواء البتة *

اما المريض الثالث فصرّح للطبيب قائلاً : انه يسلّم ذاته تسليماً كاملاً لامره ويذعن لشوره ورأيه . وبما انه يا مولاي لا شك في كونك من مشاهير الاطبا الممتازين . ماهراً في الفن . خبيراً بالصناعة . فلك ان تأمرني بكلما يلزم لشفائي . اقطع . احرق . داوِ . عالج . فانك تراني مطيعاً خضوعاً ممتثلاً اسير بموجب رايك ولن اخالف لك امراً بل انني اتمم كلما تشاء وتريد *

فهولاء المرضى الثلاثة هم رمز وصورة ثلاثة اجناس الخطاة الذين يتقدمون الى سر التوبة لكي ينالوا برؤ اسقامهم *

فالقسم الاول من هولاء الخطاة يأبي رافضاً الامتثال الى ما يُرسم عليه من الرسومات ويُفرض عليه من القوانين ولا يرغب هولاء ان يكلفوا انفسهم بمباشرة بعضٍ عبادات تقوية وممارساتٍ روحية ولا ان يتحفظوا تحفظا لازماً وتحرساً واجباً حذراً من السقوط ثانيةً. على انه يبان ذلك لديهم صعباً تعباً ولا يستطيعون على اغتصاب ذواتهم *

اما القسم الثاني فترى الخطاة الذين انضموا في سلكه يتشاجرون مع مرشدهم ويريدون ان يباشروا بعض الامور لا كلها . فيرتضون مثلاً بتلاوة بعض الصلوات لكنهم يأبون تجنب بعض الاجتماعات . يلزمون انفسهم ويفرضون عليها تلاوة بعض الكتب الروحية لكنهم لا يخرجون من السبب القريب . لا يكرهون تحمل التجربة والامتحان لكنهم يضعون في عقولهم حداً لتلك الامتحانات . فتراهم من ثمّ مظهرين التمرد والعصيان متى تجاوزت تلك الامتحانات الحد الموضوع لها منهم *

اما القسم الثالث وهو الاخير . فانك ترى هولاء

الخطاة يسلّمون ذواتهم تسليماً مطلقاً مطيعين طاعة عمياء لادارة المرشد المنتخب منهم . فيقبلون من دون استثنا كل القوانين والشروط المفروضة عليهم مهما كانت صعبة قوية ويخضعون خضوعاً كاملاً في كل شيء . متممين كل امر بالمسرة وحسن الرضا *

فهولاء الخطاة جميعاً يدّعون حسن الارادة واستقامة النية باصلاح ملكاتهم الردية . لكن حالهم انما هي حال هولاء المرضى الممثّلين بهذا المثل . فالاجناس الثلاثة يصرخون قائلين بانهم يتوقون الى الشفا . لكنه من البين الواضح انه لا توجد ارادة صالحة سوى باهل القسم الثالث . اما اهل القسم الاول والثاني ما هم الا ذوي اماني فارغة وامال باطلة . فعلى هذه الصورة . فمن بين جميع هولاء التائبين المختلفي الاجناس فاهل القسم الثالث لا غير يريدون ارادة صادقة اصلاح ذواتهم وما عداهم لا نرى فيهم سوى رغبة ناقصة خداعة بعيدة التكميل والاجراء *



* المثل العاشر *
* في طيارة الهوا *

خرج رجلان الى البرية للصفا والانشراح وفيما كانا سايرَين في الطريق واذا بطيارة تسري فوقهم في الجو فتعجب احدهما منذهلاً وتحير مندهشاً عند مشاهدته تلك الطيارة تشق الهوا . فانه قد كان سمع مراراً عن هذا الاختراع الجديد وممَّا فيه من الصناعة وتاق دايماً الى الوقوف على صحته . ففرح من ثمَّ مسروراً لمشاهدته تلك الفرجة الجديدة التي لم يكن رأها قط . وحينئذٍ التفت الى صاحبه ونديمه وقال له في ان يتامل ذلك المنظر العجيب . اما صاحبه فكان قصير البصر فاخذ يحدق نظره في كل جهة وجانب من الجو فلم يرَ شيئاً . فالتفت من ثم الى صاحبه وقال له : لقد اخطاءت النظر يا صاح . انه لا طيارة هوائية في الافق . فاجابه الاخر قائلاً : كلّا ثم كلّا لم يغشني نظري ولم يخدعني بصري . فاني ارى جيداً الطيارة والمركب المعلق بها . بل ارى رجلين يعالجانها في سيرها . فاجابه صاحبه

اني لا اصدق شيأً من كل هذا. فقال له الاخر: قد اخذني العجب والحيرة منك. فكيف لا تصدقني في قولي لك انه توجد طيارة في الافق. فاجابه صاحبه ان السبب في ذلك واضح بيّن لا يحتاج الى دليل وهو اني لا ارى طيارة ولا مركباً معلقاً بها كما تعني في مقالك. فقال له الاخر: ارجوك الّا يصعب عليك الامر، دعني اقول لك ان برهانك فاسد لا صحة له. فاجابه صاحبه قايلاً: انه صحيح بل وكلي الصحة ايضاً. لاني انا ايضاً لي اعين. أفما ان الاعين جُعلت لنظر ما هو منظور. والحال ان الطيارة هي منظورة. فلقد كنت اراها في الجو لوكان لزعمك اصل وصحة. مع اني قد احدقت النظر في كل ناحية فلم ارَ شيأً. فاذاً في نفس الامر لا يوجد شيء للنظر. فقال له الاخر ان برهانك فاسد لا يقبله عقل ولا صواب. فانك تقول ان الاعين جُعلت لنظر الاشياء المنظورة فهذا امر مسلم به. لكن بشرط ان تلك الاشياء تقع تحت طاياة نظرك. فبما ان نظرك ضعيف وبصرك قصير فتوجد اشياء كثيرة خارجاً عن طايلته الاشياء التي اي نعم انها غير منظورة منك حال كونها

منظورة ممن هو قوي البصر. فانت لا ترى الطيارة لانها بارتفاعها وعلوها في الجو خرجت عن طايلة نظرك. لكنه ينبغي لك ان تصدق مستوثقاً بقول من هم اشد منك بصراً متى اكّدوا لك صحة الامر وحقيقته . وفيما كانا يتشاجران على هذه الصورة واذا باناس مرّوا بهما. فعلموا سبب اختلافهما واكّدوا بانهم ينظرون جليًّا الطيارة تسير في الجو . لكن هذه الشهادات كلها والتاكيدات اجمعها لم تقنع الرجل الضعيف النظر. بل انه بقي مصراً على غيه ولم يعبإ بشهادة احد . بل انه التفت اليهم قائلاً لهم: امّا انكم جميعكم مغشوشون وامّا انكم ترومون خداعي وغشي . فلو كان في الجو طيارة تطير كما تزعمون لكنت نظرتها انا نفسي بما ان لي اعين . وحيث لم ارها. فاذاً لا وجود لها *

لا شك بانك ايها الاخ القاري تضحك مستهزئاً بهذا البرهان راثياً لحال من ارتآه . ومع ذلك فما هذا الّا برهان الذين يدّعون بانفسم انهم فلاسفة ويتفلسفون على اسرار ديانتنا المقدسة . اي نعم ان اهل الكفر والبهتان العارين عن كل ديانة وايمان يتفلسفون دايمًا بمثل هذا التفلسف . اي نعم ان الذين

يدّعون بذواتهم انهم ذوي عقول سامية وقرايح جوادة مرتفعة يزعمون انهم يتسامون عقلاً وفهماً وانه لا يعلوهم احد ذكاءً ونيرةً. فاذا ما سألتهم مستعلماً لماذا لايومنون باسرار الديانة فيجاوبونك جواب الرجل القصير البصر قايلين: ما ذاك الاّ لاننا لا ندركها ولا نفهمها. ثم انهم يردفون كلامهم بكلامهم قائلين: ان الفهم المزدانين به قد اعطي لنا لكي ينيرنا ويرشدنا وبموجب هذا النور ينبغي ان نفحص كل شيء. ومن ثمّ ان كلما لا يكشفه لنا هذا النور ولا يطلعنا عليه سبيلنا ان نرفضه ونطرحه جانباً كخداع و وهم صادر عن فعل المخيلة. و الحال ان نور العقل لا يكشف لنا اسرار الديانة المسيحية فاذاً هذه الاسرار الموهومة ما هي الاّ خداع واوهام مخيلية. ليت شعري ترى ما الذي ينبغي ان نجاوب به على براهين مثل هذه. اننا نجاوب بما اجاب به ذلك الرجل الحكيم العاقل الممثّل بهذا المثل قائلين نحوهم ان عقلكم لا يكشف لكم اسرار الديانة المسيحية لان هذه الاسرار هي فوق عقولكم. لكن مع هذا ما هي الاّ حق وصدق. فينبغي من ثمّ ان تؤمنوا بالله الذي هو موضوع هذه الاسرار وعلتها.

للاله الحق الذي اوحاها لكم . على ان عقلنا الذي هو باصرتنا الروحية هو نظير بصرنا الحسي . فكما ان البصر الحسي هو كثير الامتداد او قليله حسب اختلاف الاشخاص . كذلك العقل اي الباصرة الروحية هي على هذه الصورة . فان الرجل الراشد يدرك ما لا يدركه الطفل الصغير . وارباب الهندسة تدرك جليًا حقائق تبان خزعبلات وخرافات لاكبر عاقل لا وقوف له على المبادي الهندسية . وذو القريحة العالية هو ذو نيرة وادراك اكثر من ذوي العقول القصيرة . فالعقل في جميع الناس من دون استثناء هو متناهي محصور في حدوده فاذا وجدت اشياء وموضوعات مقرّها ومركزها ما وراء تلك الحدود وما فوقها . فمن المعلوم الواضح البيان لا يستطيع العقل الوصول اليها كما ان الاعين لا تستطيع النظر الى الموضوعات الخارجة عن دائرة قوتها البصرية . والحال انه توجد حقيقة اشياء مقرّها ومركزها ما وراء حدود العقل البشري وما فوقه . وهي اسرار الديانة والايمان . الاسرار التي يمكن ان تُدعى اسرار اللاهوت فانها تشترك جوهريًا بعدم تناهيه اللاهوتي . لكن مع ان هذه

الاسرار تفوق فهمنا فووقاً غير متناهي يقتضي ان نومن بها ايماناً ثابتاً وفقاً لقول الله الصادق الذي يؤكد لنا اياها . كما وان الانسان الذي لا يرى الطيارة تسير في الجو بسبب ضعف بصره وقصره ينبغي له ان يصدق بوجودها على شهادة من هم اقوى منه بصراً متى اكدوا له وجودها وقرروا بانهم رأوها وشاهدوها *

* المثل الحادي عشر *

* في حلم الناسك *

ان ناسكاً من النساك صرف بعض الليل متاملاً حقيقة الدينونة الخصوصية ممعنا النظر بما قاله رسول الامم الى اهل غلاطية . وهو ان كلاً منا لدى ظهوره امام منبر الديان العادل يحمل ثقل نفسه . وقد اثر به جداً ما رآه مسطراً . في سفر الامثال . وهو ان كل اعمالنا توزن بميزان الرب . تامل هذا وغلب عليه النعس فرقد ونام واذ خطرت في ذهنه كل هذه الاشياء وسببت له حلماً عجيباً *

وهو انه تصور ذاته منتقلاً بالروح الى حيث يُدان كل انسان بعد موته دينونةً خصوصية. فراى المسيح جالساً على منبر العدل الرهيب وعند قدميه ملاك ضابط بيده الميزان. وكل نسمة بارحت الحيوة وشربت كاس المنون تحضر عند ذلك المنبر الرهيب حاملةً كيسين. احدهما مملو اعمالاً صالحة والاخر اعمالاً طالحة. فكان الملاك يبادر حالاً الى وزن ذينك الكيسين وبحسب رجوح احدهما على الاخر وزناً كان الديان العادل يبرز حكمه الرهيب. اما بسعادة مخلدة او بشجب مؤبد *

فعندها راى الناسك امرأة اسرّه النظر اليها. لانه رأى احد الكيسين الذين كانت تحملهما اي الكيس الذي كان عنوانه: اعمال صالحة. اكبر من الاخر جداً فانسر محظوظاً لحظّ تلك الامراة سليلة ادم وحوا نظيره. لكن يا لشدة تعجبه ويا لفرط اندهاشه لما وضع الملاك الكيسين في الميزان فرأى الكيس الاصغر مال و رجح ونهض الاكبر في العلو. وحالاً برز القاضي العادل حكم الشجب على تلك التعيسة. فلما رأى الملك تعجب الناسك واندهاله اوماء اليه فحضر

وفتح الملاك امامه كيس الاعمال الصالحة فرأه مملوًا اكياساً صغيرة قراء الناسك مكتوباً فوقها عنواناً هذه الكتابات الاتية . وهي صلوات . تاملات . اعترافات . مناولات . صدقات . زيارات المرضى . زيارات المسجونين . استماع العظات . رياضات . اماتات . وما شاكل ذلك *

فكان هذا مما ازاد الناسك تعجباً وانذهالاً ولم يعلم كيف ان اعمالاً عديدة صالحة كانت هكذا ذات خفة في ميزان العدل الالهي . فحينئذٍ امره الملاك ان يفتح تلك الاكياس الصغيرة ففتحها واضطربت افكاره وتغيرت الوانه . فلما رأى الملاك ارتباكه : قال له اني اطلعت على ما في نفسك وعلمت ما في ضميرك وتاكدت انك لا تعرف كيف تتبصر بما قد رايت وشاهدت *

اعلم اذاً ان كل الاعمال الصالحة التي اطلعت عليها مفصلاً ما هي الّا ظاهرة . لانها كانت صادرة عن روح الكبريا والكبرياء البشري والربح الذاتي و عن اسباب اخر مثل هذه . على ان كل ما لا يُفعل ويُعمل صادرًا عن سبب فايق الطبيعة . فهو غير اهل للاستحقاق

فلا يدخل من ثمّ في حساب الجزاء والثواب الابدي . تذكرنّ ما قيل في سفر المزامير عن الذين ظنوا بانفسهم انهم اغنياء فرقدوا وناموا ثم استفاقوا فرأوا انفسهم فارغي الايدي . فها قد رأيت وشاهدت تتميم الاية الالهية . فهذه الامراة كانت تظن ذاتها غنية بالاعمال الصالحة فرقدت رقاد الموت على هذا الامل الفارغ والخداع الباطل ثم استفاقت فرأت ذاتها خالية من كل فعل وعمل اهل للاستحقاق *

وعند ذلك استفاق الناسك من نومه وتذكر ما كان رآه في الحلم فاعتبره انذاراً انعم به المولى عليه ليوقي نفسه في اعماله من كل ملاحظة بشرية من شانها تضيّع فضلها وتعدمها الاستحقاق *



* المثل الثاني عشر *

* في العائلة المختلة العقل *

كان في احدى المدن عائلة غريبة التصرف والاحوال بسبب اختلال عقلها وفساده . على ان جميع افرادها كانوا فاقدين العقل مجانين صرفاً . حتى انهم لم

يباشروا قط امراً من الامور الا وكان مضاداً التعقل والصواب واهلاً لان يُسطَّر في سجل المجانين *

فالاب مات في عنفوان شبوبيته وذلك فريسةً لجنونه . على انه كان في احد الايام يسير متنزهاً في البرية فرأى في محل مرَّ به هاوية مهولة فوقها شجرة تحمل اثمارا محبوبة منه شهية لديه جداً . فقصد حالاً ارضاء شراهته رغماً عن كل صعوبة ومشقة وعن خطر السقوط في تلك الهاوية . فحاول اولاً الوصول الى اصل الشجرة فوثب من ثمَّ اليها وتمسك بجدران تلك الهاوية . واخذ يحتال الى ان وصل اخيراً الى الشجرة . ثم اقتضى له ان يصعد اليها حال كونها مائلة فوق تلك الهاوية فلم يرعه الامر ولم يقف عنك . بل انه تمسك بيديه ورجليه الى ان صار اخيراً في اعلاها . لكنه لم يجد ما يتمسك به حولها كونه لم يجد فوق تلك الشجرة المهولة سوى غصن رفيع سريع العطب والانكسار وفي تلك الاثنا مرَّ به اناس رأوه في تلك الحال الخطرة فارتعدت فرائصهم وارتاعت قواهم لحاله ولما حاق به من الاخطار . فاخذوا يقنعوه ويحثوه على ان ينزل حالاً من اعلا تلك الشجرة . امَّا هو فسخر

بهم مستهزئاً وازدرى بعدم شجاعتهم وافهمهم بانه متى شاءَ واراد فينزل من تلك الشجرة بكل هينة وسهولة نظير صعوده اليها. لكنه فيما كان يملأ جوفه بكل امن وطمانينة من تلك الفاكهة الوفيرة انقطع الغصن فيه فوقع متدهوراً الى قعر الهاوية *

امّا الامّ زوجة ذاك الرجل المجنون فانهت حياتها على وجه احزن واكدر من زوجها . فانها كانت تعرف حشيشة طبيّة عجيبة الفاعليّة والخاصيّة في شفا الجراحات الجزيلة الخطر . وعلمت بان اناساً كثيرين مثخنين بجراحات قوية شفوا منها بقوة تلك الحشيشة التي مع انها كانت تؤلم جداً فكانت ذات فاعليّة اكيدة اذا ما استُعملت استعمالاً محكماً . فبناءً على هذه المعرفة والثقة بالدواء قصدت تلك التعيسة قصداً ذا جنون وحماقة . وهو ان تضرب ذاتها سكيناً املاً في ان تُشفى بعده بتلك الحشيشة التي شفي بها كثيرون *

فاخذت اذاً سكيناً وضربت بها ذاتها فجرحتها جرحاً قتالاً . ثم امرت باستدعاء طبيب يعمل لها مرهماً من تلك الحشيشة يضعه على جراحها . لكنها لم تُعطَ وقتاً

لاستعمال ادنى علاج . لانه قبل وصول الطبيب ماتت مستحمة في دمائها .

اما الاولاد فلم يظهروا تصرفًا اقل جنونًا وحماقةً من ابيهم وامهم . على ان حياتهم لم تكن الاَّ نسيج جنون متصل يعسر تلخيصه . ويكفينا من ذلك اشارة تدل على اختلال عقولهم *

فالابن الاكبر ورث عن ابيه قصراً جميلاً محكم البنا حسن الصناعة موقعه في برية نشأة نزهة قد اجتمع فيه كلما من شأنه ان يجعله بهجة للنظر ولذة للحواس . هناك الهواء الطيب والمناخ الجيد . هناك البساتين باثمارها والجناين بازهارها . هناك المتنزهات الجميلة والمناظر الطبيعية البديعة . هناك المياه الباردة الرايقة كالزلال تلذذ الاذان بغديرها . هناك الطيور تغرد بالغاب وتطرب السمع بالحانها . واهل المكان والجيرة اناس ادبا ظرفاء حسنو المعاشرة لطيفو المسامرة . ليت شعري ترى من كان يصدق ومن كان يفتكر بما خال لذهن ذاك الاحمق الفاقد العقل . فانه عوضًا عن ان يسكن ذلك القصر متنعمًا فيه بما خلقه له والله من الغنا والمال . فعوضًا عن ان يعيش فيه عيشة ذات حظ وصفاء . فلفساد ذوقه واختلال

عقله ذهب ساكناً كوخاً حقيراً ضيقاً مظلماً حيث لا
مشير له ولا سمير سوى الاهوام والدبابات. حيث لم
يسمع سوى عوي الحيوانات الضارية وزئيرها *

واما الاخ الاصغر منه اظهر من الجنون ما فاق به
على اخيه . فانه اذ علم ان الملك ابرز امراً ملوكياً
بجمع اموال تفتقر اليها الخزينة فصرح ذلك الغبي
علناً . انه لا يخضع لامر الملك ولا يمتثل لرائه مع
انه لم يجهل بان الملك اذا ما غضب عليه فيعريه من
املاكه واموله ويزجه بالسجن حيث يهلك
جوعاً ويضحى فريسة للنتن والاوخام . او انه
قد يحكم عليه بالموت شنقاً . او بما من شانه
يجعله فضيحة ويعدمه الحيوة . فمع علمه بهذا كله قد
تجاسر ذلك الاحمق ومزّق على روس الملا والشمس
في رابعة النهار الاعلانات المعلقة في الازقة والشوارع
المعلنة مضمون ذلك الامر الملوكي . بل وانه وضع مكانها
اعلانات ذات هزوء وسخرية مشحونة شتائم قبيحة
واهانات فظيعة بحق الجلالة الملوكية . لكنه قد اتفق
بامر المولى وتوفيقه بانه وجد اناس ذوي نفوذ واعتبار
تشفعوا به لدى الملك وخلّصوه من العقوبة والقصاص

مصرّحين بجلالته الملوكية ما كان عليه ذلك الشاب من سخافة العقل واختلاله . فاستجاب الملك التماسهم وعفى عن قتل ذلك المسكين . لكنه امر بان يُلقى في سجن مظلم ويبقى فيه الى ان يستفيق على غيه ويرجع الى عقله وصوابه *

اما الاخ الثالث فوفقاً لجنون اخوانه قصد خدمة بعض الاعيان الاكابر وكان اذ ذاك رجلان من الذوات الشريفة يسكنان قصرين قريبين من محل اقامته *

فاحدهما كان رجلاً كريماً شهماً عظيماً انيساً لطيفاً وديعاً يعد اتباعه كاخوان له يظهر لهم الممنونية والمعروف عن ادنى خدمة يبدونها نحوه كانهم ليسوا بملتزمين في خدمته . بل وانه كان يظهر لهم المعروف عن الخدم التي لم يكونوا ابدوها نحوه . بل لمجرد ارادتهم باجرائها ويعاملهم عنها بالاحسان كانهم اجروها بالفعل والعمل . وغاية مرغوبه ومناه هو ان يغمّر بالاحسان كل من لاذ به . وعلى هذا الوجه والصورة لم تكن تسمع في قصره سوى صدى اصوات الحمد والثنا . اصوات الدعا له بجزيل البركات . وكنت ترى الناس يتغايرون على مدحه ونشر ادعية الشكر عن احسانه *

اما الآخر فكان على عكس الامر من الجور والعدوان على انه كان رجلاً ظالماً على خدامه. جايراً على اتباعه. يثقل عليهم بنير عبوديته العسر الحمل. يعاقبهم باصعب العقوبات ويعاملهم باشد القصاصات حتى وعلى ما خف من الذنوب وقلّ من الهفوات. لم يولهم قط احسان ولم يغمرهم بانعام. لم يسمعهم كلمة لطيفة ولم يرمق اليهم بعين الرضا والانشراح. فكنت لا تسمع في داره سوى اصوات التشكّي والتذمّر. اصوات البكا والنواح. فمن كان ذا عقل وفطنة لا يرتاب ولا يتوقف في ان يختار الخدمة عند الاول. اما ذاك المجنون الذي نحن في صدده. فاختار الثاني وعزم على الاقامة عنده والملازمة لخدمته *

اما الاخ الرابع فلم يكن اكبر عقلاً من اخوته. فقد كان خصه من ارث ابيه. بقعة ارض مخصبة مثمرة جعل سكنه فيها واخذ يحييها ويزرعها ويسقيها. فنجحت مساعيه فاخصبت الارض واثمرت واتت باثمار وافرة من كل صنف وجنس. فاتت البساتين بفواكيها والاشجار باثمارها والارض باغلالها وبالاجمال اقبلت الارض واخصبت واعطت بالواحد مائة.

فغب ان استغلها ووضعها في العنابر والاهراء خطر لذهنه في ذات يوم في ان يلعب ويلهو و ينشرح ويطرب بطلق البارود وبشعل الاضوية والنار في وسط الدار. فنبهته الحاضرون هنالك عن الخطر المبين . وانه يخشى على الاهراء ويُخاف على الدار على انها لم تكن مسقوفة سوى بالقش والحشيش . اما هو فصرّ على غيه . واتمّ قصده . فطارت اذ ذاك شرارة نار فوقعت على السطح فاحرقت القش والاهراء وافنت الدار ولم تبقَ لها اثار . وعلى هذا الوجه والصورة خسر بدقيقة واحدة كل شيء ولم يبقَ عنده لا غلة ولا فاكهة ولا دار ولا عمار ولا امتعة ولا شيء البتة *

وكان لهولاء الاخوة اخت كفوّبهم . فقد كان لهذه حقل تملكه فباعته وتفرغت عنه وقد كانت تأكدت من جهة امينة صادقة بانه كان في ذلك الحقل كنز مخفي وعلمت بمكانه ومحله ولم يكن يتطلب لفتحه الاّ ما قلّ من الحفر . وكان هذا الكنز سبب غنائها مدى الاجيال . وفيما انها كانت تؤخر فتحه خوفاً من المشقة والمصاريف . علم به احد الجيران فاتى بها يوماً ولعب بعقلها واغراها على بيعها منه الحقل . ولما اراها

ما كثر من الدراهم فرحت بها وارتضت بالبيع وقبضت منه الثمن لانه بان لديها جزيلاً معتبراً لكنه لم يكن شيئاً بالنسبة لذلك الكنز المكنون . اما هي فتهللت فرحاً بهذا المبيع لحصولها على تلك الكمية البليغة . لكنها لما ارادت ان تنفقها لبعض اغراضها فلم يقبضها احد منها لانها كانت دنانير زيوف نحاس مطلي بذهب . فعندها استفاقت على جهلها وتأسفت على ما فرط منها . ولات حين ندم . على ان ذاك الشاري قد كان حفر الكنز واخذه وفرَّ هارباً *

يا ايها الخاطي يا مَن تتشفق راثيًا لحال هولاء الفاقدي العقل والصواب . ناشدتك الله تشفقنَّ على ذاتك وآرث لحال نفسك . لانك حينما ترتكب خطاءً مميتاً فانك تجمع في ذاتك كل هولاء الحمقا المجانين وتقوم مقام جميعهم *

فانت هو ذاك المُمثَّل بذاك الرجل الذي لاجل اقتطافه ثمرة لذّ له ذوقها وطعمها عرّض نفسه للسقوط في تلك الهاوية المريعة . لعمري أما ان تصفك هو بحصر المعنى حين تصوف ذاك المجنون . لما

بسبب لذة وقتية زائلة تكلفك كلفةً كلية. بل وقد لا تحصل عليها الاّ بمشقات عظيمة وعذابات جزيلة . تعرّض نفسك للسقوط في دركات جهنم ذات السعير . قل لي يا صاح من اين يتفق بانك لا تُبتلع من تلك الهاوية حال ارضائك شهواتك . هل ان الحيوة التي تتمتع بها هي امكن واثبت من ذاك الغصن الذي تشبّث به ذلك الاحمق فوق تلك الهاوية المهولة . أما انك على ممر الدقايق والساعات كائن في حال خطر الموت . خطر فقدان حيوةٍ خيطها سريع الانقطاع كما ان ذلك الغصن كان في كل لحظةٍ قريب الانكسار تحت رجلَيّ ذلك الاحمق المجنون *

فاياك قد مثّل ذلك الذي فضّل خدمة المولى الظالم العديم الانسانية على خدمة مولى حليم لطيف سخي كريم متجمّل بصفات من شأنها تميل قلوب اتباعه لخدمته . لانه أما ان تصرفك هو عين تصرفه . لمّا تشاء راغباً في ان تكون عبداً للشيطان . شقياً . مرذولاً . مبغوضاً من ان تكون عبداً لله تعالى ابي المراحم والنعم . وذلك في اخضاعك عنقك لنير الشيطان الثقيل المبغوض

بدلاً من ان تحمل نير المسيح الخفيف *

فانت هو الممثّل بذاك الاحمق الغبي الذي انقح متجاسراً في ان يتمرد ضد الملك مولاه ويعصى اوامره . وفي ان يعلّق على روس الملا اعلانات مهينة للذات الملوكية . لان تصرفك اما هو عين تصرفه لدى ارتكابك الخطية المميتة . اماً ان فعلك هذا هو تمرد على الله تعالى و عصيان على وصاياه الالهية . أما هو رفض الخضوع والامتثال لاوامره المقدسة . لاوامر التي كانك تدوسها برجليك . أما ان ذلك هو اهانة واحتقار لعزته الالهية وازدراء بسخطه وغضبه الاله *

فاياك يمثل ذاك الذي اذ كان مولى مطلوق الحرية والاختيار في ان يسكن مقيماً في مقرّ لطيف ظريف . اختار السكنى في كوخ حقير . أما ان تصرفك بحصر المقال هو عين تصرفه . حينما تفضّل العذاب في سجن الجحيم المظلم على الراحة في دار النعيم مقرّ التنعم واللذات . حينما تفضّل رفقة الابالسة والشياطين وصحبة الاشقيا والمرذولين على رفقة الملائكة والقديسين . حينما تفضّل البكا والنحيب . وتنهد الزفرات وسكب العبرات . النووح وصرير الاسنان . حينما تفضّل السكنى في

دار الجحيم ذي الظلام الحالك على الافراح الابدية الفايقة الوصف . على النور الحقيقي . على التراتيل الملائكية والنغمات السماوية . على الحبور والتنعم والملذات في اورشليم السماوية مدينة الله العلي *

انت هو الممثَّل بتلك الغبية الحمقاء التي حباً بقبض دنانير زيوف كاذبة تَركت كنزاً حقيقياً اولى من ان تكلف نفسها بحفر الارض لكي تجده فتربحه . لانه أَما ان تصرفك هو عين تصرف هذه الغبية الفاقدة العقل والصواب . حينما تبدّل بحماقة وجنون وذلك بخيرات كاذبة ولذات خدّاعة فارغة بضلال الدنيا وغرورها سعادةً ابديةً وتنعمات سماوية ارثاً محقًا لك . ارثاً تستطيع بكل راحة وسهولة ان تتاكد التمتع به والتنعم فيه *

فايّاك تمثّل تلك المجنونة الفاقدة العقل العارية عن التعقّل والصواب . التي طعنت ذاتها بسكين تحت امل نوال الشفا والبرء وذلك بالام قادحة وعذابات جارحة . لعمري ان تصرفك هو عين تصرف هذه الغبية لما اراك تجرح نفسك جرحاً قتالاً وتطعنها طعناً مميتاً معللاً اياها بالآمال . واعداً

ذاتك بانك تسدّ جراحك المميتة بادوية التوبة المرة الاليمة . ولا تخاف ولا تختشي من ان يداهمك الموت ويسبق اخذك العلاج ولا يعطي محلاً لمفعول الدواء *

اخيراً انت هو الممثّل بذاك الاحمق الذي لكي يحصل على لذة زائلة عابرة جعل اهراه رماداً وافنى غلاته واثماره . لعمري امّا ان تصرفك هو عين تصرفه . بعد ان جمعت في مدة سنوات كثيرة استحقاقات عديدة بالصدقات والتقشفات وممارسة الفضائل المسيحية . وترتضي مع ذلك ان تفقدها خاسراً وذلك لكي تذوق لذة دقيقة واحدة *

فاعترفنّ اذاً مقرًّا بان كل امارات الجنون واختلال العقل الممثّلة بهذا المثل توجد جميعها معاً في خاطىءٍ واحد . وان ارتكاب الخطا المميت هو كمال الجنون والحماقة . وان الخطاة هم اكثر جنوناً واشد حماقةً وغباوةً من جميع الناس كافةً *



* المثل الثالث عشر *

* في رجلين مسافرين *

ان رجلين مرتبطين بحبال مودة وثيقة وصداقة عميقة كانا سائرين معاً على شاطئ احد الانهر الكبيرة . فاراد احدهما ان يسير دائماً في وسط الطريق من دون ان يميل يميناً او شمالاً . اما الاخر فعلى خلاف الامر فاراد ان يمشي عند حافة الجسر تجاسراً وتفاخراً . فخاف صاحبه عليه وارتاع لحاله . ولدى مشاهدته عظم الخطر المحيق به انذره قائلاً : ان ما ذاك الّا ضرب من عدم الفطنة والتعقُّل حيث انه يعرض نفسه لخطر مبين . فاجابه الاخر متفلسفاً : بان خوفه انما هو بغير محله . على انه طالما كان متمسكاً بحاجز جسر ذلك النهر فلا خوف عليه ولا خطر . فاجابه صاحبه وقال : انني اسلّم لك بما تدّعيه . لكن يا ترى هل انك متأكد ثبوتك على هذه الحال الى منتهى السير . فانه قد يتفق امّا ان تعثر رجلك او تهب عواصف الارياح او تغور

لارض تحتك او يشتّ فكرك ويشوش بالك فتخطي سيراً فتقع من ثمَّ وتهلك في الماء . فيما ان السير في وسط الجسر اسلم غائلة وايمن عاقبة . فمهما إتفق من الحوادث وجرى من الكوارث فاذا ما وقعت فاني اقع في وسط الجسر وفي ارضه . فأسلم من الاخطار وانجو من الاضرار وانهض بعد قائماً واسير في حال سبيلي متجهاً الى محل مقصدي *

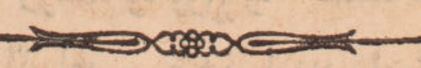
فلم يؤثّر هذا الانذار بذاك المسافر الغبي الجسور . بل انه اخذ يضحك هازئاً من خوف صاحبه وروعه . ولم يزل سائراً على حافة الجسر زاعماً بانه لا يغيّر سيره ولا يبرح ماشياً على حدة واحدة . ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً *

وفيما انه كان يتحدّث على هذه الصورة واذا به سمع طلق البارود وراءهُ فالتفت مرتعشاً واندهل مندهشاً . فاخطأت رجله السير فوقع من ثمَّ متدهوراً في الماء فهلك . واذ لم يكن له من مغيث ولا منقذ مساعد . فتأسَّف صاحبه عليه حزناً وتمزقت افئدته عليه كدراً وغماً . وسار في طريقه بتعقّل وفطنة وحيث ابتدى سعيداً انتهى ايضاً سعيداً *

فذاك المسافر الذي سار بأمن وطمانينة على حافة ذاك النهر الكبير العزوم يمثّل لنا اولئك المسيحيين الذين يعيشون قصداً وعمداً في حال ملكة الخطية العرضية . فكأنهم مقيمون دائماً على حافة نهر الخطا المميت ومتى انوجد من انذرهم وايقظهم على الخطر المبين الذين يعرّضون انفسهم له بكل جسارة ووقاحة فيجاوبون قائلين : انهم طالما هم واقفون عند حدود الخطا العرضي فلا يخشون ولا يخافون من ان يرتكبوا خطاءً مميتاً . فهذا امر حقيقي اكيد. لكن ليت شعري هل يمكنهم ان يتاكدوا مستوثقين من دون جسارة ودعوى بانهم لا يتجاوزون تلك الحدود. وآسفاه انه لا يقتضي لذلك سوى لحظة او كلمة او شهوة او ميل او فكر واحد فيخرجهم عن تلك الحدود كلها . لاسيما لانه في مواد شتى وحوادث كثيرة ترى الخطا العرضي لا يمتاز الاّ قليلاً من المميت . حتى ان الانسان الذي يوذن لنفسه بملكة الخطاء العرضي لا يخلو من ان ياثم مميتاً . فاذا فاجاه الموت وهو على هذه الحالة فيهلك لا محالة . كما ان ذلك المسافر هلك في الماء منقاداً اليها من عدم فطنته وتعقّله . أما ان

الاولى بالانسان ولا يمين له في ان يقي نفسه من الخطا المميت . او ان يجدّ مجتهداً باجتناب الخطاء العرضي . فهذا هو التعليم والارشاد المقدّم لنا من ذلك المسافر الاخر الفطن الذي خوفاً من ان يسقط متدهوراً في النهر لم يشاء ان يدنو من حافته *

ان الانسان المسيحي الذي يتحفظ محترساً من كل انواع الخطا واجناسه لا يخلو من ارتكاب بعض الهفوات . لكن مثل هذه النقائص والهفوات تكون صادرة من الضعف البشري ولا تكن ذات غائلة مشومة وعاقبة رديئة مضّرة . فيمكنه من ثمَّ ان يصلحها حالاً . وتفيده لازدياد حرارة العبادة والتقدم في الكمال الروحي . كما ان المسافر الذي يسير في وسط الطريق ولا يميل يميناً ولا شمالاً قد لا يخلو من ان يقع او يعثر لكن سقطته لا تعرّضه للهلاك في مياه النهر حيث انه يكون بعيداً منه . وبعد ان ينهض من سقطته قائماً يأخذ في السير بكل تحفّظ واحتراس . مجدًّا السعي على اتم الهمّة والنشاط *





* المثل الرابع عشر *

* في بدويّ احتلم بنفسه انه ملكاً *

ان احد الملوك صادف يوماً في طريقه بدوياً ثملاً من الخمر، فامر بحمله ونقله نائماً الى القصر الملوكي. وعند وصوله عرّته الخدام من اثيابه الخشنة الخلقة الرثة والبسوه ملابس ملوكية ناعمة واجلسوه في في فراش مفتخر، ولا حاجة لتبيان حيرة ذلك البدوي واندهاشه عند يقظته من رقاده. فاخذ يردد في فكره هل انه في حال اليقظة او النوم. وهل ان تلك اضغاث احلام او امور ذات صحة وحقيقة. ففتح عينيه وحقق النظر في ذاته واخذ يلمس ملابسه ويستعلم من نفسه عن حقيقة الحال وصحتها. وبالكاد اقتنع بانه هو هو نفسه. وقد تفاقم اندهاشه وازدادت حيرته وانذهاله لما حضر اليه الملك وزعماؤه ووزراؤه متظاهرين جميعاً بانهم خواصه واتباعه. فدنوا منه وامتثلوا لديه

ملتمسين صدور اوامره . واخذوا يقيمونه من الفراش مقدمين له الملابس الملوكية قائمين بمواجب الخدمة على اتم وجه واكمل صورة . فلما رأهم على هذه الحال لم يعرف ما يقول ولم يهتد لما يجيب . وقد تحيّر في امره وارتاب في هل يوذن لهم باجراء ما راموا ابداوه نحوه من الخدمة . اخيراً لما شاهدهم يتصرفون نحوه جدّ التصرف باحترام متجه اليه كانه شخص الملك . ترجّح عنده الظن وافتكر بانه لا بأس من ان يتصرف نحوهم كما لو كان حقيقةً وفعلاً الملك نفسه . ومن دون ان يكترث بالامر ولا بان يتعمق متاملاً المسئلة اجتهد في ان يشخّص شخص الملك على اتم حال . فقبل اكرام الجميع كانّه متّجه نحو ذاته . واخذوا من ثمّ يقدمون له الملابس الملوكية والحلل الرسمية وافرغوا جدهم بتقدمة كل ما لذّ لديه وحاز القبول بين يديه . واظهروا له عند كل فرصة الخضوع والطاعة ممتثلين امتثالاً تاماً لارادته السنيّة . وبالاجمال جعلوه ان يلذ متمتعاً بكل انعام النعمة الملوكية وبكل تنعمها وملذاتها *

امّا هو فوجد تلك المعيشة عذبة لديه وشهية اليه . ولقد كان

اعتاد عليها بسهولة . لكنّ الامر تغيّر احوالاً وتقلّب اشكالاً والواناً . على انه بعد ان ذاق المآكل الفاخرة والتذ بالاغذية الشهية في وليمة ملوكية حافلة وادار الساقي الكاس والاقداح فشرب الخمر والمشروبات وتلذذت اذانه باستماع نغمات الطرب والافراح . واذا بالملك الاول آمر بان تُرد اله ثيابه الخلقة وان يُرجع الى المكان الذي كان ملقياً فيه سابقاً . ولما كان الصباح نهض من رقاده والتفت الى ما حوله متاملاً حاله واحواله . فيا للتقلّب العجيب والتغير الغريب . فانه انذهل واندهش ولم يعرف ما يقول فأُبهم عليه الامر وأُشكلت المسئلة . فتذكر ما كان جرى له . فقابل حاله السابقة مع الحاضرة فقلقت افكاره وتشوش باله . على انه قد كان لاح لديه بانه قد صار ملكاً حقيقة وفعلاً ومع هذا فانه يرى ذاته بدويًّا من هل البر والاقفار . فغب ان امعن النظر بكل ما توقع ختم ظنه منتجاً بانه لم ينتقل قط من مكانه الذي كان راقداً فيه وان ما اتفق له من الارتقاء الى السدة الملوكية لم يكن سوى اضغاث احلام *

ليت شعري ترى هل من مُلك مهما طالت مدته

ودام عهله واعتاز بالعظمة والاقتدار ولا يبان كانّه اضغاث احلام لدى ملوك الارض ذوي الشوكة والاقتدار . اهل العظمة والافتخار . متى لدى يقظتهم من سبات الموت ينهضون من رقادهم لكي يظهروا امام منبر الديان العادل *

ونحن الذين في دنيانا الغرور نركض وراء الشرف والكرامات. وراء الغنا والاموال . ووراء العظمة والافتخار اذا ما نجحت مساعينا وحصلنا على كل هذه المرغوبات . اذا ما صرفنا حياتنا في وسط العظمة والكرامات . في وسط الملاهي والملذات . فترى ما الذي يبقى لنا منها عند يقظتنا في العالم الاتي . لعمري انه لا يبقى لنا سوى تذكر فارغ يحاكي اضغاث احلام ملاّقة استولت على من غاص في بحر الرقاد . فيا لجنون من علّق قلبه في حب خيرات . فانية سريعة الانقضا والزوال *

* المثل الخامس عشر *

* في من اضحى فقيرًا بذنبه *

ان رجلًا احاق به الفقر والمسكنة فاخذ يجول

من باب الى باب باسطاً يله للاستعطاء . ملتمساً الصدقة من اهل الخير والاحسان . فكنت تراه مطروداً من مكان الى مكان صفر اليدين خائب الامال . ومن الوف طلبات لم تستجب له طلبة واحدة . ومع كل جولانه في الازقة والشوارع والحاحه بالتسول والطلب فكاد الاّ يحصّل ما به يسد ضور جوعه . فاتفق بان رجلاً من اهل الغيرة والاحسان لمّا رآه على تلك الحال رثي لامره وتشفق على حاله متحنناً على فقره . فادخله عنه وقال له : يا هذا ان لي معرفة بانسان ذي مال . شهير بالغنا والاقتدار . كريم الاخلاق . سخي العطا . لم يرّد طلبة سائل وقد قارن سخاه غناه . فالرأي عندي ان تمضي اليه وتعرض حال فقرك لديه . والتمس انعامه فيغمرّك باحسانه . على انه ليس فقط يقبلك بكل بشاشة وترحب . بل انه لفرط سخاه وعظمة كرمه وعطاه فانه ينعم عليك بما تعيش به بارغد عيش واهناه ما بقي لك من الحيوة . وما اوكّده لك الآن وانبئك به من الانعام قد حازه من لدنه كثيرون من الفقراء والبائسين الذين قصدوا

احسانه والتمسوا نداه *

فما من احد الّا ويفتكر بان ذاك المسكين البائس يبادر بالسوال عن اسم ذلك الغني السخي العطا . وعن محل اقامته وسكناه لكي يذهب اليه وينهض غيرته للشفقة عليه، امّا هذا فلم يفعل شيأً من كل ذلك . بل انه فضّل الجولان في القرى والبلدان واستعطا الصدقات والاحسان جامعاً فلساً من هذا وفلساً من هنالك . وكاد الّا يحصل على ما يكفي قوته اليومي وذلك احرى من ان يتوجه لدى ذلك الغني الوافر العطا . الذي لقد كان اخرجه من حضن الفقر والفاقة . وانتشله من حال العوز والحاجة *

لا غرو بانك يا هذا تستشاط غيظاً من هذا الخاطي الشقي قائلاً في ضميرك انه يستحق ان يقاسي كل شقا وعذاب . ناشدتك الله استشيطنّ غضباً على ذاتك. على انه انما اياك قد مثّل مشخّصاً . وما تصرفه وسلوكه الّا رمز عن تصرفك . أما تراك الناس مستعطياً يومياً متسولّا تحاكي الفقراء في الازقة والشوارع ملتمساً من المخلوقات خيرات وملذات وارضاء اميال كثيراً

ها تتنكر عليك وتُرد من ثمَّ خائباً . واذا ما نلتها فانما تنالها بكل صعوبة ومشقة . فانها تكلفك ما يعسر تلخيصه من العنا والاتعاب . ومع هذا كله فانها لا تروي لك غليل ولا تشبع لك ميل فيما انه قد ناط بك الامر وفوّض اليك التوجه لدى الله الكلّي الغنى والاقتدار . الجزيل السخا . الوافر العطا . الذي يعطيك الخيرات دفعةً واحدة . الذي يشفي غليلك ويروي ظماءك ويشبع ضورك دائماً وابداً *

* المثل السادس عشر *

* في التذاكر الجميل والاحسان *

ان مركباً ضربته العواصف والارياح فأغرقته تجاه الميناء التي كان قاصدها . واذا برجل غني من اهل تلك المدينة حزن وتكدر وناح وبكى لدى مشاهدته البحر مغطياً من اناس اضحوا فريسة الغرق . وما لهم من الموت مهرب ولا مناص . فتجرا وهجم والقى نفسه في سفينة وطار من ثمَّ مسرعاً لمساعدة اولئك الغرقى واغاثتهم بخطر حياته وتاكد هلاكه . فصارع بعزم .

ضاعفته الهمّة والنشاط بحراً هائجاً وامواجاً تتهدّده عند كل لحظة بالغرق والهلاك . وغب ان افرغ جداً لا يُدرك وبذل جهداً لايوصف بلغ الى حيث كان انكسر المركب وغرق . فدنا من اوليك الغرقى البائسين فرأى احدهم ملعبة للامواج وللارياح . فعنفاً عن عزم الزوبعة و قوتها قبض على ذلك البائس ووضعه في سفينته . ولقد كان تمنى خلاص كثيرين من رفقائه لكن اضطراب البحر وهيجانه منعاه عن اجرا قصده وتكميل مرغوبه . فحزن متكدراً وناح متأسفاً لمشاهدته اهل المركب قاطبة اضحوا فريسة الغرق وقد ابتلعتهم اللجة . فرجع من ثمّ الى القارة بنفره واحد اختطفه من ايدي المنية . ودخل المينا واصوات الفرح والابتهاج تخرج من افواه شعب يتهلل طرباً . لانه قد كان شاهد مرتعدا عظم شجاعة ذلك الرجل وكبر شهامته . فبذل ذلك الغني نحو ذلك البائس الجهد والعنا ولم يدعه يحتاج الى شيء . واظهر نحوه كل محبة وانعطاف . وورد اليه بجزيل سخاه ووافر عطاه ما ازداد اضعافاً على ما كان خسره في غرق ذلك المركب *

ترى ما عسى تكون عواطف ذلك الانسان نحو منقذه ومخلصه . لا غرو انه يخال لذهنك بانه لا يكفّ منذهلاً ولا يزال متعجباً من جرآة هذا العمل . ولا يبرح ناشراً رايات الحمد والثنا على شجاعة من خلّصه وعلى غيرة من انقذه وانتشله من عمق اللجة . بل ويكلّ لسانه عن تادية الشكر عمّا ابداه نحوه من الفضل والاحسان حتى انه لا يجد الفاظاً كافية وعبارات بليغة وافية يوضح بها عمق معرفته الجميل والامتنان الذي افعم قلبه واملأ فواده . كلّا ثم كلّا . لقد اخطئ فكرك وخاب ظنك . لانه عوضاً عن ان يشكر فضل ذلك الرجل الشهم الغيور عمّا ابداه نحوه من الاحسان وكابد بشأنه من الاهوال فاخذ يلومه لانه لم يصنع نحو الاخرين نظير صنعه نحوه . وتشكّى متذمراً من تصرف ذلك المحسن اليه وخاطبه بفظ الكلام موبخاً اياه على عمله قائلاً : لماذا لم يخلص رفقاه وينقذهم من الغرق كما انه قد خلصه ونجاه . فحينئذٍ نهض رجل من وسط الجماعة عند سمعه تشكّي ذلك الغبي وتذمره وصاح به صارخاً : يا ايها الانسان الاحمق المجنون .

هل ان هلاك الاخرين يجعلك الّا تكون مديوناً لمنقذك ومخلّصك . اوهل ان ذلك ينقص قيمة فضله اليك واحسانه عليك . اي نعم قد يليق بك ان تنوح باكياً وتشكو راثياً لسوء حظ رفقائك . لكن ما قد نابهم من سوء الحظ فليكن اقوى سبب واعظم برهان لاحساسك بما نالك من الحظ والسعادة . وليوثر بك ذلك تأثيراً عظيماً وتتضاعف معرفتك الجميل نحو من اولاك الاحسان وغمّرك بالانعام *

فيا فلاسفة العصر والزمان . يا اهل الدهر والاوان انظروا صورتكم ممثّلة امام اعينكم بهذا المثل . فانه تُسمع يومياً سوالاتكم المنحرفة المقرونة بصوت التهكّم والانتقاد قائلين : لماذا ترك الله اقواماً لا يحصى عديدهم غائصين في بحر الجهل والبهتان في دجى عبادة الاوثان بعيدين عن معرفة الديانة المسيحية المبنية على سمو الاداب واستقامة الايمان . ولماذا سمح الله تعالى بان قبائل كثيرة وطوائف عديدة تعمي قلوبها بضلال الارطقة والطغيان . بل ولماذا كثير من الاطفال يموتون ولا يصطبغون بمياه المعمودية

المقدسة . فكأنكم بذلك تتشكون من اعمال العناية الالهية وتتذمرون من الاحكام الربانية وتقيمون الدعوى على حكمة الله المدبرة الاكوان *

فيا ايها الاغبياء ويا ايها المجانين الحمقا . أهل يحق لكم ان تبرزوا الحكم والقضا على الله مولاكم وتطلبون منه برهانًا عن تصرفه واحكامه الغير المدركة . أما ان الخليق بكم ان تظهروا نحوه عمق الممنونية والمعروف . لكونه قد فضّلكم على كثيرين اذ غرسكم في حضن الديانة المسيحية الكاثوليكية واولدكم ايلادًا ثانيًا اذ تطهّرتم في مياه المعمودية المقدسة . أما انه بقدر ما كثر وازداد عدد اقرانكم وجمهور امثالكم الذين قد فقدوا هذا الحظ والانعام بقدر ذلك ينبغي ان تزداد نعمه عليكم قيمةً وتعلو ثمنًا . أما انه ينبغي ان تزداد ممنونيتكم وتتضاعف معرفتكم الجميل نحو من تنازل متفضلاً عليكم بهذا الاحسان واولاكم هذا الانعام *



* المثل السابع عشر *

* في الوريث *

ان شاباً من اهل القرى والبر ذا عقل ثاقب وقريحة جوّادة . كبير النفس عالي الهمّة . ترك بلاده ومسقط رأسه وتوجّه الى قاعدة المملكة ساعياً في نجاحه وتقدمه . فوافقته الايام وساعدته العناية . فاستغنم الاوقات وانتهز الفرص فاجتنى بقوة شطارته وشدة فراسته والمثابرة على اشغاله واعماله اثمار اتعابه . وارتقى رويداً رويداً من مقام الى مقام حتى انه صار من العظما الكرام والزعما اصحاب الثروة والاموال . وفيما كان ينعم متمتعاً براحة وسكينة بما حباه المولى من العطا والمال واولاه من الانعام ثمرة اتعابه ونتيجة مساعيه واذا بالموت قد فاجاه في وسط تنعماته وحال توفيقه ونجاحه . فقبل وفاته كتب وصيته واذ لم يكن اقترن بزواج اقام من ثم وريثاً على ما يملكه ابن اخ كان له وكان ذلك الشاب من اهل القرى والبر نظير عمه المتوفي عائشاً في الذل

والمسكنة في قريته مسقط رأسه . واقام عليه وصيًا رجلاً من اهل العرض والصلاح يعتمد على صداقته ويثق بامانته . فقام الوصي من المدينة وشدّ مسافرًا الى القرية مقرّ الوريث المقصود بالوصية . فلما وصل اليها وحطت ركابه فيها . استعلم من محل ذلك الوريث فاجيب بانه كان وقتئذٍ ملقيًا في السجن في مدينة ذلك القضا لعجزه من دفع الجزية والخراج . فتوجه اليه الوصي على جناح السرعة فوجده على ما ساء من الاحوال . ومن دون ان يبيّن له سبب افتقاده له فاعلمه بانه اتى اليه لكي يطلقه من السجن ويخلصه من ذلك الجور والظلم . وقد اكد القول بالعمل على انه قام بوعده واخرج ذلك المسكين من ظلام السجن . فالتفت اليه ذلك المظلوم مندهشاً ولم يعرف كيف يوضح له عظم الممنونية عن مثل هذا المعروف . فاجابه الرجل قائلاً : اعلم يا هذا اني اتمنى لك نعماً اكبر وحظاً اعظم لكنه تتميماً لذلك ينبغي ان تأتي معي وتسافر صحبتي . قال هذا واردفه في عربيته وسار به نحو قاعدة الملك . فعند وصوله اليه البسه الملابس الرفيعة والحلل

الثمينة . ثم ادخله الى قصر عالٍ . واخذ يريه قاعاته الشاهقة الظريفة ومخادعه الجميلة اللطيفة وافهمه قيمة الامتعة وظرافتها . وابان له جمال تلك النقوش وعظمة زينة ذلك القصر المفروش بالبسط والطنافس . الموشح بالخز والديباج . فاندهش الشاب عند مشاهدتها وتامله علو قيمتها واتقان صناعتها . ثم فتح له صناديق مملوة ذهباً وفضةً وفيها ما كثر قدراً واعلى قيمة من الماس وكل انواع الحجار الكريمة . واراه صندوق اخر فيه حجج املاك عديدة من قرى واراضي وبساتين وصكوكاً وسندات بما له في الذمم واوراقاً تستحق له عند الصيارف . واخيراً سلّمه مفتاح القصر وقال له : كل هذا خاصتك وملكك يحق لك شرعاً وفرضاً تتصرف به كيفما تشاء فلا من مداعٍ يداعي ولا من معارض يعارض . طب نفساً وقرّ عيناً وعش متنعماً بما قسمه المولى لك *

فهات الآن ان امكن نتامل ما استولى على ذلك الرجل من التعجب والانذهال . وما اثّر به من التاثيرات لدى مقابلته الاحوال وما شاهده من

التبدّل والتناقص . فاين حاله السابقة من الحال التي راى ذاته عليها وقتئذٍ . فراى قصرًا عوض سجن مظلم . غنا وافرًا واموالًا لا تحصى بدل ما كان عليه من الفقر والفاقة القصيا . فيا له من تقلّب عجيب وتغيّر غريب . لعمري كم ينبغي له ان يسلّم نفسه للطرب والافراح والى التهاليل والابتهاج *

فكل هذا ما هو الّا رمز ضعيف وصورة لا يُحس بها عمّا عتيدون ان نشعر به ويستولي علينا من السعادة والمسرة المدعوين اليها . السعادة التي عتيدون ان نمتلكها عند خروجنا من هذا العالم وولوجنا ملكوت السماوات . ليت شعري ترى ما هو بالحقيقة كلما تسامى قيمةً وعلا مقاماً وتباهى جمالاً ولمع متلألأً وادهش العقل مذهلاً في هذه الارض لدى مقابلته مع ذاك المقرّ السماوي المزدان بحضرة الوجود الاعظم بالذات العتيد ان يريبنا ذاته وجهاً بازاء وجه فنشاهد بها جلاله ونستنير بضياء مجده العتيد ان يظهره جلّ وعلا جزاءً لعباده المومنين الذين احسنوا عبادته وامتازوا في خدمةٍ تليق به . واضحوا من ثم اهلاً له *

لعمري انه لفرق لا حد ولا قياس له الفرق الكائن بين السجن المدلهم المظلم والقصر المزدان بكامل المحسنات وبكلما اخترعته الصنائع مما هو اكثر جمالاً واكمل احكاماً . وبين السكن العذب مقرّ الراحة والسلام الذي اعدّه الله لمختاريه . لعمري ترى ما الذي يستولي علينا لدى ولوجنا المقرّ السماوي عند ما نرى ذواتنا متسربلين ببهاء جمال لا يوصف وبغنى مجد لا يُعرف . عند ما نرى ذواتنا محفوفين بما اذهل العقول وادهش الاذهان وبما يكل عن وصفه اللسان مما غرب من الامور الفائقة الادراك واولى العجب من الاشياء السماوية التي لم تخطر على قلب بشر . فعندها يقول لنا الرب الاله ان كل هذا لكم . فهذا خاصتكم تتمتعون به صحبتي مدى الابدية طالما انا اله *

* المثل الثامن عشر *

* في جواب احمق *

قد استولت اللصوص وقاطعوا الطرق على احدى

المدن فاملأوها وافسدوها . واخذوا بالنهب والقتل . فكنت لا تسمع يوميًا سوى اخبار عن بيوت منهوبة واموال مسلوبة واناس جرحى وغيرهم قتلى ملقين في الازقة والشوارع . فخاف اهل تلك المدينة وارتعدت فرائصهم وكادوا الّا يجدون طريقة للامان وسبيلاً للاطمئنان على انفسهم . فمع هذا كله قد وجد احد سكانها لم تؤثر به تلك الاراجيف ولم يبالِ بالنقل والاشاعات ولا بما سمعه وحققه ولا بما شاهده وعاينه . بل انه عنفًا من كل تلك الاخبار قد تجاسر وترك باب داره مفتوحاً ليلاً . فلما لحظ ذلك احد الجيران ظنه سهواً فبادر اليه وايقظه عن غفلته . امّا الرجل فغالطه وغيّر افكاره اذ اجابه بان لم يكن تركه الباب مفتوحاً في ذلك الليل الحالك سهواً وتغافلاً منه . بل انه كان متأكداً بان باب داره قد تُرك مفتوحاً وذلك قصداً وعمداً . فعندها قال له جاره : ناشدتك الله قل لي . ما الذي تتوهمه وتتصوره وما هي افكارك . اما تعلم ان قد اضحت المدينة نهيبة للصوص وفريسة لقاطعي الطرق . وان هولاء الائمة الاشرار يطوفون ليلاً فينهبون الاموال ويلطخون اياديهم

بسفك دما الانام . فاجابه الاخر مؤكداً له بانه يعلم ذلك وله الوقوف والاطّلاع عليه . فحينئذ قال له جاره : فاذا كان ذلك كذلك كيف تتجاسر وتترك ذاتك فريسةً لهولاء الاشقياء . فاجابه الاخر قائلاً : اني اومل بانهم لا ياتون اليّ ولا يقتربون مني . فقال له جاره . ان كنت تؤمل ذلك قل ناشدتك الله علامَ تبني امالك وتوطّد رجاك . فاجابه الاخر قائلاً : لعمري هل انه يدخل عقل بشرفي ان بلدة مثل هذه مكوّنة مما ناف عن العشرة الاف دار تفضّل الائمة الاشرار الدخول الى داري على ما سواها . فقال له جاره : ان كلاً من سكان هذه البلدة الذين قُتلوا وذُبحوا وانتهبت بيوتهم وسُلبت اموالهم كان حرياً به ان يتعلل بما فهت به من البرهان . ومع هذا فاننا راينا اللصوص قد دخلت مساكنهم ونهبوا اموالهم وقتلوهم . اما ان اكثر اصحابك المعروفين منك كانوا ساكنين هذه المحلّة التي انت ساكنها ماتوا قتلى بايدي هولاء الائمة الفجّار . أهل انه امر مستبعد ان يحلّ بك ما قد حلّ بهم . فاجابه الاخر : ان قولك هذا صادق اكيد . لكن مع

هذا يخال لذهني بانهم لا يأتون اليَّ ولا يدخلون داري *

لعمري ان مثل هذا الجواب البارد القتّال يقد في قلب سامعه نيران الغضب ويمزّق افئدته حنقاً وغيظاً من بلادة من فاه به وعدم احساس من جاء به . فمع ذلك ان كل الذين يعيشون بهدو وسكينة حال كونهم في حال الخطا المميت لا يستطيعون ان يأتوا بجواب آخر يبرّرون به سوء تصرفهم وقبح عيشتهم *

اني استعلمنّ مستفهماً من هولاء الخطاة قائلاً نحو كل منهم . انك عارف يا هذا بان كل من مات في حال الخطية المميتة هو مرذول من الله . فيجيبني ذلك الخاطي قائلاً : اي نعم اني اعلم ذلك واعرف صحته واوقن به حقاً . فعندها اقول له . فاذا ما فاجاك الموت وانت في الحال التي عليها فلا غرو بانك تهلك للابد . فيجيب اني اسلم بذلك ولا شبهة به . فاقول له : فوالحالة هذه كيف تتجاسر وتبقى يوماً واحداً في حال الخطاء المميت . فيجاوب بكل بلادة ورعانة . اني أومل بان الموت

لا يفاجيني عند ذلك وانه قد يكون لي زمان اخرج فيه من هذه الحال . فاهتف من ثمَّ نحوه صارخاً : ناشدتك الله قل لي يا صاح . علامَ تبني امالك وتأسس رجاك . فيجيبني قائلاً : انه فتى شاب في عنفوان صباه . فاقول له . أمَّا انه يموت يوميا من لا يُحصي عديدهم وهم معادلون لك في السن . فيجيب ذلك البليد قائلاً : لا شك بذلك ولا ريب فيه . لكن اعلم يا اخي اني على احسن حال من الصحة والعافية . فنقول له : انه كاد ألَّا يحصي عدد الذين تأتيهم المنية مع انهم قبل وفاتهم بدقائق قليلة كانوا بحال العافية . فيجيب قايلاً : ان ذلك حق وصدق . لكنه لامر مكرب محزن وهو ان الموت يذهب مختاراً اياي دون كل سكان هذه البلدة ويخرجني من بينهم . فيُقال له . اما ان هذه المصيبة تحل يوميا باناس كان يحق لهم القول بما تقوله وتدّعيه . ومع ذلك حالما كانوا غير مفتكرين وفي ساعة لم يستنظروها فاجاهم الموت وقطع خيط حياتهم . بل وان كثيراً من اقربائك واصحابك . من جيرانك ومعارفك قد فاجاهم

الموت وحاقت بهم البلية . فيجيب قايلاً : لقد صدقت فيما تقول واصبت بما تدعي .لكنني مع ذلك أومل بان الموت لا يفاجيني في هذه الحال التي انا عليها وانه قد يكون لي زمان اخرج فيه منها *

لعمري ان هذا بحصر المعنى جواب الرجل الممثل بهذا المثل . أما ان جواب الممثل والممثل ضرب من الجنون والغباوة . أما ان هذا التصرف هو عين الجهل والحماقة *



* المثل التاسع عشر *

* في من قد ارتد تائبا رغماً عن نفسه وعنفاً عن ذاته *

انه قد كان في بريتانيا من اعمال فرنسا رجل من اهل الخلاعة اضحى بقبح سيرته شكاً لاصحابه وحجرة عثرة لسكان بلدته . فانه قرن فساد السيرة وقبح الخصال بالكفر والبهتان . على انه ليس فقط لم يكن يباشر فعلاً من الافعال الدينية ولا يمارس فضيلة من الفضائل الادبية . ولا يعباء باحد التعاليم الانجيلية . بل انه بكل وقاحة وسفاهة

كان يتفوه متحدثاً بما خالف الديانة وضاددها . وبما
اهان قهارمتها واحطّ مقام خدمتها . فلما رأى كاهن تلك
الرعية ان الشاب اضحى افة لرعيته وذئباً يسطو على
خرافه بما اهداه من فساد السيرة وقبح الاقوال المشككة
ذهب متشكياً منه لدى احد ابناء رعيته وكان هذا
من الذوات المعتبرة صاحب نفوذ لدى الحكومة
بما انه كان مدير مجلس الجنايات . وعدا ذلك فانه
رجل عاقل رصين من اهل التقوى والدين . وكان هذا
الرجل يمضّي الصيف في محل قريب من قرية
ذلك الشاب . فانذره بالرجوع عن غيه والارتداد
الى الله تعالى واخذ يردعه من القاء الشك في قلوب
الانام السذج . وانه ان لم يصلح امره ويحسن تصرفه
ويرتجع من اهانة الكهنة وارباب الديانة فانه يسلّمه
الى الحكومة فتقتص منه على سوء افعاله . فهذا التهديد
والانذار كان يردع ولو قليلاً ذلك الشاب ويرده عن
طرقه المعوجة مدة اقامة مدير المجلس في تلك الاطراف .
لكنه حين علمه بانه قد توجه الى مركز الحكومة فكان يرجع
حالاً الى قبح تصرفه السابق ويطلق العنان لاميالة
المنحرفة ويلقي الشك في قلوب اهل التقوى والعبادة

ويهين ارباب الديانة ويهزء بهم . فعلم المدير بما كان من تلاعب ذلك الشاب وتقلبه وتأكد بان مجرد التهديد لا يضع حدًا لسوء اعماله ولا يوقفه عن كفره وتجاديفه . فاخذ من ثم يفتكر بطريقة موافقة يصلح بها سبيله . فحركته تقواه في ان يسعى في ارتداده الى الله بالتوبة . لكن ذلك كان امرًا صعبًا مستبعداً . فمع هذا قد نجحت مساعيه وكان ارتداد ذلك الشاب على ما يأتي من البيان *

كان بالقرب من ذلك المحل بلدة شهيرة باعمال المرسلين اليسوعيين وكان لهم فيها دير مختص بالارشاد وعمل الرياضات الروحية . وكانت باوقات معلومة من السنة تذهب اليه اهل التقوى والعبادة ومن كان مغروسًا في قلبه حب الديانة لعمل رياضة الاختلاء الروحي الشهيرة فايدته والجزيلة اثمارة الخلاصية . فكنت ترى الدير يزدحم من جماهير الاهالي الواردين اليه . فافتكر مدير المجلس في نفسه قائلاً : انه لو امر الشاب في ان يتوجه الى ذلك الدير لاستماع الارشاد وعمل الرياضات الروحية لكان قولد هذا عبثًا

ولا ثمرة له . بل قد يكون سبباً له في ان يزيد كفره كفراً ويأخذ يزدري مستهزئاً . فلم يكلفه لذلك ولم يطلعه على هذا القصد الصالح لكنه رمى عليه القبض يوماً وارسله مع اتباعه الى ذلك الدير فسلّموه للاب الرئيس وصرّحوا له بحضرة الشاب ارادة المدير وهو انه ينبغي عليه ان يحضر الرياضات ويستمع الوعظ والارشاد بكل تدقيق . وانه اذا جرى منه الخلاف ولم يحسن التصرّف في بحر تلك الرياضات او انه شوّش الحاضرين بحركات مغايرة فانهم يحضروه لدى المدير موثوقاً بالقيود فيلقيه من ثمّ بالسجن ويعلم الحكومة به فتعاقبه على سوء اعماله . فاخذ الشاب يتدمر متشكياً مما ابدوه نحوه من الاغتصاب وفاه بما لا يطاق استماعه من الكفر والتجاديف ، اخيراً اضطر ان يذعن لذلك خوفاً ورعدةً . وامتثل من ثمّ لامر المدير مودعاً في نفسه ان لا يصغي للوعظ والارشاد المأمور بهما ، وهكذا كان . على انه في العظة الاولى التي كانت في غاية الانسان حاول عدم الاستماع واشغل افكاره بامور خارجة . لكنه رغماً من هذه المحاولة وعن تشتيت افكاره لم يستطع

ان لا يسمع بعض اقوال وقف عندها واخذها بعين الحقيقة من دون ان يلحظ ذلك او يشعر به . ولما كانت العظة الثانية بقي مصرًا على غيه مشتتًا افكاره مشتغلاً بامور لا طائل تحتها . لكنّ اهميّة الموضوع الذي كان عن الخطية المميتة ايقظ افكاره والزمه ان يصغى ويعطي ذهنه وان يكن ذلك رغماً وقسراً عن رغبته . فاثرت به تلك العظة تأثيراً لم يستطع على مقاومته . ومما ازاده تأثيراً هو الموت الذي كان موضوع العظة الثالثة وبموجب مألوف عادته حاول جهده لعدم الاستماع والاصغاء فلم يستطع ان يوجّه ذهنه لافكار اجنبية كان يرغب اعتناقها والانشغال بها . فخرج من ثمّ خارجاً غائصاً في بحر الافتكار . فصرف الليل بقلق عظيم واضطراب جسيم . ولمّا كان الغد اتى من ذاته لاستماع الوعظ والارشاد . وكان حينئذٍ الموضوع في الدينونة الخصوصية والعامة وفي الجحيم . فصغي منتبهاً ووجّه افكاره لتلك العظة متاملاً فلم يبرح من ذهنه حرفٌ واحدٌ منها . فانتصرت عليه هذه الحقائق المخيفة الفعّالة فرمى من ثم سلاحه امامها وخضع مسلماً لها . وذهب مخبراً رئيس الدير

بما اثّر به من التغيير العجيب والتبدُّل الغريب الذي فعلته به النعمة الالهية . فاعترف من ثمّ اعترافًا عامًا بصدق الندامة وكمال الانسحاق. واستسار في تلك الرياضة سيرةً اضحت نموذجًا للناظرين اليه . وخرج منها قاصدًا ان يصلح امر نفسه ويعوّض بحسن السيرة المسيحية الحقيقية ما قد كان فرط منه من الشكوك . فقام من ثمّ بوعده واجرى هذا القصد بالعمل حتى انه قيل عنه من اهل وطنه ان الرياضة قد اتت بالمعجزات فجعلت الذئب حملًا *

فلدى وقوفنا على هذه القصّة الحقيقية الصادقة فلنتاملنّ مفاعيل الحقائق الدينية وما تجريه من التأثير العجيب متى احسن الانسان تامّلها وامعن النظر بها واشغل ذهنه فيها على وجه التوالي والتتابع . لعمري اذا كان شابٌ من اهل الكفر والخلاعة قد شعر بمفاعيلها رغمًا عن ذاته وعمّا ابداه من عدم الالتفات والاصغاء . وعمّا حاوله من تشتيت الافكار واشغال الذهن بامور اجنبية خارجة . فترى ما يكون عظم مفعولها وشدة تأثيرها بقلب من سلّم نفسه لها ورغب باجتناء اثمارها .

فان عظم انضمام هذه الحقائق ببعضها واحكام اتصاليتها . ثم الترتيب والنظام وحفظ السياق في تقدمتها للعقل يجعل في ان كل حقيقة منها تساعد الاخرى فيتضاعف مفعولها وتعسر من ثمّ مقاومة انضمام قوتها . فهذه هي الفائدة الحسيّة الظاهرة للعيان الناجمة عن تتابع التاملات في بحر الرياضة . وهذا هو الفرق الواقع بينها وبين التاملات المنفصلة المتقطّعة التي تصير في مدار السنة *

فيا ما اعظم الفائدة التي حصلت عن تلك الاديرة المخصّصة لمثل هذه الرياضات التقوية من المسيحيين الاولين حيث كان الانسان المسيحي متى رام التفرغ الى مثل هذه الرياضات الروحية يستطيع ان يختلي بتلك الاديرة . ويا لجزيل الاثمار الخلاصية والفوائد الروحية الناجمة عن حثّ الخطاة على عمل رياضات الاختلا مدة ثمانية ايام متتابعة كما جرى بهذا الشاب المقصود في هذا المثل . فان ارتدادهم ورجوعهم الى الله تعالى بالتوبة يكون ثمرة مثل هذه الرياضات الروحية *

ثانيًا فلنعتبرنّ اسرار العناية الالهية . ليت شعري ترى من كان افتكر في ان يروّض شابًا من

اهل الخلاعة والكفر مستحقاً العقوبة والتاديب من لدن الحكومة وان يلزمه باستماع سلسلة عظات متتابعة السياق لولا ان العناية الالهية تلقي ذلك في القلوب وتلهم هذه الطريقة لاجل ارتداد الخطاة وترجيعهم الى الله بالتوبة .



* المثل العشرون *

* في السفينة *

ان احد الكهنة الفضلاء قصد التوجه من مدينة مصر القاهرة الى ثغر الاسكندرية . فاستأجر سفينة لنفسه وحده لكي يصرف اوقاته بهدو وسكينة مثابراً على الصلوة والتلاوة الروحية . لكنّه كان احياناً يقطع صلاته وقرأته الروحية ويتحدث مع رئيس تلك السفينة قاصداً افادته باحاديثه الخلاصية واقواله الروحية *

فلما كان صباح احد الايام رأى الكاهن ذلك البحري منشغلاً بنزح المياه التي دخلت السفينة

ليلاً . فعندها قال له : يا صاح ان ما تفعله بسفينتك هذه انما هو رمزٌ لما ينبغي على كل انسان فعله نحو سفينة قلبه . على انه كما ان المياه تدخل السفينة على ممر الاوقات من خلال الاخشاب وتجتمع قليلاً قليلاً فيتكوّن منها كمية بليغة التي ان لم يُبادر دائماً الى نزحها فتملئ السفينة وتغرّقها . وعلى هذه الصورة تدخل الخطية على ممر الاوقات في قلبنا بواسطة حواسنا . فان تغافلنا عنها ولم نتنبه اليها مجتهدين باقتلاعها من وقت الى وقت بواسطة سر التوبة . فانها تستقر فيه وتستولي عليه استيلاءً هذا حده حتى ان هلاكنا يتأكد لا محالة . ومن ثمَّ بقدر ما تكون الواح السفينة واخشابها شديدة الانضمام بقدر ذلك يتعذّر دخول المياه فيها . وكذلك بقدر سهرنا وتحفظنا على حواسنا بقدر ذلك نقفلها قفلاً محكماً عن الموضوعات الخدّاعة المحيقة بنا فيتعذّر من ثمَّ دخول الخطية في قلبنا . لكن كما انه اذا ما انفجرت السفينة وانفتحت من جهةٍ فتدخل حينئذٍ المياه اليها حالاً بكمية بليغة فتنبغي من ثمَّ المبادرة حالاً الى سدّها اذا ما رمنا اجتناب الغرق . هكذا

متى انفتح مدخلٌ للشهوة في قلبنا فيمتلئ حالاً من خطايا غريبة كثرتها تتولد فيه على ممر الاوقات فتأول الى هلاكنا لا محالة ان لم نبادر ونسد مدخلها بانتصارنا على شهواتنا *

فانسرّ النوتي من هذه المقابلة واوعد من ثمّ بانه لا ينساها ابداً بل وانه يكررها على رفقائه لكي يستفيدوا منها ويحذوا حذوه باجتناء اثمارها *

ولما كان غد ذلك اليوم قال الكاهن للنوتي : انه حال وجودي في مخدعي ضمن هذه السفينة وانشغالي اذ ذاك بالقرأة وبما شاكلها لم احسّ اصلاً بتقدم المتصل نحو غاية سفري . بل انه يلوح لي باني لم ازل في مكان واحد . لكنه لدى خروجي من المخدع وتفرسي بالجهات المحيطة بنا فأرى تغييراً متصلاً . وعند كل لحظة ارى القرى والبلدان والجبال والغابات والسهول والتلال تغيب عن ناظري وتتبدّل باشياء جديدة غيرها تقع تحت حواسي . فحينئذٍ اعرف متاكداً باني في حال الحركة واني اسير من ثمّ متقدماً نحو محل مقصدي . وعلى هذه الصورة نتقدم يا صاح نحو الموت ونحن لا نشعر بذلك . وكل

خطوة نخطوها فانما نخطوها نحو الموت . لكننا لا نحس بها . بل انه يلوح لنا كأننا اليوم لم نزل حيث كنا امس . فالامر الذي يلزمنا بان نعرف ونتأكد باننا في حركة متصلة تسحبنا نحو القبر هو التغيير الذي نراه في كل ما يحيط بنا . لانه فيما اننا نرى الاقارب والاصحاب . الجيران والاحباب يختفون على ممر الاوقات عن ناظرنا نرى غيرهم حلّوا محلهم وكانوا من ثمّ مناظر جديدة لاعيننا *

فعلى هذه الصورة كان ذلك الكاهن البار يعلّم النوتي ويرشده على احسن طريقة والطف اسلوب . ولكي يمكّن في قلبه ويبجّن في عقله ما اراد ان يلقّنه من الحقائق الدينية ويجعلها حسيةً لديه ذات تاثير وفاعلية فيه اخذ يحضّرها له بصور و رموز استعارها من نفس حرفته *

ولما كان يتحدث معه مرةً قال له : قل لي يا صاح . لماذا لدى وصولك لثغر الاسكندرية وفروغك من شغلك فيها لا تصحب معك رُكّاباً وترجع فيهم الى القاهرة او الى بلدة اخرى فوقها . فاجابه النوتي قايلاً : اعلم يا ابت ان هذا امر مستحيل عليّ .

فقال له الكاهن : ولِمَ ذلك . وما المانع الذي يمنعك عن اجراء هذا الامر . فاجابه النوتي قائلاً : انه في مجيئنا نتّبع مسير المياه فتسحبنا بقوتها ولهذا ترانا نترك السفينة تجري مجراها فتسير نِعمَّ السير واذا ما استعملنا المقذاف مرةً فما ذاك الّا حبًا بالسرعة . اما في رجوعنا فاننا نسير ضد مجرى المياه فينبغي من ثمّ ان نقذف قذفًا متصلاً لئلا نُغلب من مقاومة المياه . ومع هذا انك ترانا نسير بمشقة وصعوبة . واذا ما فترنا عن القذف لحظةً فيردنا مسير المياه وعزمها الى الوراء . وعوضاً عن ان نذهب متقدمين الى ما قدام نرتد متقهقرين الى الوراء . فقال له الكاهن : لقد اصبت بما اجبت . فاني انتج ممّا اوردته لي ما اتلوه الآن على سماعك . وهو انه لاجل الانحدار الى الجحيم لا يلزم سوى بان نطلق العنان لشهواتنا ونتبع اميال طبيعتنا المفسودة . الاميال التي من شأنها ان تسحبنا للهلاك كسحب المياه السفينة . فانك تعلم جيداً وتعهد حسناً ما اعهده من حال طبيعتنا البشرية . فانها تسحبنا طبعًا الى الشر . اي انها تسهّل كل الطرق المرضية لاميالنا المنحرفة الموافقة

كبريائنا واطماعنا وبخلنا وشهواتنا الحسية . وما ذاك الاّ مفعول الخطيئة الاصلية التي قد افسدت كل اميالنا وجميع عواطفنا . لكننا اذا ما رمنا الوصول الى ميناء السماء فينبغي لنا ان ننتصر على عزم مياه شهوتنا التي تقودنا الى الرذيلة . اي انه ينبغي ان نحارب اميالنا الرديئة ونكبح شهواتنا المفسودة ونروّض آلامنا المتمردة . لعمري ترى مَن يمكنه ان يتصور عظم المكافحة المقتضية لذلك . انها لمكافحة متصلة لا انقطاع لها نظير مكافحة النوتي اذ يصارع ضد سير المياه . لانه اذا تغافلنا لحظةً وفترنا دقيقةً نرى الشهوة تنتصر علينا حالاً وتدفعنا نحو الجحيم . فمن هذا ترى يا صاح ان مهنتك وسفينتك اذا ما شئت الخلاص تقدّمان لك موضوعاً عظيماً لتامّلات كثيرة النفع وجزيلة الفائدة . فعندها اجابه النوتي قائلاً : ارى يا ابت انني لاستنتاج مثل هذه النتائج واستخلاص مثل هذه الحقائق افتقر الى علمك ومعارفك . على انه منذ اعتناقي هذه الحرفة وملازمتي السفن لم يخطر قط لذهني ما قد استخلصته لي من النتائج وابديته من الفوائد *

وفيما كان النوتي يتفوه بما تقدم واذا بالكاهن قد قاطع خطابه واوماء له الى مركب رآها تسير عن بعد ٍ . فقال له اني ارى هذه المركب تسير ضد المياه وتجري صاعدةً النهر . فاجابه النوتي قائلاً : لقد اصبت بما رأيت . فقال له الكاهن : فاذا كان ذلك كذلك فلِمَ لا تحذو حذوها وتسير في سفينتك راجعاً الى القاهرة . فاجابه النوتي قائلاً : انك ترى يا ابتِ ان هذه المركب كبيرة ذات قلوع عظيمة تنفخها ارياح موافقة فتسير طبق المرغوب . فبهذه المساعدة تسهّل للقذافين مقاومة مسير المياه . فعندها قال له الكاهن : فمن هنا اعلم يا صاح قيمة النعمة وشرفها وضرورة التماسها من الله بحرارة الطلب . على ان النعمة بالنسبة الينا نظير الارياح الموافقة للمركب . فانها على نوعٍ ما تحركنا وتجذبنا . بل تدفعنا وتحملنا . فاذا ما وافقناها بسعينا واجتهادنا فاننا نتأكد تقدمنا المتصل ضد مجرى طبيعتنا المفسودة مهما تضاعفت قوةً وازدادت عزماً . ونبلّغنا من ثمَّ بكل توفيق وسلامة الى غاية سفرنا التي هي الميناء السماوي حيث الحيوة المخلّدة والسعادة المؤبدة *

فغيرة ذلك الكاهن الخلاصية حرّكته الى تبيان مقابلات كثيرة وقياسات عديدة مثل هذه ارشدت ذلك النوتي وعلّمته على اسهل طريقة واحسن اسلوب * وفيما كانا يصرفان الاوقات بمثل هذه الاحاديث التقوية والافادات الخلاصية بلغا بالامن والسلام الى ثغر الاسكندرية حيث افترقا عن بعضهما وذهب كلٌّ منهما في حال سبيله *

* المثل الحادي والعشرون *

* في الطريقين *

ان مسافراً اضحى يوماً في حيرة من امره ومرتبكاً في حاله . على انه صادف في مسيره طريقين ولم يجد اذ ذاك انساناً يهديه الى التي ينبغي اتباعها . فاحداهما بانت لديه سهلة لطيفة ممهّدة . على انها كانت مفروشة بالخضرة والزهور . محاطة باشجار غضّة تظللها . وكنت ترى من كل جهاتها مروجاً خضراء منقّشة بكل انواع الزهور وحقولاً تغطيها كل اجناس الزروع . وتلالاً معرّشة عليها الكروم تبهج

النظر بجمالها وتسبي الفؤاد باشكالها. امّا الطريق الاخرى فكانت على خلاف ذلك حالاً ومنظراً تأنف العين من الالتفات اليها . لانها كانت عتمة مظلمة معوجة مفروشة بالشوك والقرطب موحلة تراها مرتفعة في جهة ومنحدرة في اخرى . هنا متصلة ببعضها وهناك منقطعة . حتى ان مجرد النظر اليها كان يمنع الانسان من الدخول فيها *

فذاك المسافر غب ان افتكر قليلاً قصد المرور بالطريق الممهّدة . وفيما كان على همة الدخول واذا بانسان لا يعرفه ورجل مجهول منه اسرع نحوه راكضاً ولما وصل اليه صاح به قائلاً : حذارِ يا فتى من ان تدخل هذه الطريق فانك تتوه فيها لا محالة . فتضيع في عطفاتها وترتبك في لِفتاتها . فتقع من ثمّ بايدي اللصوص وتضحى فريسة لسافكي الدما وقاطعي الطرق المخبوين فيها . اي نعم ان الطريق الاخرى قد تخيفك وترعبك لكونها وعرة عسرة لكنها تقودك بامان وسلام من دون خوف وخطر الى محل مقصدك *

لعمري ترى ما الذي يفعله ذلك المسافر. أيقتضي

ان يثق مصدقًا كلام ذلك الرجل المجهول رغماً عما شاهده من ظاهر الحال. الا سبيل له ان يختشي من ان ذلك الانسان قصد ان يغشه او انه ربما يكون هو نفسه غلطاناً مغشوشاً في نصحه له . ولما كان على هذه الحال من الحيرة والارتباك اخذ يتفلسف على هذه الصورة قائلاً: ان كلام هذا الرجل لا يخلو من ان يكون صدقاً او كذباً . فاذا كان كذباً وسرت من ثمَّ في الطريق التي اهداني اليها فقد يتفق باني غب ان اكون تعبت في مثل هذه الطريق المشقة العسرة التزم بان ارجع مرتدًا الى الوراء . فلا اكون من ثمَّ خاطرت بنفسي . ولا خسرت شيئاً . لكنه اذا كانت دعواه صدقًا . فبمسيري في الطريق الاخرى يكون هلاكي موكدًا لا محالة . فالايمن اذًا هو ان اتبع نصيحة هذا الرجل واعتنق رأيه . فاقتنع من ثمَّ بهذا البرهان وسار في ذلك الطريق العسر الوعر . وحمد المولى على ما كان من حسن النهاية *

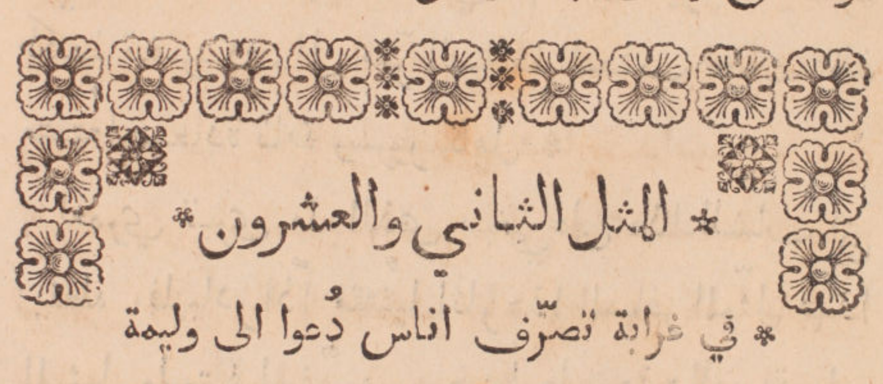
فعلى هذا الوجه والصورة نرى طريقين تتقدمان للانسان في سفره على هذه الارض . اعني بهما طريق الفضيلة وطريق الرذيلة . فالطريق الاولى نراها

مغروسة بالاشواك والاخرى كأنها مغروسة بالزهور . فمن عادة الشاب ان تراه في صبوته وعنفوان شبوبيته وحال هيجان الشهوات فيه يفضّل طبعًا الطريق التي تقدم له الملذات وتشغله بالملاهي والانشراح . لكنه لدى دقيقة دخوله فيها يسمع صوت الديانة صارخًا نحوه قائلًا له : قف يا هذا واعلم ان هذه الطريق الجميلة التي يسبيك منظرها انما تقودك الى هوّة مهولة مريعة تهلك فيها لا محالة . فيما ان الطريق الاخرى هي على خلاف ذلك . اي نعم انه قد يرهبك منظرها لكنها تقودك الى مقرّ السلامة العذب حيث تلذ متمتعًا بسعادة تامة وسرور كامل *

لعمري ترى ما الذي ينبغي على هذا الشاب ان يفعله . فليبادر اذًا مقتفيًا اثار هذا المسافر الممثّل بهذا المثل وليتفلسفنّ مبرهنًا على هذه الصورة . ان الديانة امّا انها تغشني او لا . فاذا غشتني . فباتباعي طريق الفضيلة اني اكبح اميالي واقهر الامي واميت جسدي في مدة هذه الحيوة القصيرة واميت نفسي عن ملذات كثيرة قد اكون ذقتها . فهذا كل ما اخسره . لكن اذا الديانة لم تغشني . فباتباعي طريق

الرذيلة اني ادهور نفسي في لجةٍ تبتلعني لا محالة * فوا حالة هذه لو اتفق ان يكون ارتيابي بما تصرح به الديانة صدقاً او كذباً فالاحسن لي ان اسير دائماً في طريق الفضيلة *

فهذا ما ينبغي فعله على كل مسيحي عاقل حتى ولو كان ارتيابه صادقاً . فبالاولى جداً ينبغي علينا ان ننتج هذه النتيجة عينها نحن الذين نعرف معرفةً صادقة ونتاكد تاكداً كاملاً بان كل ما تعلمنا اياه الديانة هو صدق وحق بل هو عين الحق *



* المثل الثاني والعشرون *

* في غرابة تصرّف اناس دُعوا الى وليمة

قد جرت العادة في بلد من البلدان بان كلاً من اعيانها واشرافها يعمل في اوقات معلومة رسمية وليمة عمومية يدعو اليها الجميع . فكل من اوليك الاشراف يضيف الناس على حسب مقدرته . ولهذا انك ترى عدد المدعوين يزداد كثرةً حسب الاشاعة عن كرم

صاحب الوليمة وسخاه . لكن من اعجب العجائب هو انه ما من احد من اوليك المدعوين كان يمس الطعام المقدّم له بل انهم كانوا يصرفون الوقت باحثين بعين الانتقاد عن ترتيب السفرة ونظامها وعن عدد طواقمها وعن كمية الاطعمة والوانها . وعن هيئتها ومناظرها . وعمّا قل او كثر . وعمّا انحط او فخر من الماكولات والخمر والمشروبات . وعن انواع الفاكهة وظرافتها وعمّا كان على ذلك السماط من الزهور والزينة . وكيف كان صاحب الوليمة يقسّم الاكل ويقدّم لكل من المدعوين ما يستصوبه ويستحسنه . والاغلب منهم ما كانوا يقبلون شيئًا قدامهم . بل كانوا يقولون غالباً بذواتهم : ان هذه القسمة كانت توافق فلاناً وفلاناً اكثر منا . وبعضهم كانوا يقبلون قدامهم ما يقدّم لهم من دون ان يتناولوه او يذوقوه . مكتفين فقط في ان يلاحظوا صاحب الوليمة ويرقبونه ليروا اذا كان يقسّم الاطعمة على ما ينبغي من الذوق . واذا كان يحسن الخدمة على السفرة . واذا كان يقدم اللائق بوجه بشاش وعلى ما ينبغي من اللطف والترحاب *

فغب ان تقدّمت الالوان متتابعةً على صراها وتصرّف كلٌ على ما تقدم من البيان • فانتهت الوليمة ونهض صاحب الضيافة ومعه كل المدعوين وانصرف كلٌ من هناك متحدثًا مع قريبه عن حال تلك الوليمة مقدمًا ما خطر لذهنه من الملاحظة والانتقاد على ماتقدم لهم • فبعضهم اثنوا المديح وغيرهم بالغوا بالذم والانتقاد • وكنت ترى هولاء مسرورين محظوظين • واوليك مقهورين مكدرين • واناساً منهم على حالة متوسطة ما بين حظٍ وكدر • وقد كان يتفق احيانًا • لكن ذلك نادرا • في ان تراهم جميعهم متفقين امّا على مديح صاحب تلك الوليمة او على ذمه • فمن الواضح البيّن ان مثل هذه الولائم لا تسمّن المدعوين ولا تملئهم لحما • ومن ثمّ فرغماً عن كثرة الولائم وتعداد الضيافات الوسمية انك ترى كل اهل تلك البلدة نحيفي المزاج ضعفاء نحيلي الاجسام يعيشون عيشة مسقومة *

فلا يُخال لذهنك ايها الاخ القاري بانه توجد في العالم بلدة تجري فيها مثل هذه العادة الغريبة • فلا تنذهلنّ يا صاح متعجباً ان هذه البلد انما هي بلدك ووطنك • فما انت الّا احد هولاء المدعوين الذين

بانوا لديك غريبي التصرف والحركات *

انك تعلم حسناً وتعهد جيداً بان خَدَمة الديانة وقهارمتها يلتزمون من قبل وظيفتهم ان يكسروا خبز كلام الله للمؤمنين وان يقدّموا لهم بعظات مفيدة وخطب موافقة ذلك القوت الروحي الذي يفتقرون اليه . فترى انه على قدر قريحة من قامٍ بهذه الوظيفة وحسب فصاحة اقواله تظهر الناس رغبةً لاستماع عظاته وشوقاً في الاصغاء لمقاله . لكن لعمري ترى كيف يتصرف كثيرون ممن يحضرون الوعظ الذي يُتلى على سماعهم في منابر كنائسنا . فانهم يأخذون بالبحث والانتقاد في اذا كان الكاهن ادرك موضوع عظته واحسن تبيانٍ خطبته . في اذا كان تصرّف في الموضوع تصرفاً حسناً وجال فيه على ما ينبغي . في اذا كانت براهينه ساطعة وعبارته صحيحة فصيحة . في اذا كان اتى بتحسينات جديدة ومعاني غير مطروقة . او في اذا كان لم يات بشيءٍ آخر سوى انه قد اعاد مكرراً ما قد قيل كثيراً وتُلي على سماع الناس مراراً . ثم في اذا كان شرحه عن قريحة جوّادة وتبيانه من ذكاء ونيرة . واذا كان بوصفه وضروب فصاحته اتى بما لذّ للذهن

وحسن للتصور . اذا كانت براهينه مرتبطة ومعانيه قوية . واذا كان اتى بتغيير في انواعه واظهر قوةً في حركاته . امّا البعض فليسوا بكفوء لان يدركوا كل هذه الملاحظات ولا ان يحكموا بذلك حكماً صوابياً مصيباً . فيبحثون من ثمَّ في اذا كان منظر الواعظ يرغّب الناس بالالتفات اليه . واذا كانت قوة ذاكرته حسنة . اذا كان صوته قويًا رخيمًا . اذا كانت عبارته فصيحة ونطقه ظريفاً مقبولاً . فهذا ما يشغل اذهان كثيرين في اوان الوعظ . وعدا ذلك فان اغلب الناس لا يختصّون من الخطب شياءً لانفسهم ولا يأخذون منها نتيجةً عملية تناسب حال ضميرهم . بل من شأنهم ان يخصّوا غيرهم بما يسمعونه ولا يخصّون مطلقًا انفسهم بشيء منه . واذا اقتنع بعضهم في باطن ضميرهم بان من التوبيخ والارشاد والانذار انما يختصّ بهم وكأنهم يعرفون انفسهم معرفة جلية في اماكن كثيرة بيّنها الواعظ في سياق عظته . فما هذه كلها سوى ملاحظات وقتية تمّحى من اذهانهم وتكون عديمة الثمرة والفائدة . وتخرج من ثمَّ السامعون عند نهاية الوعظ من الكنيسة متباحثين عن حال

العظة وكيفيتها موضحين لبعضهم ما قد لحظوه وانتقدوا به على العظة والواعظ معاً. وقد لا تجد من استفاد منها ولو قليلاً . ولهذا ترى نفوس اكثر المسيحيين في حالة من الضعف والذبول الصادر عن عدم تناولها القوت الروحي . ترى ايضاً الايمان وباقي الفضائل المبنية عليه والمستندة عليه كإسها ومبداها نادرة الوجود بيننا *

* المثل الثالث والعشرون *

* في غلط كان به الخلاص *

ان تاجراً ممتازاً بالغنى والاقتدار غب ان جمع اموالاً جزيلة وتملّك املاكاً كثيرة ترك التجارة وتنحّى عن الاشغال لكنه قد كان صرف زماناً مديداً وسنين مديدة في عيشة اثيمة وسيرة قبيحة . وفيما كان في ضيعة تخصه ساكناً في قصر جميل محاط بالحدائق والبساتين . يصرف الليالي والايام بصحبة من حاكاه بالسيرة من الاقران وماثله من الخلان . متنعماً بالمآكل الفاخرة والولائم الرسمية الحافلة . يصرف الاوقات

باللعب والصيد والقنص وينهمك بملذات وملاهي تسهّلها له كثرة ماله ويسر احواله . واذ ذاك وصلته تذكرة من كاهن بار تقي لا يعُرف منه سوى بالاسم والشهرة . وكان منطوق الكتابة بان الكاهن المذكور مراده بعد ايام قلائل الحضور لديه ليستأنس بمشاهدته ويمضّي اياماً عنده *

امّا تلك الرسالة فلم تصل ليد ذلك التاجر الّا خطاء وغلطاً من الرسول . على انها كانت مرسولة لتاجر اخر صديق لذلك الكاهن مستوطناً في خلاف تلك البلدة لكنه يقرب اسماً من تاجرنا المذكور . ولم يكن يختلف اسم كلا التاجرين سوى باختلاف الحركات لا غير . على ان التاجر الاول كان اسمه سَعِيد والثاني سُعيَد . وبما ان هذا الاسم لا يُفرق الّا بفتح السين وضمها . فتوهم الرسول بان السين في سُعيَد مفتوحة مع كونها مضمومة . وكان معرفته في سَعِيد اقوى من معرفته بسُعيَد . فاخذ من ثمّ التذكرة الى الاول وكان له سبيل عظيم للخطاء والغلط حيث ان التذكرة كانت محررة على سبيل الالفة والصداقة . فلم يُذكر من ثمّ في العنوان اسم المحل بل كانت معنونة هكذا : برسم

الخواجه سعيد الموجود حالاً في قصره . فكأنّ عين العناية الالهية التي لا تغفل كانت ساهرةً على كل ظروف الحال فوفقت الامور بحكمتها الخفية تسهيلاً لارتداد ذلك الخاطي . امّا التاجر سَعيد فانذهل مندهشًا عند تلاوته تلك الكتابة لان الزيارة الموعود بها من ذلك الكاهن خالفت كل افكاره واستعداداته بامر الملاهي والانشراح . فاغتاظ من ثمّ وتكدّر وغب ان تباحث مع رفقائه عن واقعة الحال واستشارهم بما عندهم من الراي فتم الاتفاق في انه يكتب لذلك الكاهن كتابةً لطيفةً ويعتذر له على وجه الانسانية والاداب بانه لا يستطيع وقتئذٍ ان يقبل زيارته . وغب ان مضّى بعض الليل بالملاهي والانشراح مع اصحابه ذهب اخيرًا الى مخدعه وقبل ان يرقد في فراشه اخذ يفتكر بتلك الكتابة . ولمّا كان غائصاً بهذا الافتكار اتجهت اليه النعمة الالهية ففعلت بنفسه محركةً قلبه الصخري واخذ من ثمّ يفتكر بذاته قائلاً : ترى لماذا هذا الكاهن البار الذي لا علاقة لي معه ولا اتصالية قد قصد زيارتي . لاشك انه قاصد الاعتنا بامر ارتدادي الى الله تعالى . وما

ذاك الّا لان الله بغامض حكمته الخفية التي بنفسه هذا القصد الخيري نحوي . ولهذا اقول انه تعالى يرسله اليّ . ليت شعري ترى ما العمل أهل ارفض زيارته . وكيف يمكن ذلك . فلربما يتوقف امر خلاصي على حسن قبولي والتفاتي لهذا الرجل البار . وعندها اخذ يتامل حال نفسه وشقاء حالته الروحية . فارتاع خائفاً عند ما ردد في ذهنه ما كان عليه من الخلل بامر الخلاص وتفكره بما جرى منه من المرتكبات وفساد السيرة وبكل انواع الانهماكات المضادة النواميس الالهية . وصرف من ثمّ ليلته قلقاً مضطرباً غائصاً في بحر الافتكار محاكياً بذلك ماري اغوسطينوس يوم رجوعه وارتداده الى الله ربه . فكثيراً ما قاومت فيه الطبيعة المفسودة النعمة الخلاصية لكن اخيراً انتصرت النعمة عليها وحازت الظفر . فقصد من ثمّ بانه منذ الغد يصرف رفقاءه وعشراءه ويطلق مودّعاً خلّانه وشركاه بالملاهي والانشراحات ويستعدّ متاهباً لقبول زيارة رجل الله بكل احترام ووقار يليق باقنومه الجليل *

اما اصحاب ذلك التاجر فلم يُخل لذهنهم ما

كان استولى عليه من اضطرابٍ الافكار وقلق البال .
فلما كان الغد اتوا اليه غلسا وهم على اعظم حال من
الفرح والحبور واعلموه بان التذكرة التي قد كانت
وصلته البارحة لم تكن لامره ولا معنونة باسمه
ولا مرسولة له . وان الرسول اخطئ وغلط ورجع من
ثمّ بطلبها لكي يسلمها الى الخواجه سُعَيد (بضم السين)
لانها معنونة باسمه ومرسولة لامره . وانه على هذه
الصورة والحال لا محل لتلك الزيارة التي كانوا
يختشون وقوعها وانهم خلصوا منها معافين ومكتفين
بما لحقهم من التحسب والاختشا من وقوعها .
امّا هذا الخبر فلم يؤثر اصلاً بمقاصد سَعيد المذكور
بل ازاده عزما وثباتا لانه اخذ يتفلسف في نفسه
قائلا : ان هذا الغلط لم يكن اصلاً من قبل الصدفة
والاتفاق . بل ان الله تعالى بخافي حكمته الازلية وعنايته
الصمدّية رتب ذلك موفقاً ودبّره ميسرًا وجعل بان
هذه الكتابة تُلقي القلق في نفسي وتهيّج الاضطراب
في ضميري . فاخذ من ثمّ يفهم اصحابه ويعلم خلّانه
بما القته النعمة الالهية في قلبه وما اثر به من
التغيير واستولى عليه من الحركات الجديدة

والمفاعيل الغير المنتظر وقوعها . ثم التفت اليهم قائلاً :
انه يشق عليه جداً الافتراق عنهم والانفصال عن
معاشرتهم لكنه مع ذلك يفتقر الى الاختلاء ويحتاج
الى الانفراد لما كان عليه من الحال . ومن ثمّ يؤمل
منهم ان يتركوه وحده منفردًا في خلوته . امّا هم فاخذوا
يقرفونه في الكلام ويلومونه في المقال ويعظونه بان
يرجع من تلك الحالة المسببة عن اخلاط سوداوية
وتصورات مخيلية . واجتهدوا اجتهادًا بليغًا في ان
يزيلوا من ذهنه ويبعدوا من افكاره قصدًا مثل هذا قد
بان لديهم غريبًا عجيبًا . فاستهزئوا به وضحكوا من
حركاته . فهذا استجهله والاخر اعدّه احمق مجنونًا .
امّا هو فبقي ثابتًا في عزمه غير متزعزع في مقاصده .
وعلى هذا الوجه والصورة تخلّص منهم واقنعهم بان
يذهبوا عنه فارّين *
فقد كنت تراه مختلياً في ذاته مسلّماً نفسه للنعمة
الالهية التي رحمةً ورافةً قد شاءت ان تكمل
مفعولها فيه . فاخذ من ثمّ بكل ندامة وانسحاق
يردد في ذهنه جميع سنيه الماضية فلم يرَ سوى ما
اهاله روعًا وارعده خوفًا من قبح السيرة وفساد السريرة .

فتنهّد الزفرات وسكب العبرات وناح باكياً ملتمساً مراحم الاله المهان منه اهانةً لا حد لها ولا قياس . فاراد الله تعالى برأفته الالهية ان يبسط نحوه يد المعونة والاغاثة . فعب ان تاب نادماً وانسحق متوجعاً اخذ يفتكر بما يلزم اعتناقه من المقاصد . فعزم اخيرًا ان يتوجه الى احد الاديرة لكي ينهي حياته بالندامة والتوبة نائحاً على حياته الماضية *

فاتفق بان في تلك الاثنا حضر راهبان الى تلك البلدة والتمسا الضيافة في قصر ذلك التاجر. فخدام ذلك التاجر لعلمهم بتوبته وارتداده الى الله مولاه قبلوهما بغاية الترحاب خلافاً لمألوف عادتهم السابقة . لانه قبل بقليل من الايام لمّا كان مولاهم لم ينشغل مع خلّانه سوى بالملاهي والانهماكات فمثل هذين الراهبين لقد كانا طُردا باهانة واحتقار . فاتت من ثمّ الاتباع بهما الى ذلك التائب الراجع الى ربه حديثاً . فانحظ مسروراً من مقابلتهما وتلقّاهما بحسن القبول والالتفات . فكشف لهما حينئذٍ ما كان في ضميره وتفاوض معهما بثقة وخلوص . واعتبرهما بمنزلة ملاكين ارسلهما الله من سماه ليرشداه في تلك الطريق المعتنقة منه

حديثًا التى رام المسير فيها ويقوداه الى الخلاص •
فاستغنم الفرصة لكي يريح ضميره من وقر خطايا قد
كانت اثقلت ظهره • فاعترف من ثمَّ عند احدهما
اعترافًا عامًا صادقًا عن كل حياته السالفة بندامة
كاملة وانسحاق تام • ولما كانت الليلة المقبلة اعترى
ذلك التائب داء الفالج فذهب الخدام وايقظوا
ذينك الراهبَين من رقادهما فنهضا مبادرَين الى
ذلك العليل • فقبل منهما الحل الاخير وبعد ذلك
بدقائق قليلة سلّم روحه لله خالقه مبارحًا الدنيا
لاجل الاخرة *

اولاً ان مثل هذه المفاعيل الصادرة من قبل نعمته
تعالى من شأنها ان تجعلنا ان ننذهل متعجبين من
جودته تعالى وتلقي في قلوبنا التوكل التام والثقة
الكاملة برحمته الالهية • ولكن حذار حذار من
الادّعا الجسور والثقة الباطلة التي من شأنها ان
تقنعنا بانه قد يمكننا ان نعيش مرتاحين في الاثم •
وان الله تعالى بوافر رحمته وفيض نعمه ينتشلنا من
لجة خطايانا بنعمة من لدن مراحمه نظير هذه النعمة •
فلا ننخدعنَّ مغرورين • على ان مثل هذه النعم الخارجة

من العادة لا ينبغي الاتكال عليها ولا استنظار توقع حدوثها • بل ان مجرد استنظارها يجعلنا ان لا نستحقها ❊

ثانياً ان هذا التاجر الممثّل بهذا المثل قد خضع ممتثلاً الى النعمة . فلم يضطرب من ثمّ ولم يفشل ولم يقلق ولم يبال بما كانت الناس عتيدة ان تقوله عنه وان تلهج بحقه . بل انه كرّس ما تبقى من حياته لخدمته تعالى وسلّمها الى توبة شاقة وعبادة خالصة • فالله تعالى الفاحص القلوب والكلا ارتضى من حسن استعداد قلبه وانسر من توبته • فلنقتفينّ اذاً بامانة هذا الخاطي المرتد الى الله تعالى مقتفين اثار شجاعته وثبات عزمه مرددين في عقلنا على الدوام متذكرين ما قد قاله الملك والنبي داود : ان سمعتم اليوم صوته فلا تقسّوا قلوبكم (مزمور ٩٤) ❊







* المثل الرابع والعشرون *

* في الانائين *

ان احد الصبيان رغبةً بارضاء ما كان عليه من الشراهة دخل خفيةً عن اهله الى الكلار فرأى في خباياه انائين مملوين شراباً لذيذاً فرام ان يتناول منهما فقدم شفتيه من احدهما وحالاً رفعهما عن ذلك الانا لانه ذاق مرارةً لا يطاق احتمالها . لان حافة الانا كانت مدهونة بالافسنتين وذلك منعاً للاهوام والدبابات من الاقتراب الى ذلك السيّال المودوع ضمنه . واراد الولد اذ ذاك ان يعوّض ما ذاقه من المرارة بمد شفتيه الى الاناء الاخر فلم تخب اماله لانه استلذ بحلاوة غريبة . على ان حافة الاناء كانت مدهونة عسلاً . فحالاً ذلك الولد الشره هجم على ذلك الشراب وشربه من دون ان يبقي منه شيئاً . لكن واسفاه ان ذلك لم يكن الا سمّاً معدًا لما كان يسطو على الكلار من الفيران والدبابات . فمات الولد من ثمّ قتيل شراهته وعدم تعقله وفطنته *

فيا ايها الشبان والشابات الذين تدخلون هذا العالم باميال مضطرمة شديدة ورغبة متقدة قوية نحو الشهوات واللذات . فانتم جميعاً تتصرفون نظير هذا الولد الجاهل . على انه حالما تجربون انفسكم في خدمة الله تعالى وتمتحنون انفسكم في عبادته نراكم تملّون حالاً منها وتكرهونها . لان التحفظ والحشمة والاداب ومواظبة الصلوات وصدق الخدمة وحسن القيام بالفروض المتوجبة عليكم والهرب من مجد العالم واباطيله على ما تقتضيه التقوى وتتطلبه العبادة كل ذلك يجعلكم ان تملّوا وتكرهوا هذه الحال الممدوحة والطريق المقبولة فترجعون الى الوراء وتعدلون عن حسن مسراكم فتخسّرون من ثمّ انفسكم عذوبات لا توصف وملذات سماوية لا تعرف . العذوبات التي هي جزاء ما قد كان منكم من الاجتهاد وحسن المسعى وثواب عمّا قد كنتم ابديتموه من حسن السيرة ونقاوة السريرة . العذوبات التي تعوّض اضعافاً ما قد كان شق عليكم من الصعوبات في ابتداء سيركم في طريق العبادة والتقوى *

فقد تركتم الله تعالى وحوّلتم نظركم الى العالم

ملتفتين اليه طالبين غروره فيتلقاكم من ثم بحسن القبول ويغشكم ويخدعكم. فانه لا يقدّم لكم سوى ملاهي وملذات فتوملون من ثمّ حسن الحظ والسعادة فترتبطون به ارتباطاً وتتقيدون بقيوده وثيقاً فامّا شهواته الخائنة وملذاته الخدّاعة فتقودكم الى اثم وفساد تجد فيه انفسكم الهلاك *

* المثل الخامس والعشرون *

* في النبي يونان *

فبعد ان القى يونان الرغبة والخوف في قلوب سكان نينوى اذ انذرهم بخراب تلك المدينة بعد اربعين يوماً خرج الى البرية وجلس شرقيّ المدينة وصنع له مظلّة استظل بها ليرى ما يحدث في المدينة *

امّا سكان نينوى فبكوا وناحوا وامنوا بالله الذي كلمهم بفم نبيه فتابوا اليه تعالى . ولبسوا المسوح وذروا الرماد على روسهم. فرجع الله عن غضبه. فلمّا رأى تعالى صدق ارتدادهم وعلامات التوبة تظهر منهم اشراف عليهم نادماً

على الشر الذي قد كان تهددهم به. فلم يصنعه *

فغم ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ وتكدّر وصاح نحوه تعالى قائلاً: دعني اللهمّ ان اشكو منك اليك. أَليس هذا كلامي اذ كنت بعد في ارضي. لذلك بادرت بالهرب الى ترسيس لاني علمت انك اله رؤف رحيم بطيء عن الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر. لكن يا ما اعظم خجلي ويا ما اشد خزيي. فان الناس تحسبني نبيًا كاذباً. فالآن يا رب خُذ نفسي فموتي خير من حياتي *

فحينئذٍ اراد الرب ان يؤدب نبيّه فاعدّ ليلًا يقطينةً فارتفعت فوق رأس يونان فظللته واوقته من حرّ الشمس. ففرح يونان بذلك فرحًا عظيماً. لكن فرحه لم يدُم. على انه في الغد عند طلوع الفجر اعدّ الله دودة فضربت اليقطينة الحديثة فيبست وعند طلوع الشمس اعدّ الله ريحًا شرقيةً حارّة فضربت الشمس على راس يونان فذبل فطلب لنفسه الموت وقال: موتي خير من حياتي *

فسمع الرب تدمّر يونان فقال: انك تغتاظ لان اليقطينة التي كنت تستظل تحتها قد يبست. أَتظن ان

تدمّرك بالصواب . فاجابه يونان قائلاً : اي نعم . فقد اغتظت من ذلك وانغميت واني اطلب الموت . فقال له الرب : انك تتأسف نائحاً وتبكي مشفقاً على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربّيتها . التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت . أفلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها اكثر من مائة وعشرين طفلاً لم يهينوني عدا ما لا يُحصى من البهائم التي هي صنعة يدي نظير الانسان * ان هذه العبرة الخلاصية التي اعطاها الله تعالى ليونان بهذا المثل تليق بكثيرين من الناس الذين يحاكون هذا النبي بما كان ملوماً به في تصرفه *

فاولاً اننا نرى هذا النبي قد اغتم جداً لكون الله تعالى ترأف على سكان نينوى لاجل توبتهم وشفق عليهم لاجل صدق ارتدادهم . فعفى من ثمّ جلّت مراحمه عنهم وعدل عن خراب مدينتهم . فاغتاظ تعالى من النبي لذلك . وما هذا الّا عبرة لاولئك الاناس الملوئين غيرةً مرّة . الذين يبتغون في انه تعالي يجرّد اسلحته على الخطاة البائسين ويرشقهم بسهام غضبه ويهلكهم بصواعق رجزه . الاناس الذين لا ينظرون

الّا بعين الغيظ والحنق زلّات اخوتهم وخطايا بني جنسهم . كالناس الذين بدلاً من ان يلتمسوا من حنوه تعالى رحمةً وتحنناً على الخطاة البائسين فانهم يهيجون غضبه تعالى لكي ينتقم من الاثمة . بل وكأنهم يشكون منه تعالى متذمرين عليه لسبب رحمته وطول اناته على الاشرار . وانهم يغتاظون حقيقةً اذا ما تنازل تعالى وقبل بنعمته هولاء البائسين غافرًا لهم اثامهم *

ثانيًا ان يونان النبي الذي اظهر على نفسه بانه لم يغتم ولم يغتظ سوى لمشاهدته اهل نينوي بدون عقاب ولا قصاص ثم والاهانة الملحقة به تعالى بدون انتقام . فكان اكثر غماً واشد غيظاً وحنقاً لئلا تعده الناس نبيًا كاذباً . فوبّخه الله تعالى على هذه المحبة الذاتية والملاحظة الشخصية التي يُستحى منها . وهذه عبرة لاولئك الذين يتظاهرون بالغيرة على حقوقه تعالى وما هم بالحقيقة الّا منشغلون بما خصّهم ولاحظ خيرهم *

ثالثاً ان النبي يونان لم يكن تأسف ولا تكدر من مشاهدته هلاك اهل نينوي ومع هذا فاننا نراه حزيناً كئيباً على هلاك يقطينة كان يستظل بظلها . فمن ثمّ اراه تعالى ما ظهر منه من عدم الاستقامة

والانصاف . وما هذه الّا عبرة لاولئك الذين حال كونهم لا يبالون ببلايا الاخرين ولا يلتفتون الى مصابهم حتى ولا يكترثون بما يحلّ باجمهور من الضربات والنكبات . فانهم مع ذلك يصيحون نائحين ويشكون متدمرين عندما تلمّ بهم ادنى مصيبة او اذا ما خسروا ادنى راحة وعدموا ادنى مسرة *

فانك ترى مثلاً تلك الامرآة تسمع بدون اكتراث ولا التفات بدون احساس ولا تأثير اخباراً تُقص عليها عن بلايا هذا ومصائب ذاك ومن سوء حال فلان وفلانة . انها تسمع ما الّم من التجارب والنكبات باهل بلدتها وما حلّ باهل البلدان البعيدة من الضربات والافات: كوقوع الزلازل والحريق والغريق والامراض الوبائية والجوع والحروب وما شاكل ذلك من المصائب والنكبات التي من عادتها ان تلمّ بجنس البشر . فهذه الاخبار المحزنة والقصص المكدرة لا تؤثر بها ادنى تأثير . ولا تحرّك فوادها ولو قليلاً ولا تستحق عندها دمعة تجري من اعينها . لكن قل لها مثلاً : ان عصفوراً كانت تربيه في قفص قد فرّ طائراً . او ان حيواناً تلاعبه قد اعتراه مرض ومات . فانك تراها في الحال

حزينة كئيبة مأيوسة تبكي وتنوح . تتنهد الزفرات وتسكب العبرات . عديمة التعزية والسلوان *



المثل السادس والعشرون

* في الانسان العديم الفطنة والاستدراك *

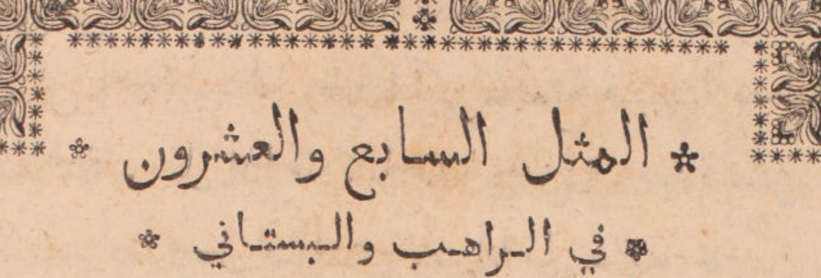
ان رجلاً زعيماً كثير الغنى والمال رغب في مشترى قصر جميل يسكنه ما تبقى له من الحيوة . وكان ذلك القصر بعيداً عن بلدته مسافة يومين . فاقتضى من ثمّ في ذلك السفر ان يبيت ليلةً في خان كان في طريقه. فمن ثمّ ارسل قبله مهندساً واصحبه ببنّايين ونجّارين وحدّادين ونقّاشين ومدّهنين وفرّاشين ومن شاكلهم . وامرهم في ان يستأجروا له احسن محلات توجد في ذلك الخان وان يقسموها الى مساكن ظريفة ويدهنوها وينقشوها ويفرشوها . وبالاجمال يزيّنوها باحسن زينة ويرتّبوها باجمل نظام وترتيب على قدر ما يؤذن لهم المحل من التحسين . ثم اردفهم بعدد عظيم من الاتباع والخدام . وحمّل قافلةً من الامتعة والفرش والمؤنة . اخيراً شدّ مسافراً بعدهم .

فلدى وصوله الى ذلك الخان انسرّ وابتهج لما شاهده وراه . فاخذه الاتباع الى اجمل مسكن وقدّموا له افخر المآكيل وفرشوا له الفرش الناعمة . فرقد في قاعة مزدانة بالنقش وبكل انواع الدهان . كما وانها كانت مفروشة باحسن مفروش . ولما كان الغد سرت ركابه فوصل مساءً الى قصره فلم يَرَ فيه سوى البناء على انه كان عارياً من كل فرش وزينة خالياً من المؤونة والذخائر . فاضطر ذلك الغني ان يبيت طاوي الحشى جوعًا حيث لم يكن مأكل ولا مشرب . وان يرقد على الحضيض حيث لم يكن فرش ولا امتعة ❁

لعمري ان تصرف هذا الانسان يبان لدينا غريباً عجيباً ومع هذا لا يمكننا نلومه بشيء مالم نوقع الملام على انفسنا . لاننا لسنا في الدنيا سوى سوّاح مسافرين نسير طريقنا متجهين نحو مقرّ الابدية . فما الارض الّا خاناً نبيت فيه . وما الحيوة الّا ليلة نمضيها فيه . ومع هذا لا ننشغل ولا نجدّ سوى بان نجعل هذه الحيوة عذبة لذيذة . ولهذا نجمع الغنى والاموال . ونرغب في الكرامات والعظمات . ونركض وراء اللذات . منهمكين بالتنعم والادناس . واما نظرًا

للاخرة التي نرحل اليها مجدّين السير نحوها . الاخرة التي هي مقرّنا مدى الابدية بكمالها . فاننا لا نفتكر اصلاً في ان نتخذ وسائط وطرقاً لكي نتمتع فيها بغبطة وسعادة . بل اذا ما كنا مرتاحين في مدة سفرنا فلا نهتم بما يحل بنا لدى وصولنا الى غايته *

اما القديسون فكانوا اكثر فطنة وتعقلاً منا . لانهم ادركوا وعلموا ان الاوفق لهم والاجدر بهم ان يكونوا في غبطة وسعادة مدى الابدية ممّا ان يرتاحوا ويسرّوا في هذه الحيوة القصيرة الفانية . ولهذا حاشا من انهم يكونوا افتكروا في ان يحصلوا في هذه الدنيا على منافع وارباح . على افراح ولذات من عادتنا ان نجعلها موضوع رغبتنا . فكانوا يصرفون ايامهم في المشقة والعذاب . في الفقر والاحتمال . بل كانوا يجدّون دائماً وابداً جداً متصلاً بدون ملل ولا فتور لكي يؤكدوا لانفسهم في مقر الابدية سعادةً كاملةً وغبطةً تامةً . وذلك بكثرة اعمالهم الصالحة وبممارستهم ما سمى من الفضائل السنية . فشدة آمالهم بملذات ابدية تفوق كل وصف وادراك . بملذات يتمتعون بها مدى الاجيال والاحقاب . كانت تجعلهم الّا يبالوا بمشقات



* المثل السابع والعشرون *

* في الراهب والبستاني *

ان بستانياً كان في خدمة احد الاديرة ، وكان ماهراً وخبيراً في مهنته . لكنه كان ذا خلاعة عارياً من الدين والاداب . فلما علم رئس ذلك الدير بحاله وما كان عليه من عدم التقوى والدين اراد طرده واطلاق سبيله . لكنه استصوب ان يهتم اولاً في ترجيعه ورده الى التوبة . فبارك تعالي حسن مسعاه ووفق مقصده الخيري . فاخذ من ثم يحضر الي ذلك البستاني ويتحدث معه مراراً عن اشياء كثيرة . وساله عن امور متنوعة تختص بمهنته قاصداً بذلك رفع التعجب . علّه يستميله اليه ويعرف ما كان عليه من العقل والذكاء . فلما تأكد بانه على جانب عظيم من الفهم والادراك دخل معه يوماً ما في الموضوع واخذ يباحثه بما قصده نحوه . وكان ذلك على ما ياتي

من البستان *

* الرئيس *

ان لي مدة اتامل بشوق ورغبة كل اعمالك في هذا البستان . أعلمت السبب بذلك *

* البستاني *

لربما ان ذلك مما يسرك وينزه افكارك *

* الرئس *

اني قد وجدت في هذا التامل والملاحظة لا حظاً وسروراً فقط بل علماً ومعارف ايضاً *

* البستاني *

أَهل ترغب ان تتعلم مهنة البستاني *

* الرئس *

كلّا . لكني ارى ان خدمة البستاني تقدّم لنا مثلاً كاملاً في خدمة النفس والاعتنا بها *

* البستاني *

المعذرة . يا سيدي . اني لا افهم ولا ادرك ما تتفوه به *

* الرئس *

ان فحوى مقالي هو ان ما يصرفه البستاني من العنا

والاجتهاد في بستانه . وذلك لاصلاحه ونجاحه . شأنه ان يعلّمنا حسن الاعتناء الذي يقتضي للمسيحي ان يبذله في تقديس نفسه *

* البستاني *

الآن قد فهمت جيداً فحوى قولك . لكنني لا ارى مناسبةً بما اوردته لي *

* الرئيس *

انك لا تتأخر عن ان ترى هذه المناسبة . فلنفرضنّ بانه تُعطى لك ارض لكي تحييها وتعملها بستانا . فقبل ان تزرعها وتغرسها فانك تشرع في ان تقلع منها الشوك والقرطب وكل حشيشة اجنبية *

* البستاني *

نِعمَ ما قد قلته . ومن ثمّ فهذا هو اول شيء يبداء به البستاني والا لكان الزرع والغرس عبثاً *

* الرئيس *

فعلى هذا الوجه والصورة متى قصد الانسان وشرع في ان يستسير سيرةً ممدوحةً فاضلةً بعد ان يكون تلطخ بحماة الادناس ينبغي عليه اولاً ان يقتلع من نفسه الملكات الرديئة المتأصّلة فيها التي من شأنها

ان تمنع غرس الفضائل من ان ينبت وينمو ويثمر *

البستاني

اني قد بدأت ان افهم مقصودك · فنظرًا الى اني اعرف جيدًا ما ينبغي فعله لاحياء ارضٍ ما · لكن لا معرفة لي بما ينبغي للانسان ان يعمله لاحياء نفسه *

الرئيس

انك عندما تحيي ارضاً لكي تعملها بستاناً · فانك تقطع وتكسح وتقلع وتقلب الارض وتكسر التلاع والتراب والحجر · وتمهّد الارض وتميت تربتها وترويها بالسقاية · فهكذا ينبغي للانسان في ان يقطع ويقتلع · اي انه ينبغي له ان يميت نفسه ويغتصبها · على انه ينبغي عليه ان يلتفت نحو قلبه ليسحقه بالندامة ويليّنه بدموع التوبة والتخشع *

البستاني

لعمري ان هذه لغة جديدة لم اعرفها قط *

الرئيس

فمن ثمَّ بعدما تكون الارض تمهّدت ورويت فتزرع فيها حينئذٍ حبًا وتغرس فيها اشجارًا مثمرة وغير

مثمرة . وسائر انواع الزهور والرياحين . وهكذا اذ ما نقّى الخاطي نفسه من الملكات الرديئة المدنسة بها . واعدّها لقبول غرس الفضائل المسيحية فالله سبحانه وتعالى الذي منه تأتي كل نعمة . كما يقول يعقوب الرسول . يسكب عليها سوابغ النعم الفيّاضة *

البستاني

ان حسن لديك أبِن لي موضحاً ما هو زرع الفضائل التي تعني عنها في مقالك *

الرئس

أما قرأت في الانجيل ان كلام الله تعالى هو الزرع . فمتى ما تُلي هذا الكلام الالهي وسُمع باصغاء واحترام فيضحى زرع وغرس الفضائل بأسرها في نفوسنا . على انه هو غرس التواضع والطهارة . والاقناع والايمان . والرجا والمحبة . والخضوع للعناية الالهية . فكم وكم من الخطاة الذين بتلاوتهم كتباً روحية او عند سماعهم الوعظ والارشاد قد تابوا الى الله تعالى وصاروا من ثمّ قديسين شهيرين *

البستاني

قد سمعت احياناً الوعظ . لكني لم احس بتأثير

مطلقاً *

الرئيس

قل لي يا ولدي الحبيب . اذا ما بذرت الحب . أهل تكتفي في ان تبذره على سطح الارض *

البستاني

كلاَّ يا ابت . اني اعتني ان اطمره بالتراب فلا تعد من ثم تستطيع الطيور ان تأكله . ثم وان هذا العمل من شأنه ان يساعد الحب على التأصّل والنمو *

الرئيس

فهذه صورة ما يقتضي فعله نظرًا لكلام الله تعالى . فاذا ما اكتفيت بان تسمعه حال الوعظ فقط فكأن هذا الزرع الالهي يبقى على نوع ما على سطح نفسك . ومن ثمَّ تشتيت الافكار وتبديدها كأنه طيور تأكله . فينبغي اذاً ان تغطي على نوع ما ذلك البذار المقدس . وان تدخله في نفسك بتاملات عميقة . ناشدتك الله قل لي بدون حياء ولا تحجب . أهل تاملات قط او تعمّقت بما قد تكون سمعته في الوعظ *

البستاني

لا لعمري .فاني لم اتامل ذلك قط ولم اردده في فكري اصلاً. بل اني حالما كنت اسمع العظة كنت حالاً انساها . وما كنت اسمعه في الاذن الواحدة كان يخرج حالاً من الاخرى *

الرئيس

فلهذا لم تحصّل قط من الوعظ نتيجةً ولا ثمرةً . لكن دعنا الآن نكمّل المقابلة التي نحن في صددها . فانه لا يكفي فقط بان الغرس يتأصّل وينبت . بل ينبغي الاعتنا ايضًا بما ينمو من تلك الاغراس الجديدة اللطيفة *

البستاني

لقد اصبت بذلك . وهذا لعمري اعظم تعب واشد مشقّة يكابدها البستاني . على انه ينبغي دائمًا اقتلاع الاعشاب الردئية التي من عادتها ان تتولد دائمًا رغماً عن كل سهر وتيقظ وتخنق الاغراس الصالحة. بل انه ويقتضي ايضاً ابادة الديدان وملاشاتها واضمحلال النمل والهوام وهلمّ جراً من الدبابات التي من شانها ان تتلف كل شيء ان لم

نجدّ في قتلها وابعادها عن البستان . بل ويلزم ايضًا بان نسقي الاغراس ايضًا بيدينا *

الرئيس

فهذه هي صورة حسية تبيّن لنا ما ينبغي بذله من الجد والاعتناء لكي نحفظ وننمي في انفسنا الفضائل التي اينعتها فيها النعمة *

فاولاً ان قلبنا حال كونه منفسد بالاميال المنحرفة والعوائد الردئية المتأتية من الخطية الاصلية من شأنه ان يولد دائمًا من عين ذاته كثيرًا من الافكار الردئية والشهوات المفسودة والاعمال القبيحة التي ماهي الا اعشاب وحشائش حسّية مضرة مؤذية يقتضي الانشغال دائمًا باقتلاعها لئلا تخنق فينا الفضائل النامية حديثًا . فنتوصل الى استئصال ذلك واقتلاعه باماتة متصلة وباستعمال سر التوبة بتواتر *

ثانيًا . ان تلك الاهوام والدبابات المؤذية التي تخرب البساتين وتتلفها هي رمز وصورة الاعداء الذين يتهددون فضائلنا . اى ان كلما هو خارج عنا شأنه ان يجرّبنا ويحملنا الى الخطية . كالامثال الردئية والاحاديث الشريرة ذات السم الناقع

والمعاشرات الخطرة والمبادى المفسودة والمشاهد والرقص والولائم والموضوعات الخدّاعة الجذّابة والكرامات واللذات والغنى والتملّقات وهلمّ جرًا من غرور الدنيا واباطيلها. اما الفرق الواقع بذلك . هو ان البستاني يطلب هذه الدبابات والهوام التى تتلف بستانه وتخربه لكي يقبض عليها ويبيدها . فيما اننا نحن لا نستطيع ان نوقي فضائلنا ونصونها من اعدائها الا بواسطة الهزيمة والهربِ *

ثالثًا كما انه يقتضي الاعتنا بسقاية نباتات البستان واغراسه الجديدة لكي تقتبس المائية المقتضية لنموها . هكذا ينبغي ان نسقي دائمًا الاغراس الثمينة التي القتها النعمة في قلبنا لكي تنمو يوميًا لتدرك النضج *

البستاني

لعمري كيف يمكن ان اسقي تلك الاغراس الموهومة التي تدّعي بانها تتولد في قلبي *

الرئيس

أسقِها ذاك الندا السماوي المكتسب بالصلوة . أسقِها الامياه المباح لك افراغها من ينابيع المخلص . أسقِها دم الحمل الالهي المسجود له بتقدمك الى ذلك السر

ينبوع الحيوة المؤبدة المحتجب ضمنهُ *

البستاني

لقد اذهلت عقلي بهذه التصورات التي لم تخطر قط لذهني *

الرئيس

فينبغي اذاً ان تتألف عليها وان اشغالك اليومية تذكّرك بها ، واني اقدم لك ان شاء الله تعالى مقابلات كثيرة ومناسبات عديدة توجد بين اعمال البستاني واعمال الحيوة الروحية . مثلاً اذا ما احتجت لشجرة مثمرة فانك تأخذ غصناً وتدخل فيه طعماً تريده من طائفة ذلك الغصن . فهكذا يقتضي ان نتصرف لكي نكون حقيقةً فضلاء . وها اني ابيّن لك ذلك موضحاً *

ان لكل امرءٍ اخلاقاً ومزاجاً وميلاً طبيعياً يمتاز به . فهذا هو الغصن الذي بسبب فساد الطبيعة المتأتي عن الخطية الاصلية لا ياتي الا باثمار رديئة . لكنه اذا ما تاب الخاطي ورجع الى الله ربه مجاوباً بصدق وامانة على النعمة التي حرّكته وجاءت به الى التوبة فانه على نوع ما يطعّم ذلك الطبع . ذلك المزاج . ذلك الميل المستولي عليه بفضائل

تناسبه شانها ان تثمر فيه اثماراً ثمينة . وهب على ان الآخر بالطبع طماعاً . ففي ذلك الطمع الذي يحمله على بذل الجد والجهد راكضاً وراء الكرامات العالمية فلينزل طعم غيرةٍ تقوية مقدسة لكي يعادل بها اعظم القديسين ويبلغ اعلى درجة في الكمال الروحي ويستحق لنفسه مجداً مؤبداً لا نهاية له . واذا ما كان هذا شغيلاً حاراً في العمل ذا همة ونشاط . ففي تلك الهمة التي لم يكن موضوعها السابق سوى الغنى الزمني فلينزل طعم غيرةٍ حارةٍ تجعله ان يباشر ويتمم اموراً عظيمة لاجل مجده تعالى ولاجل خلاص نفسه . وقد يكون الآخر ذا اخلاق رضيّة مسائرة تجعله ان يتساهل مع عشرائه فيقتبس قبح سيرتهم . فلينزل في تلك الاخلاق والمزايا الخطرة مطعوم المحبة الالهية التي تجعله ان يصير كلاً للكل لكي يربح الكل ليسوع المسيح . وقد يكون هذا ذا اخلاق شرسة فظة كانت له ينبوع خطايا عظيمة مسببة عن الحسد والحقد والغضب والنميمة . ففي هذا الطبع الشرس فلينزل طعم روح التوبة الذي يجعله ان يوجه قساوة اخلاقه ضد ذاته ويصيّره نموذج الامانة المسيحية *

البستاني

فهذا طعم بل مطاعيم جديدة كنت اجهلها فيما اني احتاج غاية الاحتياج الى ممارستها *

الرئيس

انك تستطيع على ذلك . ياولدي الحبيب . بمساعدة النعمة التي يمنحك اياها الرب الاله اذا ما اردتها حقيقةً والتمستها من لدنه تعالى بحرارة . لكني انذرك قائلاً انه ينبغي لك ان تغصب ذاتك. انظر الى تلك الاشجار التي تأتي سنويًا باثمارٍ ظريفة لذيذة . أما انه على نوعٍ ما قد تُغتصب لكي تُبسط وتُمد معرّشة على الحيطان لكي تُسند وتُرفع وتخيم لتعطي فيئًا وظلاً لكي تتدلى اغصانها ويعبث فيها نسيم الاهوية والارياح . ليت شعري باية قساوة لا تعاملها . أما انك تكسحها بالمنجل وتقطع منها اغصانًا تستقي المائية بدون ثمرة وفايدة لكي تحوَّل من ثم تلك المائية الى الاغصانِ المثمرة . فهكذا يلزم ان نغتصب انفسنا اغتصابًا مقدسًا حتى اننا على نوعٍ ما نطويها اي نميلها ونخضعها الى القوانين المرسومة من الديانة . وذلك لكي تأخذ على نوعٍ ما الهيئة التي تعطيها اياها الديانة . فهكذا يلزم ان

نقطع من دون شفقة ولا رحمة ما كان شاذاً فظّاً من الاخلاق
ان نقطع ونستاصل وثبات الشهوة وثورانها التي ليس
فقط تستقي بدون ثمرة وفائدة بل خطاءً واثماً نشاط
النفس وهمتها وذلك لكي تستعمل كل عزمها وقوتها كل
نشاطها وهمتها باعطاء اثمار القداسة والبر *

البستاني

لعمري ان هذا الاغتصاب مما يجفّل الانسان ويخوّفه
لان الانسان يرغب طبعًا اتباع الطبيعة لامقاومتها *

الرئيس

ان حيوة الانسان على وجه الارض هي حرب دائمة
وجهاد متصل على ما يقول ايوب البار . لانه يقتضي ان
نحارب دائماً اميال الطبيعة المفسودة . فحسب تعليم
المجمع التريدنتيني المقدس * حيوة المسيحي يقتضي
ان تكون توبة متصلة *

البستاني

لعمري ان هذا امر صعب يا ابتِ . ولا يمكن
للانسان الّا يشكو منه متذمراً ولو قليلًا *

الرئيس

اي نعم . ان حواس الجسد وشهواته تتذمر وتشكو

من ذلك لكنه يقتضي ألّا يُعبأ بها ولا يُلتفت اليها . قل لي يا هذا . اذا ما مهّدت طرق بستانك وعرّشت الدوالي وغرست الاشجار صفوفاً صفوفاً وكسحتها ونقّيتها . فهب على ان الحشيش والاوراق والاغصان الساقطة تحت المنجل كان لها حس واخذت من ثم تشكو لانك لم تدعها تنبت وتنمو حسب طبعها . اهل كنت تلتفت الى تشكيها وتعبأ بصراخها . لالعمري . لان نظافة البستان وترتيبه ونظامه يتطلب في ان نعاملها تلك المعاملة . فعلى هذه الصورة يقتضي . يا ولدي الحبيب . ان نعتاد على مقاومة اللحم والدم رغماً عن تشكياتهما . وذلك لكي نقيم في ذاتنا حسن الترتيب والنظام الذي يقتضي وجوده فينا واستيلاءه علينا . وذلك يتوقف على اخضاع الشهوات للعقل والجسد للروح والروح لله تعالى والطبيعة للنعمة *

البستاني

لقد بيان لى بانه عندما اعترف اعترافاً جيداً يشبه ضميري حينئذٍ بستاناً مرتباً ارضه ممهّدة اشجاره تراها صفوفاً صفوفاً والورد والرياحين في انتظام ولا ترى فيه شيئاً لا يحكم النظام والترتيب . كأن

اغصانه واوراقه ماهي الّا عمل مصور قد وضع كل شيء في محله *

الرئيس

لقد اصبت في التشبيه . لكن قل لي ياهذا اهل البستاني يكتفي في ان يرتب بستانه وينظم احواله مرةً واحدةً في السنة . وهل صاحب البستان يرتضي ويقتنع منه بذلك *

البستاني

لقد لحظت مقصدك وعرفت ما تروم الوصول اليه . فكأنك تقول ان الضمير الذي يتنقّى ويتطهر مرةً واحدةً في السنة لا يُقال عنه انه حسن النظام والترتيب . وان الله تعالى رب انفسنا لا يرتضي ولا يقتنع بذلك . فهذا امر مسلّم لا خلاف فيه . لكنك تعلم جيداً ان هذا هو مألوف العادة . فان الناس تُعترف في ايام الفصح عن السنة كلها *

الرئيس

ان العادة المغائرة الصواب لا تكون دستوراً لعمل انسان عاقل . فعن هذا الاعتراف الفصحي قد خطر الان في بالي خاطر غريب . على انيّ اشبّه حال المسيحيين بعد الايام الفصحية باشجار البستان عند نهاية الشتا

عند ما يبدأ الربيع يحيي الطبيعة وينهضها . فحينئذٍ ترى اشجارًا لا تقدم للنظر سوى غصون عارية يابسة ميتة . وغيرها تزدان بالحيوة والاخضرار . لكن لا ترى فيها سوى اوراق . وترى اشجارًا كثيرة تزدان بالاوراق والزهور وتعطي من ثم امالًا عظيمة بكثرة الاثمار . لكنه يتفق غالبًا بان الارياح والصقيع والضباب والجليد تسقط تلك الازهار وتخيب الامال . فالاشجار الميتة اليابسة هي صورة اولئك المسيحيين الذين حال كونهم عصاة ومتمردين على شريعة الكنيسة لا يفون وصيتها بل انهم يدوسون اوامرها . اما الاشجار التي لا تحمل الا اوراقًا فهي صورة المرائيين الذين قد لا يتقدمون الى منبر التوبة والى مائدة الخلاص الّا على سبيل العادة ومراعاةً للاحوال من قبيل الحياء البشري وتخلصاً لظاهر الامور . لكن الاشجار المزدانة بالزهور فهي صورة المؤمنين الذين تقدموا للاسرار الالهية على ما حسن من التأهب والاستعداد الذي من شانه ان يعطي امالًا لحيوة مسيحية مقدسة . لكن لعمري كم وكم من مثل هولاء المسيحيين الذين ترى ضجة العالم وشدة الشهوات وقوة التجارب تهدم

وتلاشي فيهم حسن الاستعداد والمقاصد . وتعدم الكنيسة مفاعيل خلاصية كانت تؤملها وتستنظرها من بنيها هولاء *

البستاني

ان هذا التشبيه قد غمّني وكدرني جدًا *

الرئيس

ولِمَ ذلك *

البستاني

لانني على هذه الصورة لست الّا شجرة ميتة يابسة . فاقر معترفاً بكل صدق وخلوص باني منذ سنين عديدة لم اقض الفصح ولم اف وصية الكنيسة

الرئيس

ولِمَ ذلك وقد اراك مجتهداً بخدمة بستانك تقوم به على احسن حالٍ وتتهاون مع ذلك بأمر نفسك التي هي اعظم قيمةً واغلى ثمناً من بساتين الدنيا جميعها . فانك لاتدع بعدم سعيك واهتمامك ان تفنى وتتلف شجرة واحدة تأتي باثمار وقد تركت نفسك تموت وتهلك وهي روحية غير قابلة الموت . النفس التي اذا ما بُذِل نحوها العنا والاهتمام على

ما يليق وينبغي فانها تكون مخصبة مثمرة تاتي بأثمار الحكمة والتقوى *

البستاني

اني اقرّ معترفاً، يا ابتِ، باني مستحق كل هذا التوبيخ *

الرئيس

قل لي يا هذا. أمَا انك تقلق وتحزن لدى تفكرك بانه توجد في بستانك شجرة ميتة يابسة *

البستاني

انك تقلقني وتوجعني خوفاً وجزعاً *

الرئيس

اذكر مثل الانجيل الطاهر حيث يقول ان رب البيت لما رأى شجرة لا تثمر منذ سنين كثيرة قال حينئذٍ للبستاني: لماذا هذه الشجرة تشغل الارض عبثاً. فلتُقطع. فيما انها لم تكن يابسةً بل عقيمة. ومع هذا قد تشكى رب البيت لكونها لم تُقطع. فترى ما الذي قد كان قاله وامر به لو كانت يابسةً ميتةً *

البستاني

فبالحالة هذه اني هالك لا محالة ولا عدت استنظر سوى

بان أُقطع وأُلقى في النار *

الرئيس

لاغرو بانك بعدل وصواب تخاف على حالك الحاضرة .
لكنه لهذا الداء دواء . لاننا لسنا نظير اشجار الغاب
والبساتين التي اذا ما يبست وماتت لاحيوة لها ولا
قيام . لكن الانسان الميت روحيًا بالخطية يستطيع الرجوع
الى الحيوة بالتوبة . فلا تأخرنّ اذاً رجوعك وتوبتك *

البستاني

اني اوكد لك يا ابت باني مستعد للتوبة والرجوع الى
الله تعالى واريد من الآن ان ارتب حال ضميري

الرئيس

لقد سررت بهذا القصد الخلاصي . لاغرو بانه
تعالى قد القاه في قلبك . فتوسلنّ اليه تعالى في
ان يمنحك النعمة لكي تكمله . لانه بدون النعمة
اعمال الانسان كلها باطلة وعديمة الثمرة
والفائدة . فتعلم جيداً يا ولدي الحبيب بانه مهما كان
البستاني نشيطاً حاذقاً ماهرًا في مهنته لا يستطيع بذاته
ان يعطي نموًا حتى ولا لادنى حشيشة . اي نعم انه
يغرس ويسقي لكن الله تعالى ينمي . فباولى حجة ايضاً

لا يستطيع الانسان بذاته الرجوع الى الله بالتوبة حقيقةً . اي نعم يمكنه ان يتلو اشياء روحية ويشغل ذاته بالصلوة والتامل . لكن الله يوصّل ويثمر في القلب التلاوات الروحية والصلوات والتاملات . فالتمسّ اذاً بحرارة الطالب هذه النعمة الضرورية . واني اتحد صلاتي بصلاتك لنوالها والحصول عليها *

فلم يتأخر ذلك البستاني ولم يبطؤ عن اجراء قصده وتكميله . لانه التمس من ذلك الرئيس الذي اناره واهداه في ان يرشده في طريق التوبة التي قصد اعتناقها . فبحسن ادارة مرشده تقدّم ناجحًا بالامور الروحية حتى انه في برهة يسيرة اضحى مسيحيًا حقيقيًا صالحًا بقدر ما كان بستانيًا نشيطًا ماهرًا *

* المثل الثامن والعشرون *

* في الزلزلة *

انه بعد ان حدثت زلزلة عظيمة هدمت المدن وخربت البر والقرى . فكنت لا ترى البرية الا لجةً مفتوحة من كل ناحية . واذا ما رام انسان الانتقال من مكان الى مكان اخر

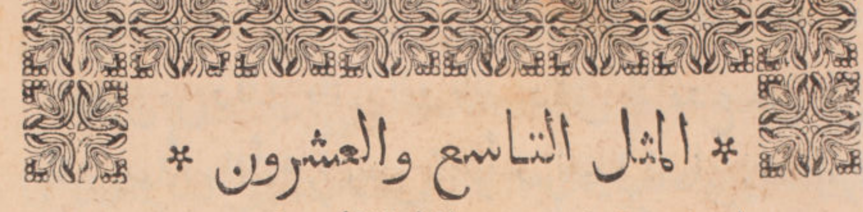
كانٍ يقتضي له ان ينتبه انتباهاً عظيماً ويتيقظ تيقظاً بليغا . فمن ثم كان اقوى الناس واشجعهم يخافون لئلا تزلّ خطواتهم فيتدهورون في هوتة تبتلعهم فمن ثم قد اتفق بان كثيراً من الاهالي لحسن انتباههم وشدة تيقظهم نجوا وسلموا من تلك الاخطار . لكنه لم تجرِ الامور وتتفق على هذه الصورة مع جماعة من شبان كانوا يتبعونهم . اي نعم انه قد انوجد من اعلمهم بتلك الطريقة المبنية على حكمة وتعقل يقتضي التصرف بموجبهما لئلا يهلكوا . اما هم فلدى مشاهدتهم تلك الوهدات العميقة واللجج المخيفة المريعة المقتضي قطعها وعبورها قالوا حينئذٍ في انفسهم . كيف يمكن ويتفق في اننا الى ان نصل الى المدينة نلتزم بان نمعن النظر في هذه الهوتات العميقة منتبهين اليها محدقين النظر عند كل خطوة نخطوها . لعمري ان هذا مما يهلك الانسان خوفاً وجزعاً . فما لنا من هذه المناظر الكريهة المرعدة الفرائص . قالوا هذا ووضعوا عصابةً على اعينهم وهجموا على السير . لكن وآسفاه انهم عند اول خطوة خطوها سقطوا جميعاً متدهورين الواحد فوق الاخر في قعر اللجة *

ان تصرف هولاء الشبان يبان لدينا غريباً عجيباً كما وانه بالحقيقة ما هو الا ضرب من الجنون لكن مع ذلك نرى اكثر الناس يسيرون كذا سيرة ويتصرفون كذا تصرفاً. فرعاة الانفس اولوا الهمة والغيرة يصرخون مع القديس برنردوس قائلين لجمهور الخطاة الذين يغطون وجه الارض : انحدروا الى الجحيم في حياتكم لئلا تنحدروا اليها بعد مماتكم . اي انهم يقولون لهم يا معاشر الخطاة تأملوا تلك الهوتة المضطرم سعيرها التي يجري الله تعالى عدله الالهي فيها . وتصوروا في اذهانكم تصوراً حياً ما تقاسيه الهالكون فيها من العذابات القادحة. لانه اذا ما خفتم وجزعتم من هذا المنظر المريع فانكم تهتمون حينئذٍ بامر خلاصكم بخوف مقدس ورعدة خلاصية وفقاً لامر الرسول المصطفى . فبقدر ما تكررون التامل بتلك النار المفترسة المشتعلة بنفخة غضب الله تعالى بقدر ذلك تتاكدون نجاتكم منها واجتنابكم لها *

فترى ما الذي يجاوبون به هولاء الخطاة . لعمري انهم يجاوبون على هذه الصورة . فان لم يكن ذلك منهم قولاً فانما يكون حقيقةً وفعلاً : ان فكر جهنم

مخيف مريع . فلا يستطيع الانسان ان يحيى ويعيش اذا ما اشغل ذهنه فيه دائماً . فليبعد اذاً عنه على قدر الاستطاعة والامكان . ومن ثم لا نقرأ اصلاً كتباً تذكرنا به . بل فلنهرب من تلك العظات المتكلمة بهذا الشان والموضوع *

فهذا ما يفعلونه الخطاة حقيقة وفعلاً . وحيث انهم لا يفتكرون في جهنم فينسون وجودها فلا يؤثر بهم خوف السقوط فيها ولا يكبح شهواتهم ولا يردع اميالهم . ولهذا تراهم ينهمكون بالادناس بطمانينة عمياء ويتدهورون في جهنم النار التي قد برحت من عقولهم اي انهم على مثال هولاء الحمقا المثلين بهذا المثل . فلكي يبعدوا عنهم الخوف الخلاصي المسبب من النظر والالتفات الى الهوتة الجهنمية تراهم يحوّلوا اعينهم عنها . ومع ذلك انما هم يجدّون السير نحوها ويتدهورون فيها الوفا الوفاً *



* المثل التاسع والعشرون *

* لقمان الحكيم في بلاط الملك كريزوس *

ان لقمان الحكيم كان عبداً فقيراً يخفي تحت هيئة منظر شنيع قريحةً جوادةً وعقلاً ذكياً ثاقباً. فلم مديونون بتلك النكت الظريفة والامثال اللطيفة التي تظهر فيها التعاليم الشريفة والحكم النفيسة تحت برقع الاختراعات العجيبة والايجادات الغريبة *

فلما سمع كريزوس ملك ليديا بفضل هذا الرجل احضره الى بلاطه الملوكي وانسرَّ من ذكاء عقله وجزيل تعقله فاقامه وزيره الاعظم . وحينئذٍ اظهر لقمان في ذلك المقام ما انعمت به الطبيعة عليه من العقل الثاقب والفكر الحاذق *

فغارت اهل البلاط الملوكي من شهرة لقمان وتقدّمه فاكمنوا له الشر في قلوبهم وارادوا التخلص منه . فاخذوا من ثم يتجسّسون كل اعماله وسائر تصرفاته . فعلموا بانه كان يومياً في اوقات معلومة يختلي وحده زماناً في ناحية

خفية من السراية وكان هناك صندوق يفتقده لقمان ويكتشف عليه يوميًا بكل شوق ورغبة. فافتكر حسّاده منتجين من ذلك بان ذاك الصندوق لا بدع من ان يكون مملوًا مالاً وفيرًا وغنى كثيرًا ثمرة حيل لقمان وتدابيره وارتشائه وابتياعه وظيفته . فتهللوا فرحًا لزعمهم انهم وجدوا طريقةً اكيدةً يهلكون بها عدوّهم . فتعاونوا عليه لدى الملك مولاه واعلموا جلالته الملوكية ببخل لقمان واحتشاده الاموال وجمعه الغنى بطرق محرمة ونهب البلاد وسلب اموال العباد . والدليل الوضح الجلي . ان طلبت برهانًا يا ايها الملك . ما لك سوى بان تفتح صندوقًا يفتقده لقمان ويكتشف عليه دائماً . فاندهش الملك من هذا المقال واختشى من ان تكون ثقته بذلك الوزير بغير محلها . فاراد مباشرة هذه الطريقة للوقوف على الحقيقة . فامر من ثم باحضار لقمان لديه فحضر وامتثل بين يديه . وبموجب امر الملك اتجه الى تلك الناحية حيث كان الصندوق الموهومة فيه الكنوز والاموال واهل البلاط الملوكي يتبعونه والناس تزدحمه . فرأى الملك حقيقةً صندوقًا كبير الحجم قديم الايام . فأمر بفتحه

فامتثل لقمان لامر الملك واطاع . لكن يا للحيرة والعجب الذى ادهش عقول الناظرين . فانه عوضاً عن ان توجد ضمن ذلك الصندوق سبائك الذهب والفضة والاحجار الكريمة فلم يوجد فيه سوى ثوب لقمان لما كان عبداً رقيقاً قبل ارتقائه الى تلك المراتب العالية . فاستشاط الملك غضباً وصاح باولئك الاعوان وطردهم من حضرته الملوكية والتفت الى لقمان وسأله مستفهماً لماذا ابقى ذلك الثوب الوضيع الدني ولماذا كان يفتقده ويكتشف عليه يومياً بكل حرص وتدقيق . فاجابه الوزير قائلاً : اني اعرف حسناً . يا مولاى . وادرك جيداً مخاطر النجاح والتوفيق . فان الانعام التي انعمت على عبدك بها والشرف الذي خوّلته اياه لقد كان نفخ قلبه عجرفةً واملأه عظمة وكبريا فارغة . فاقتضى من ثم وقايةً لنفسي وصيانةً لي من كل ذلك قد احتفظت على هذا الثوب بكل احتراس . واني اتامل يومياً اثار حالتي الاولى . على ان هذا المنظر اذا ما ذكّرني بدناءة اصلي فيمنعني من ان انسى ذاتي ومن ان اسيئ التصرف بنعم جلالة الملك مولاي *

ان نموذج هذا الفيلسوف الوثني يمكن تقديمه الى

المسيحيين انفسهم على انه حظة شريفة وعبرة لطيفة ٠ فيا معاشر الذين تمتازون عن باقي الناس بعقولكم وبمزايا اخرى حميدة انعمت بها الطبيعة عليكم ٠ انتم الذين تتلألأون ببهاء فضايلكم وتتسامون بحسن عملكم ٠ انتم الذين قد حباكم الله تعالى نعماً سامية وانعاماً سنية عالية ٠ انه بكل حق وصواب تختشون من ان الكبريا تدخل في قلوبكم وان المجد الباطل يعرّيكم لدى امين الله من كل فضل لكم ٠ اهل لكم من طريقة اكيدة وواسطة مفيدة توقيكم من الدخول في هذه التجربة ٠ فاختلوا يومياً بذواتكم واحسنوا التامل في عدمكم ودناءة اصلكم ٠ التفتوا الى نقائصكم وعيوبكم جسدية كانت او روحية ٠ احدقوا النظر وتاملوا اميالكم المنحرفة وخطاياكم الغير المحصاة عدداً وعدم امانتكم بخدمة الله ربكم والهكم ٠ تاملوا دناتكم ونكرانكم الجميل والاحسان ٠ فان هذا المنظر هذا التامل شأنهما ان يلقيان في قلوبكم حركات الاتضاع فيمنعاكم من ان تتكبروا بهبات الله تعالى وعطاياه المجّانية *

فهكذا قد رأينا الرسول المصطفى في اوان نجاح رسالته

المجدة وتوفيقها بعد ان ارتفع الى السماء الثالثة ذكر بكل خجل واستحياء بانه قدكان اضطهد بيعة الله تعالى . وهكذا القديس اغوستينوس المعظم الذي انتصر على كل اراطقة عصره الذي حاز الثنا والاعتبار عند كل الناس بقداسة حياته وسمو تعاليمه لم يرتض فقط في ان يردد في ذهنه متذكراً قصة اضاليله وفساد سيرته . بل انه قد اراد في ان اهل المسكونة تطلع عليها وتذاع وتشتهر لدى الناس قاطبةً *

* المثل الثلاثون *

* في الانهر *

ان كل الانهر من البحر تخرج . لكنه مع ان اصلها واحد فالمقصد فيها متنوع والغاية مختلفة . فبعضها تجري وتقطع بلداناً كبيرة متسعة وغيرها تدور دورةً محصورة محدودة . هذه ذات سير عزوم وتلك تجري بهدوء وسكينة . بعضها تسقي اراضي مخصبة ومدن عامرة ويتلألأ عند شواطئها كل جمال الطبيعة وظرافة الصناعة وغيرها يقطع براري قفرة . وفيافي قحلة . وصخور وعرة . وبوادى

مهملة . فهذه تارةً تملئ مجراها متدفقة واخرى تقل وتنشف فيصبح مجراها ناشفًا يابساً . وتلك تبقى على حالة واحدة فتسير فيها السفن وتجري المراكب . فبعضها تندفق فوق حدودها فتطوف البراري وتخرب الاراضي والبساتين وتهدم البنا والعمار وتتلف وتلاشي كل ما وجد امامها . وغيرها تنحصر بهدوٍ وسكينةٍ ضمن قناية حُفرت لها فتاتي بمنافع كثيرة وفوائد جزيلة في الاماكن التي تسقيها . لكنها جميعها افراداً واجمالاً بعد سير طويلاً كان او قصيراً . لطيفاً او غير لطيف . كثير النفع او قليله . ترجع اخيراً وترتد الى البحر وتضيع مبتلعةً فيه *

ان حال هذه الانهر تبيّن لنا مدققا وجلياً حال البشر الذين يخرجون جميعاً من التراب والى التراب يعودون . لكنهم قبل ان يبلغوا هذا الحد المحتوم ترى سيرهم على انواع كثيرة الاختلاف . فبعضهم يصلون الى الشيخوخة والهرم وغيرهم كاد الا يبلغوا اشدهم . هولاء تختطفهم المنية في شبوبيتهم واولئك في حداثتهم وطفوليتهم . بعضهم يتموّلون باسرع اوان وغيرهم لايحصّلون الغنى الا بطولة الايام . هولاء يعيشون

بارغد عيش واهناه متنعمين في وسط الغنى والكرامات وغيرهم يعيشون في حضن الفقر والفاقة . في حال الاحزان والاكدار . موعبين اهانةً واحتقارًا . بعضهم تتلاعب بهم ايدي التقادير فتراهم تارةً على ايسر حال واخرى في شدة من العسر والضيقة . وغيرهم يتنعمون دائمًا وابدًا في حال معتدلة التوفيق والاقبال . فهولاء يستعملون سلطتهم ومقدرتهم ويستخدمون غناهم واموالهم في ظلم الضعيف والجور على الفقير . واولئك يستخدمون سلطتهم وغناهم في عمل الخير والاحسان وبما يأول الي النفع والفائدة . لكنهم كيفما كانوا حالاً واختلفوا سيرةً ومقاماً ينتهون جميعاً ويتساوون حالاً اذ يرجعون الى التراب الذي منه خرجوا *

* المثل الحادي والثلاثون *

* في داموكليس الفيلسوف *

ان داموكليس الفيلسوف كان رجلاً ملاَّقاً محابياً يستعطف خاطر ديونيسيوس المغتصب . فانه لكيما يكتسب انظاره ويدخل في خاطره كان يبالغ في

مدحه ويرفعه فوق كل ملوك الارض وعظمائها . وكان يكرر على سماعه هذا القول دائماً . وهو انه يعلوهم فضلاً وغنى ويفوقهم شرفاً واقتداراً ويسموهم حظاً وغبطةً *

اما الملك فكان عائشاً في خوف ووجل من ان تغدر الناس به وتميته قتلاً : فمن ثم لم يثق بما قاله له ذلك الملّاق عن عظم الحظ وجزيل السعادة والغبطة . لانه كان يشعر جيداً بنفسه بانه لم يكن محظوظاً ولا سعيداً مغبوطاً . فمن ثم اراد بان يشعر ذلك الملّاق نفسه ويصادق على ما يحس به الملك خلافاً لما يأتي به من التمليق والمداجاة . واذ ذاك ففي ذات يوم امر الملك بان يُسربل داموكليس بالارجوان وبساير الحلل الملوكية ويتقلد كل علائم السلطة والملك . واجلسه على مائدة فقدّمت له الخدام والاتباع كل ما يُقدّم للملوك والسادات . فكانت من ثم وليمة مفتخرة ولما كانت المأكولات الذكية والمشروبات اللذيذة تلذذ ذوقه كانت الموسيقة وآلات الطرب تلذذ سماعه وتطرب فواده فاضحي من ثم على اسعد حال فصار مسبي الفواد مسلوب العقل سروراً وحبوراً . لكنه فيما كان يتنعم بتلك الملذات انوجد من ايقظه لكي

يرفع الحاظه الى ما فوقه . لعمري ترى ما الذي حلّ به. وما الذي استولى عليه عندما راى فوق راسه سيفاً مجرداً معلقاً بخيط قطن رفيع في سقف تلك القاعة فخاف وارتعد واصفرّ وانكمد وحاول مبارحة المكان فمنعه الملك عن ذلك . ولم تزل الخدام والاتباع تقدّم له المواكيل النفيسة التي من شأنها ان تهيّج القابلية وتلذذ الحواس . وفي تلك الاثنا ضاعفت الموسيقة اشغالها واظهرت كل اسرار الفن بغاية من الاتقان والاحكام وشدهت الافكار برقة الاصوات وايقاع الحركات . اما ذلك الفيلسوف الملاق فلم يعد يستلذ بشيء لا ذوقاً ولا سمعاً ولم يشغل ذهنه الا بذلك السيف المخيف الذي كان قادراً مند كل دقيقة ان ينقطع ويقع فوقه فيطعنه . ومن ثم كانت عيناه على الدقائق محدقةً بما فوقه . فما صرفه بعد ذلك من الزمان في تلك الوليمة بان لديه اجيالاً واعصاراً ولم يتنفس ولم ياخذ راحة الا حالما أُذن له بالخروج من تلك الحال المريعة *

فحال هذا الفيلسوف هي حالنا . لان المنية قابضة دائماً المنجل فوق روؤسنا وتستطيع عند كل دقيقة

ان تضربنا تلك الضربة المشومة القاطعة . فكيف يمكننا
اذاً ان نشرب ونأكل وننام ونضحك ونلهو ونطرب .
لعمري ان هذا الفيلسوف اظهر تعقلاً وحكمة اكثر منا .
على انه لما رأى السيف يتهدده لم يعد يلتذ بشيء
البتة . فاحدق نظره به ولبث من ثم منتبهاً متيقظاً .
فهكذا يلزم ان نسير ونتصرف . اي بان نجرد قلوبنا
من لذات الارض وغناها وكراماتها وان نفتكر
باتخاذ طرق صوابية لا لكي نجتنب الموت
الذي ولا بدّ منه . بل لئلا يفاجينا ونحن بحالة
تخشى عواقبها . اي نعم ان داموكليس الفيلسوف كان
يرى عياناً ذلك السيف معلقاً فوق رأسه . اما نحن
فلا نرى الموت مستعداً لقطع خيط حياتنا . لكن اما
ان العقل والديانة يقومان مقام هذا المنظر الحسّي .
وهل ان الخطر المتصل في انه يفاجينا عند كل دقيقة أما
انه امر واضح للعيان . كأننا نرى باعيننا منجله القاطعة
تتهدد رؤوسنا *

* المثل الثاني والثلاثون *

* في القديس فينشسلاوس *

ان القديس فينشسلاوس ملك بوهيميا كان من عادته يخرج كثيراً من بلاطه ليلاً ويتجه حافي الرجلين في اي فصل كان من فصول السنة غير مبال بحرارة الصيف ولا ببرد الشتا . ويزور من ثم كنائس كثيرة من مدينته . وهناك كان يجثو منطرحاً على الحضيض رافعاً الطلبات والتوسلات الحارة للرب الاله الجالس في تلك الهياكل المقدسة متضرعاً للقديسين الذين كانوا على اوفر عبادة وكرامة في تلك المعابد . ولم يكن يصحب معه في تلك الزيارات سوى تابع واحد كان يستوثق بتعقله وحسن درايته ويوده لعظم فضيلته . فاتفق ذات ليلة في تلك الزيارات المألوفة كأنّ البرد اشتد وتعاظم وتغطت الارض بالثلج والجليد حتى ان ذلك التابع مع انه كان لابساً ما يوقيه من شدة البرد شعر بان رجليه كلّت عن السير لما أثربها من الجليد . فتقدم من ثم الى الملك

واعلمه بذلك وبكل خضوع وتذلل اعرض له عجزه عن اتّباعه . فالملك الذي شدة حرارة عبادته كانت جعلته الّا يشعر بصرامة البرد التفت اليه قائلًا : اتبع خطواتي واحدةً فواحدةً وسر في اثاري على الثلج . فامتثل الخادم امر مولاه واطاع . فحالًا بامر عجيب مستغرب انتشرت حرارة لطيفة في رجليه وفي كل جسده حتى انه بكل سهولة وبدون مشقة وعنا سار بصحبة مولاه الى كل الاماكن التي استاقت الملك اليها حرارة العبادة والتقوى *

فيا ايها الخطاة التائبين . يا من قد تبتم توبةً حقيقيةً وترغبون ان ترضوا العدل الالهي . لكنكم مع ذلك ترتاعون من صعوبة التوبة . اهل تريدون ان تسيروا في طريق الصليب بشجاعة وفرح وسرور . اتبعوا بالروح خطوةً فخطوةً معلمكم الالهي وسيروا معه من اورشليم الى جبل الجلجلة . ضعوا اقدامكم على اثار اقدامه الدامية فيضطرم قلبكم بحرارة الهيه فلن يجد الطريق صعبة ولا عسرة *

فهذا هو سر قد استفادت منه واستعملته فطاحل التائبين الذين قد ضحّوا

ذواتهم رويداً رويداً بتقشفات واماتات مريعة ترتعد منها الطبيعة. فاولئك القديسون العظام ماري فرنسيس الكبير وبرونوس وبرنردوس ويوحنا الصليبي وبطرس د الكنترة والقديسات الجليلات تريزيا ومريم المجدلية د يبادسي وغيرهم كثيرون لم يظهر لديهم شيءٌ مشق ولا صعب البتة متى استحضروا يسوع المسيح ماشياً امامهم حاملاً صليبه ساقياً الدرب التي سار فيها بالدم الذي جرى من جراحاته. فكانوا يتطايرون مسرعين الى اثار خطواته الكريمة. وعند ما كانوا يعتنقونها ويقبّلونها كانوا يشعرون بقوى جديدة ولم يتوقوا من ثم سوى بان يقاسوا الاحتمال والالم. وكانت مسرتهم في ان يحملوا صليبهم متبعين هذا المخلص الالهي متقدين شوقاً لكي يمزجوا دمهم بذاك الدم المسجود له المهراق على تلك الدرب التي كانوا يسيرون فيها



* المثل الثالث والثلاثون *

* في منلا درويش *

ان الدراويش هم اهل طريقة اسلامية كثيروا العدد

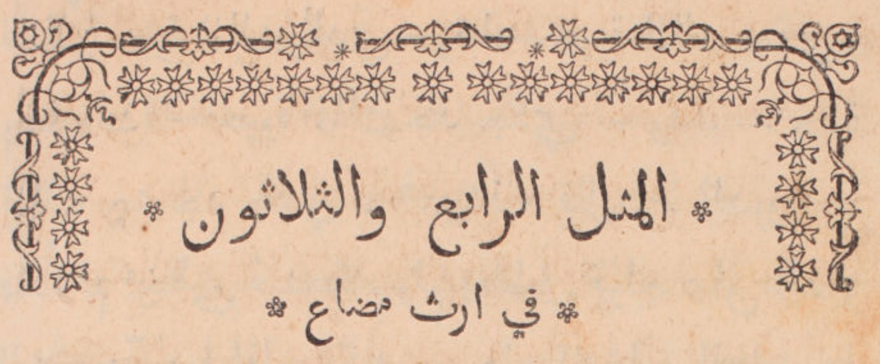
في الفرس والهند وبلاد العرب . فيجولون من محل الى اخر متسولين طالبين الصدقة والاحسان . فلما كان احدهم سائحاً في البلدان مرّ في عاصمة بلاد الفرس وكان وصوله اليها والليل حالك . وحيث لم يكن له محل يبيت فيه ليلته . فتجاسر ودخل سراية الملك وجلس في ناحية من محل الحراس واخذ كيساً كان معه ففتحه وافرغ منه كسر خبز واراد يتناول زاداً لكي يرقد بعد ذلك وينام واذا بالحراس رأوه فاقبلوا اليه وسألوه ما الذي يعمله وكيف دخل لهنالك . اما هو فاجابهم قائلاً : اما اني في خان . فاغتاظ الحراس من هذا الجواب فشتموه واهانوه وذهب بعضهم لدى الملك واعرضوا له ما اتقح به ذلك الدرويش . فامر الملك باحضاره بين يديه . فعندما رآه التفت اليه شزراً وصاح به صارخاً : لقد انقحت وتجاسرت ياهذا باعدادك بلاطي الملوكي خاناً ومنزلاً تحط فيه الرحال *

اما الدرويش فاجابه من دون خوف ولا ارتعاد : اني التمس من مراحم سيدي الملك في ان يؤذن لعبده بسؤال يعرضه على شريف مسامعه . مولاي . من سكن هذا القصر قبل جلالتك . فاجابه الملك

قائلاً : حيوة الملك والدي — وقبله — حيوة الملك جدي . وقبل هذا — حيوة الملك جد جدي — وقبله — حيوة الملك جد جد جدي . فحينئذٍ قال له الدرويش فاذاً لم يخطئ عبدكم ولم يغلط في قوله : ان الدار التي يمرّ بها اناس كثيرون على التوالي والتتابع ما هي الا خان ومنزل تحط فيه الرحال *

فلنخصّ ذواتنا بهذا الجواب ونطابقه لاحوالنا ونصلح به من ثم افكارنا . فمَن منا لايعدّ ذاته مهاناً لو قيل له ان داره ما هي الا خان مع ان هذا القول صدق محض . فكم وكم من الناس قد سكنوا قبلنا الدور التي نسكنها . فالآن نحن فيها وغداً نبارحها ويأتي غيرنا اليها . فاذاً بكل عدل وصواب يطلق عليها اسم خان ولا يقتضي من ثم ان نحتسب ذواتنا سوى مسافرين ننزل فيها زماناً طويلاً كان او قصيراً وبعد ذلك نرحل *

قال القديس اغوستينوس : انك تدّعي قائلاً : ان هذه الدار هي ارث لي عن المرحوم والدي . اي ان اباك قد سكنها ثم انتقل منها . وستنتقل منها انت ايضاً . فاذاً ما انت الا سائح نظيره *



المثل الرابع والثلاثون

في ارث مضاع

ان رجلاً غنيًا اسمه عبدالله طعن في السن واراد ان يوصي بماله حيث كانت عايلته دثرت وانقرضت ولم يكن له وريثًا شرعيًا يقيمه على امواله الكثيرة وثروته الغزيرة. فخطر لذهنه بان احد اصحابه قد توفي عن اولاد كثيرين. فاختار من ثم احدهم قاصدًا ان يقيمه وريثًا له. فكتب له بان يحضر لديه الى مصر القاهرة وكان ذلك الوريث في عنفوان الشبوبية واراد مرات كثيرة ان يتزوج فمنعه عن اجراء مرغوبه ما قلّ بين يديه من المال. فجاء اذ ذاك هذا الارث في محله. فحالاً هذا الشاب المسمّى هاشماً سافر من بلاده واتجه الى مدينة القاهرة لمقابلة ولي نعمته. فقبله ذلك الغني بالترحاب واظهر علامات الفرح والحبور لقدومه بالسلامة. وابان له عظم حبه له وشدة انعطافه نحوه وصادق على ما كان كتبه له وان مراده يقيمه وريثًا شرعيًا مطلقًا على كل امواله *

اما الشاب غب ان لبث بحضرته قليلاً واظهر له حسن الممنونية والمعروف تركه ومضى متفرجاً على القاهرة لانه لم يكن دخلها قط . ولما كان المساء رجع متأخراً الى دار عبدالله فرآه قد رقد ونام . وفي الغد حضر لديه صباحاً ومكث عنده برهةً ثم خرج خارجاً ولم يدخل الدار سوى عند الظهر . فجلس مع ولي نعمته على السفرة فاكل وشرب وارتاح قليلاً ثم خرج للفرجة والدوران . فدار الازقة والشوارع وتفرّج على القصور والابنية وتنزّه في الجنائن والبساتين ثم ذهب الى المشهد لكي يحضر روايةً فوجد هناك بعض معارف واصحاب . فاخذوه بعد ذلك الى القهاوي فلعبوا بالقمار فخسر لانه كان حديثاً في الفن . ولما مضى من الليل اكثره رجع لدار عبدالله وفي اليوم الثاني والثالث والرابع سار مثل هذه السيرة تقريباً . لكنه مع طول الزمان وتوالي الايام كثرت معارفه وتعددت اصحابه وخلانه وازداد من ثم غراماً في اللعب والملاهي وفي الفرج والمتنزهات فندر وقلّ افتقاده لولي نعمته حتى انه اخيراً لم يكن يتردد عليه الا قليلاً ويمتثل بحضرته لحظةً ثم يرجع حالاً الى رفقائه . وينشغل معهم باللعب والملاهي . واخذ ينتقل حالاً

الى ما قبح من التصرف والسيرة فمال الى الشرب والمسكرات وغاص في الانهماكات وارتكاب المحرمات. فاغتم عبدالله من ذلك وتكدّر ومقت هذا التصرف والسيرة على انه كان يؤمل ممن اراد ان يغنيه ويرفع قدره ويرقيه مراعاة خاطر وحسن التفات اكثر مما رأى وشاهد من ذلك الشاب. فأخذ من ثم يبدي احياناً امام خدامه واتباعه كلاماً يدل على ما في ضميره. فاعلمت الاتباع هاشماً بذلك وافهموه بانه ان لم يثابر على التردد لدى مولاهم وان لم يدار خاطره فان ذلك الشيخ الطاعن في السن يندم على ما قصده نحوه من الاحسان وايلاء الانعام. فصغى هاشم لمقالهم وكابر على نفسه وغصب ميله وصار يحضر يومياً اقله عند الظهر ويجلس مع عبدالله على المائدة. لكن معاشرته وكثرة اتصالياته ازدادت وكثرت فلم يبق له زمان يرضي فيه الخلان. فاقتصر من ثمَّ عن التردد عند ذلك الشيخ الهرم ولم يعد يراه اصلاً حتى وانه كثيراً من الليالي كان يصرفها خارج الدار. فاغتاظ عبد الله وانقهر من هذه السيرة وافتكر بان امواله لا بدَّ من ان تنتقل الى ايدي الاشقياء والاشرار اذا ما تركها وخلّفها لذلك الشاب العديم الحكمة والدراية. فاحضر

من ثم اهل الشريعة وكتب وصيته وامضاها واقام الفقراء والمساكين ورثاء على ماله واوقف املاكه للبر وعلى الفقراء والمرضى *

فكانَّ شدة حزنه وكدره من سوء تصرف هاشم ومما اظهره وابداه من عدم الالتفات وحسن المعروف نحوه ثم وقفه ماله على الفقراء والمساكين وهو على تلك الحال من التخلق والانفعال وزد على ذلك ضعف مزاجه وتقدمه في السن سببا له اختباطًا عظيماً كان علة موته في بحر ايام قلائل *

اما ذلك الشاب المنكود الحظ فكان حينئذ غائصاً في بحر الملاهي والملذات تائهاً في الاضاليل والانهماكات وكان قد مضى زمان مديد ولم يحضر عند عبدالله ولم يتردد عليه . ففي احدى الليالي رجع الى الدار ولم يكن رجوعه اليها الا ليطلع على وفاة ولي نعمته ولكي يشاهده ضمن نعش محمولاً الى القبر ولكي يعلم ويتأكد بانه لا حق له ولا دعوى على ارثه ولا على شيء ما البتة مما خلفه من الاملاك وتركه من الاموال *

انه لقد يعسر تصور ما قد اثر بذاك الشاب من هذا الخبر الغير المستنظر الوقوع . الخبر الذي انقضّ عليه كالصاعقة

فاحتار واندهش وضرب الاخماس بالاسداس ٠ ثم رجع الى ذاته واستحضر في ذهنه عظم مصيبته فأيس وارتعد فغضب على ذاته غضبًا شديدًا لانه خسر بذنبه تلك السعادة العظيمة والحظ الوفير . فهاج وحنق ولطم وجهه وهشم صورته وعضّ اصابعه ندمًا فتصعد الزفرات وسكب العبرات واقتضى المحافظة عليه كل تلك الليلة لئلا يقتل ذاته ويهلك نفسه *

فلم تقف به الحال عند هذا الحد . لانه لما كان الغد انتشر خبر وفاة عبد الله وشاع واشتهر لدى الجميع بان هاشمًا لم يكن وريثًا له . فهجمت من ثم اصحاب الديون وارباب الاموال من كل ناحية وطالبوه بما استدانه منهم مدة اقامته في تلك البلدة ٠ لانه بعد ما انفق كل ما كان معه لم يتحاشَ من ان يتسلّم اموالًا يفيها من ارث عبدالله بكل سهولة ٠ فيا حبذا لو صحت الاحلام . فلما خابت آماله وعجز عن ايفاء المبالغ لاربابها أُستيق الى السجن *

فحينئذٍ ازداد اياسه وثارت عليه احزانه فاوصلته الى ما لم يصل اليه بشر من الغم والاكدار . فقد كان

منوطًا به. وفي قبضة يده ان يعيش متنعمًا في الغنى والكرامات فآل به الامر الى ان يعيش عيشة شقية محبوسًا ضمن سجن مظلم لم يعلم اذا كانت العناية تسمح باخراجه منه . فهذا الفكر الاليم كان مبتجذا في عقله ومصورًا دائمًا امام عينيه وكان له عذاب لا يطاق احتماله فضاق صدره وصغرت نفسه وثقلت الحيوة عليه فاضحت لديه مبغوضة مكروهة حتى انه حاول مرارًا قتل نفسه واهلاك حياته فلم يستطع على تكميل قصده . لكن شدة غمه وعظم اكتئابه قاما مقام السيف الباتر والسم الناقع فانهى بعد ايام قلائل حياته الشقية المحزنة *

فاذا كان هذا الشاب المنكود الحظ قد قاسى الاهوال وخرج من دائرة التعقل والصواب وهاج وحنق واغتم وتكدر واغتاظ من ذاته وانقهر لانه خسر بذنبه وخطاه نعمة زمنية فآل به الامر لسوء تصرفه الى فاقة واسر زائلين . ترى ما هو ايأس الهالك في جهنم . ما هو توبيخ ضميره لانه خسر بذنبه وتغافله سعادة تفوق ادراك العقول . خسر حظًا ابديًا غير متناه . لانه هو نفسه القى ذاته متدهورًا في لجة شرور مريعة لا نهاية لها .

فيا ايها الخطاة امعنوا النظر وتأملوا هذه الحقيقة المحصّرة لكم في هذا المثال. فعوضاً عن ان تؤكدوا لانفسكم بحيوة مسيحية مقدسة حظاً وسعادةً يتنازل تعالى ويقدمهما لكم. فعوضاً عن ان تكتسبوا حبه وصداقته بالمثابرة على الصلوة والابتهال وبصدق الامانة في حفظ وصاياه واوامره المقدسة فانكم تنسونه تعالى وتتهاونون في حفظ ناموسه مسلمين ذاتكم لسائر الاباطيل تائهين في بحر الاضاليل منهمكين في حماة الرذائل والادناس. سكارى في خمرة العالم الجهول. فانكم لا تفتكرون سوى بان ترضوا شهواتكم. وتلذذوا حواسكم. وتتمتعوا بما تستطيعون عليه من الملذات. ليت شعري ترى ما الذي سيحدث ويتفق اذا ما تقدمتم بعد موتكم لكي تستولوا على ذلك الارث السماوي القائم به غناكم الابدي. انكم تعلمون حينئذٍ وتتأكدون لكن بغم واياس يكلّ عن وصفهما اللسان ويعجز عن ادراكهما عقل انسان بانه لا حق لكم بذلك ولا دعوى. فترون ذاتكم حينئذٍ مثقلين بديون غير محصاة قد قيدتم ذاتكم بها بالادناس والمآثم التي بسببها تهجم عليكم الابالسة خدام العدل

الالهي ويسحبونكم الى سجن الجحيم المظلم الى لجة النار المضطرمة السعير حيث تتمزق احشاءكم بقرض ديدان الضمير القاسية *

فالشاب الممثل بهذا المثل قد وجد اقاله في الموت نهايةً لآلامه وعذابه . اما عذابكم فابدي لا نهاية له فلن ينجّيكم منه سوى ملاشاتكم وترجيعكم الى العدم . لكنكم ستبقون في الوجود الى الابد *

* المثل الخامس والثلاثون *

* في سنة الاستخلاص والاسترداد *

قد كان رجل ابتاع ارضاً تشتمل على قصر وجنائن وبساتين فحالما تملكها وتصرف بها جمع فعلة من كل نوع وجنس واخذ يزين القصر ويغيّر تقاسيمه وقاعاته ومساكنه واعطاه هيئة جديدة ظريفة تلذ للنظر وتشرح البال والخاطر . فزيّن من ثم ذلك القصر بالنقوش والتصوير وجدد الجنائن والبساتين وغرس فيها اغراساً جديدة ورتب اشجارها صفوفاً صفوفاً وعمل فسقيات وحياضاً وبركاً جرّ اليها مياهاً كلفته تكاليف بليغة

واحضر اشجاراً من بلدان بعيدة وغرسها في تلك الحدائق والبساتين وزرع فيها الخضر وسائر انواع الزهور والرياحين وكان يسر ويفرح وينشرح ويطرب لدى تأمله ما احدثه من التغييرات وجدده من التجديدات في ذلك القصر وتلك الجنائن والبساتين . ويردد في ذهنه افكاراً يستعد لاجرائها . واذا في ذات يوم حضر اليه احد اقارب البائع العصبيين وادّعى عليه قائلاً . انه قد وقع الاسترداد والارض مستحقة له بموجب حجج شرعية . فقدّم من ثمّ ما كان عنده من التعليل والدفع الشرعي المقبول المعمول بموجبه شرعاً ونظاماً . وحيث نهاية المدة وكان من ثم حلول الاسترداد والاستخلاص شرعياً يقتضي في ان تُرد للمدعي املاكه ويجب على الشاري ان يتفرغ له عنها ويعتزل . فالتزم اذاً هذا الشاري في ان يترك لذلك المدّعي ارضاً واملاكاً قد كان علّق قلبه بها تعلقاً لا مزيد عليه وصرف عليها مصاريف كاد الا تحصى وتُعد . وما قد كان تكلف عليها من التصليح والترميم والتغيير والتجديد ذهب ضايعاً *

فحينئذٍ علم ذلك الجهول لكن متاخراً . بانه ليس

هو من التعقل والصواب في ان الانسان يصرف مصاريف بليغة في ارض لايتاكد تملكها وحفظها في يده وتحت مطلق تصرفه . وانه طالما كانت الارض واقعة تحت شريعة الاسترداد والاستخلاص ينبغي من ثم على المتصرف بها وقتًا ان يقف عند مصاريف ضرورية لابد منها ولاّ يزيد على ذلك شيئًا البتة ❊

فيقتضي ان نعتبر حياتنا كارض قد تملّكناها تحت الزام الرد لربها . لانها بدون شك ولا ريب في كل ساعة ودقيقة يُطلب رجوعها منا . فاذًا من الصواب هو انه لا نتعلق بها ولاّ نصرف مصاريف كثيرة لكي نزينها بالغنى والكرامات وشرف المقام والا نسهّل لها الملاهي واللذات . بل انه ينبغي ان نرضى ونقنع بما هو ضروري لحفظها وقيامها . ومن ثمّ يليق بنا ان نقف عند الامساك في المأكول والزهد في الملبوس ونكتفي بالراحة الضرورية وبالانشراح المأذون به من التعقل والصواب . لكننا على خلاف الامر نرانا جميعاً نتصرف نظير ذاك الجاهل الممثَّل بهذا المثل . فطالما نبداء في ان نذوق لذة حيوةٍ لانتاكد تملكها ولا استيلاء لنا عليها حتى ولايوماً واحدًا

فاننا نبداء حالاً في ان نجد ونسعى لكي نجعلها حيوةً هنئة ذات افراح وانشراح ٠عذبة٠ لذيذة٠شهية٠ لكنه فيما اننا نذوق تلك العذوبات ونفتكر افكاراً كثيرة في كيف نزيد حياتنا راحةً ونكثر لذاتها وانشراحها٠ واذا بدقيقة واحدة تُسلب وتُخطف منا ٠ وكل ما نكون قد تكلفناه من العنا والتعب ٠ من المصاريف والمشقة ٠املاً في ان نطيلها وان نعيش عيشة رغدة ذات تنعم وافراح يذهب ذلك جميعه سدًى *

* المثل السادس والثلاثون *

* في الجيوش المعسكرة *

ان جيوشاً اتجهت الى الحرب ٠وقد كانت قطعت بلداناً كثيرة وسارت اياماً عديدة ٠ واذا قد بلغ قائدها بان المعسكر الذي كانت عتيدة ان تعسكر فيه تلك الليلة كان محاطاً من الاعداء من كل ناحية كامنين في الغابات المجاورة والجبال القريبة لهلاك تلك الجيوش٠ وحيث كان الليل قد دنا وقرب فلم تؤذن الفرصة باجراء الحرب صدهم ولا بردهم من

كمينهم . فامر من ثمّ ذلك القائد لدى وصوله الى ذلك المعسكر في ان تحاصر العساكر وتصطف اجواقاً اجواقاً وتكمن في المتاريس احتياطاً من هجمة العدو وغدره . وازاد الغفر والحراس وامر بطوف غفير يطوف الليل كله وانهى بالا يخرج احد من المعسكر والا يبتعد عن اللواء المنطوي تحته . وبالاجمال امر بان تصرف الجيوش الليل كله تحت السلاح . والّا ترقد ولا تنام اصلاً ولا تغفل لحظةً واحدةً . فكل هذا كان مشقاً صعباً على جيوش قد كانت صرفت النهار كله في السير ومشقة الطريق . ومع هذا كله لم يشكُ احدهم ولم يتذمر . لانهم علموا وتاكدوا بان ذلك التحفظ والاحتياط كان ضرورياً ولا بد منه للآمان والطمانينة . وانهم اذا ما تهاونوا به وتقاعدوا عن اجرائه لا بدع من أن يُقطّعوا من الاعداء ارباً ارباً . فيهجمون عليهم ليلاً زاعمين بكون الجيوش غائصة في بحر النوم والنعاس *

لعمري ان هذه الجيوش قد اصابت في التعليل والبرهان . فلِمَ نحن الذين نوجد في ما كانوا عليه من الحال . لِمَ لا نبرهن ونعلل نظيرهم . على اننا محاطون

من اعداء الداء يفتهزون الفرص للهجوم علينا لكي ينزعوا منا حيوة انفسنا. فمنعاً لهذه البلية التي تتهددنا على ممر الدقائق والساعات يأمرنا الرب يسوع بان نسهر والاّ نغفل ابدًا وان نتسلح دائمًا باسلحة الامانة والاّ نبتعد من صليبه الذي هو رايتنا متبعين اغواء الحرية الخطرة بل ان نتحصّن ونكمن في متاريس الصلوة والاعمال الصالحة. وهل اننا نشكو ونتذمر من ذلك مدعين بان اوامره صعبة شاقة لا تُحتمل. فيا لعدم الانصاف ويا لقبح الكفران بالجميل والاحسان. أَما هو امرٌ واضح بيّن جليّ للعيان بانه ان لم نحترس ونتحفظ حسبما يامرنا يسوع المسيح. فلا بدع من ان نضحى فريسة للاعداء. لانهم يجدوننا مدون محافظة ولا تحصين راقدين بطمأنينة سيئة العاقبة. فغاية هذا التحفظ والاحتياط ما هو سوى امان خاص بنا. فمن ثم انما من قبل خلوص الجودة والاحسان من قبل الحنو والحب الصادق نحونا قد امرنا بذلك هذا المعلم الالهي. فاذاً من الموجب ان يوصبنا هذا الامر ممنونية نحوه ويوكد له عمق معرفتنا الجميل والاحسان *

* المثل السابع والثلاثون *

* في هرقل الملك *

لما استولى كسرى ملك الفرس على اورشليم القدس الشريف اخذ معه صليب المخلص الذي قد كانت وجدته القديسة هيلانة بطريقة الاعجوبة وبقي الى ذلك الحين محفوظاً على جبل الجلجلة . وقد كانت مضت اربع عشرة سنة والصليب تحت استيلاء المجوس الكفار عبدة الشمس والاصنام . فظهر بعد ذلك هرقل الملك فسعى بترجيعه ورده اليه فنال بغيته . فهذا الملك الغيور لعظم فرحه وسروره لحصوله ثانيةً على هذا الكنز الثمين اراد ان يرجّعه باحتفال وعظمة دينية الى المحل الذي قد كان سُلب منه *

فاصطفّت من ثمّ الطغمات الكنائسية حسب مراتبها واعيان الشعب وعظماء البلدة واهل المدينة حسب مقامهم ووظائفهم وشرعوا جميعاً في السير نحو الجلجلة وفي اخرهم كان الملك متشحاً ببرفيره الملوكي المرصع بالذهب والاحجار الكريمة حاملاً على عاتقه آلة فدائنا *

لكنّ ذاك المشهد الجميل المحرك الى العبادة والخشوع انقطع وتوقف من حادث عجيب وامر غريب . على انه غب ان قطع الجمهور مدينة اورشليم كلها ووصل الملك الى الباب المودي الى جبل الجلجلة . واذا به قد شعر فجاءةً بانه قد توقف عن السير ولم يستطع ان يخطو ولا خطوةً واحدةً . فحاول السير وكان سعيه عبثاً . فكأنّ يداً غير منظورة كانت تدفعه الى الوراء او كأنّ سوراً منيعاً كان يمنعه عن التقدم الى ما قدام *

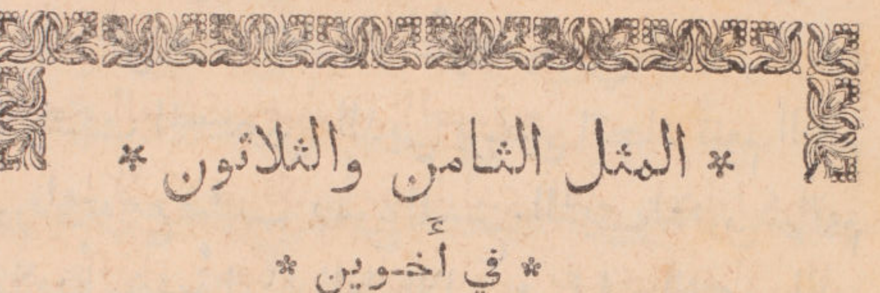
فهذه الاعجوبة المخيفة القت الحزن والكدر في قلوب الحاضرين لاسيما في قلب الملك . فانه قلق واضطرب وخاف وارتعد ولم يعلم ما الذي ينبغي فعله ويقتضي ابداوه . واذا بزكريا اسقف اورشليم . وكان هذا رجلاً باراً قديساً مستناراً بنور من العلا . التفت الى الملك وخاطبه قائلاً : اما تختشي وتخاف ايها الملك من ان هذه الملابس الثمينة وهذه الحجار الكريمة المزدان بها شخص جلالتك تناقض الصليب الذي تحمله على عاتقك وتغاير حال الذل والاتضاع الذي كان عليهما يسوع المسيح لما حمل هذا الصليب ذاته . فكانت هذه الكلمات اشعة نور وضياء استنار بها الملك واهتدى .

فنزع منه حالاً البرفير وكل علائم الملك . ولبس رداء كعامة الناس . ولما كان على تلك الحال اخذ يسير في طريقه . فتقدم ولا مانع يمنعه . فوصل اخيراً الى قمة الجبل وحاز من ثم العظمة والافتخار ونال الفرح والابتهاج بكونه اعاد صليب المخلص الى حيث كان قبل ان يستولي عليه كسرى ملك الفرس *

١ . ان هذه الحادثة التاريخية هي تاديب وعبرة لاولئك المسيحيين الذين يرومون اتحاد تنعم العالم ورفاهيته مع صليب يسوع المسيح . الذين يقدمون ذواتهم تلامذةً وخدمةً لهذا المعلم الالهي فيما ان الغوى والزهو والحيوة الشهوانية تضاد تضاداً بيناً هذا اللقب الذي يلقبون انفسهم به . لانه اذا ما اردنا ان نحمل صليبنا ونتبع يسوع المسيح كما يجب علينا ويليق بنا فينبغي ان نتصف حقيقةً بفضيلة التواضع . بفقر القلب . بالاماتة . بالتوبة بل ينبغي ان يدل ظاهرنا حقيقيةً على استعداداتنا الباطنة *

٢ . ان هرقل الملك توهم بانه يكرم صليب يسوع المسيح ومن ثمَّ فلكي يحمله علي عاتقه قد تزين بحلل فاخرة وبكلما تستطيع عليه الجلالة الملوكية من الفخفخة والعظمة والافتخار . لكنه علم وتاكد بانه يكرمه ويجله ويعظمه على

احسن نوع اذا ما كان على حال التواضع والفقر . وهكذا ترى كم وكم من الانام المقامين في الرتب والوظائف الكنائسية يتوهمون بانهم يشرّفون الديانة ويكرمونها بما يبهرجون به اعيننا من العظمة والبهاء . فيما انهم لكانوا يكرمونها ويشرفونها اجمل اكراماً واعظم شرفاً وهم على حال البساطة والاحتشام *



* المثل الثامن والثلاثون *

* في أخوين *

ان أخوين كانا قاطنين في مدينة واحدة . لكنهما كانا على ما اختلف وبان من الاحوال . فاحدهما بسبب حسد اقرانه وغيرتهم قد كان عُزل من وظائفه وتنزّل عن مقامه ورتبته واضطر من ثُمَّ ان يعيش عيشة مجهولة مستكنفاً في حاله . وقد كان قلّ ماله وضاع في حوادث كثيرة ومصائب مختلفة جرت عليه . وزد على كل ذلك . انه كان ذا منظر شنيع تأنف العين من النظر اليه وتتحاشى الناس الدنو منه . بل وقد كانت صورته تسبب له

غالباً الهزؤ والسخرية . لكن كل هذه البواعث لم تكن تحزنه الا قليلاً ولم تقلق افكاره ولم تعكر صفاوة باله . لانه لدى وصوله الى منزله كان يرى زوجته مُحبة له فتميل اليه وتراعي خاطره . واولاده محبوبين لطفاء اديبين وخدمه واتباعه جميعهم مملوين حباً وغيرةً نحوه وجميع اهل المنزل يبادرون حالاً الى اجراء ما يسرّ خاطره ويجد يه حقيقةٍ ما لذ وعذب وحلى وطاب من راحة المعيشة وعذوبة الحيوة *

اما الاخ الاخر فكان معتبراً لدى الناس اعتباراً يرضي حبه الذاتي . فكان غنياً ويتباهى مفتخراً بغناه . وكان الجميع يثنون المديح على ذكاء عقله وجودة نيرته . فحسن صورته وجمال هيئته ولطف حركاته جعل الناس ان تميل اليه . وكان من ثمّ ينجح في كل ما شاء واراد . لكنّ هذه التوفيقات جميعها لم تحظه ولم تسره . لانه لدى دخوله الى منزله كان يشاهد امرأته شرسة الاخلاق فظة الكلام غيورة سيئة الظن غضوبة شاذة الحركات . وخدامه واتباعه غليظي العقول خشني الاطباع وقحاء سفهاء يذيقونه مر المعيشة وينكدون كل ما ذاقه من الحظ والمسرّة خارجاً عن حضن عائلته *

فهذان الاخوان هما رمز وصورة الرجل البار والرجل الشرير . فالبار قد يكون عادماً الانعام الطبيعية وقد يكون عديم الحظ والسعد خالياً من التوفيق . محتقراً مهاناً تخدعه الناس وتمكر به . تثلبه وتطعن بحقه . لكنّ شهادة ضميره الطاهر النقي يعزّيه ويسليه عن كل شي ويذيقه فرحاً حقيقياً ولذّة سرّية حتى ولو كان في وسط المصائب والنكبات وتلاعب التقادير *

اما الرجل الشرير فقد يكون ذا عقل ثاقب ومال وافر ومقام واكرام متصفاً بصفات ظاهرة ترضي الناس وتميلهم اليه . وقد يحصّل لذات وافراحاً ويرضي رغباته ويكمل مراده ومناه . لكنّ مسرته ما هي الا ظاهرة خارجة . لان وخز الضمير الاثيم يميت فيه كل لذة وسرور *

فالرجل الشرير اذا ما كان في حال التوفيق والاقبال يجد ضمن نفسه عذاباً لا يدعه ان يسر ويفرح . فاذاً ما هي حاله اذا ما تركته العناية والقته في المحن والتجارب وابلته بمصائب ونكبات قد استحقها واستوجبها . ترى اين يجد التعزية . اين يجد السلوان *

قال احد العلماء الشهيرين ان المصائب والحوادث

المشومة المتأتية من خارج شأنها ان تحولنا نحو انفسنا وتردنا طبعًا الى داخلنا . فاذًا من واجب الضرورة ان نختلي داخلنا اختلاءً لذيذاً محبوباً. لكنه لا محل ولا وجود لمثل هذا الاختلاء ان لم يكن معدًا من يد الفضيلة . على ان تساهل الحب الذاتي لا تمنع في ان الانسان يوبخ ذاته ويلومها اقله ولو بعض التوبيخ والملام الذي يستوجبه *

قال صاحب الاقتداء . كن ذا ضمير نقي فتكون دائمًا مسرورًا . فان الضمير النقي يجعلنا قديرين على ان نحتمل مشقات عظيمة وبلايا جسيمة من دون ان نهلع ونأيس . اما الاشرار فلا يشعرون اصلاً بفرح حقيقي ولا يعرفون مطلقًا سلامة الضمير . واذا ما افتخروا مدّعين بانهم حاصلون عليها . فلا تصدقهم ولا تثق بمقالهم . لانه لا راحة للمنافق . يقول الرب الاله *

* المثل التاسع والثلاثون *

* في وليمة الحزن *

ان الملك دوميطيانوس قيصر قد اراد ان يلقي

الرعبة والخوف في قلوب بعض زعمائه حيث قد كانت
وقعت الشبهة عليهم واتهموا بخيانة ملك
فاستدعاهم الى وليمة فلدى حضورهم
ادخلتهم الخدام الى قاعة مزدانة زينة محزنة .
فلم يكن فيها سوى نور ضوء ضعيف كاد ان ينطفئ .
وعوضاً من المائدة كان نعش ميت . وعوضاً عن الصحون
وآلات السفرة كانت آلات العذاب والقتل . وعوضاً من
اقداح الشراب كانت آنية يُوضع ضمنها رماد الموتى
حسب عادة الرومانيين مكتوباً على كل منها اسم كل
واحد من المدعوين بحروف سود . فحارت المدعوون
واندهشوا فسكتوا وبهتوا واستولى عليهم الخوف والرعدة
فلم يفوهوا بشيء بل ولم يسمع في تلك القاعة سوى
صوت نوبة محزنة ولم يُرَ سوى مشهد شخصت
فيه بعض العبيد اقبح الميتات وافجعها *

فترى من يمكنه ان يصف ما المّ بالمدعوين من
الحزن والكرب وما استولى عليهم من الخوف والرعب .
فكل توهم اقتراب ساعة وفاته . وبعد هذا كله قد صدر
امر الملك بان يتوجه اخيراً كلٌّ الى حال سبيله بعد ان
اراهم بهذه العبرة الحسية المخيفة بان حيوة الخائنين

هي في قبضة كفه *

فقد يسوغ لنا القول ان الله تعالى يتصرف نحونا على هذه الصورة. لكنّ الغاية ابوية والمقصد صادر عن حب والدي . فانه تعالى يحضّر اوقاتاً امام اعيننا مشاهد الموت حتى ان ميتة من قد كان معنا وعاش بيننا تصرخ نحونا باصوات الحق قائلةً : اليوم لي وغداً لك *

فهذا الاله الذي يودنا ويروم خلاصنا يلقي بنا خوفه ويرينا سلطته علينا بصور محزنة . لعمري ما هي الامراض والاسقام سوى مقدّمات الموت العتيد ان يجعل جسدنا تراباً ورماداً . ما هو النوم والنعاس الذي يوقف ليلياً اعمالنا واشغالنا سوى عنوان توقفنا التام من كل عمل . سوى عنوان بطلان الحركة وملاشاة الحيوة . ما هو تعري الاشجار والنباتات من ازهارها واوراقها متى نشر الشتا الثلج والجليد والصقيع سوى صورة التعري التام الذي لابدّ منه متى انفصلت النفس من الجسد . فكل شيء في الطبيعة حتى الزهور ذاتها التي لا تثبت ولا تبقى سوى ربيع واحد والشمس ودورانها السريع الحركة والساعات

والدقائق التي تمر وتمضي بسرعة لا تقدّر ولا تلخص . كل ذلك يهتف نحونا صارخاً باننا نسرع خطواتنا نحو الموت . كل شيء يصرخ نحونا مكرراً القول على سماعنا اننا جبلة من صلصال اننا صنعة من فخار سريع العطب . اذا ما مسّته لطمة جعلته تراباً وهباءً . ولا يبقى لنا ارث نرثه في الرمس سوى الدود والفساد. فاذاً لماذا نتعلق بحب خيرات زائلة باطلة لانصحبها معنا . لماذا نركض وراء لذات خدّاعه لاتبقي فينا عند ساعة الموت سوى تأسف ، يمزّق الفواد حزناً ويفتّت الاكباد كمداً .

فهذه هي افكار واعتبارات خلاصية يقتضي استنتاجها واستخلاصها من ضروب وطرق محزنة يضعها الله تعالى كثيراً امام اعيننا *



* المثل الاربعون *

* في الحياء البشري *

ان احد قواد الجيوش عند ما هجعت الحرب وهدأت

الاحوال واستولى السلم في كل المملكة اضحى بدون شغل ولا عمل . فاراد ان يسوح في البلدان ويطوف في الاقطار فالتمس من ثم الاجازة من الملك مولاه وسافر . ففي اثنا سياحته دخل بلاد طائفة كانت على جانب عظيم من النفور والعدوان مع طائفته وبني جنسه . ولذا وُجد في احد الايام في حالة دركة خطرة . على انه لما كان في زيارة احد سادات تلك المملكة وعظمائها وكانت اذ ذاك جمعية حافلة فوقع الحديث على الامور السياسية واحوال الدول وتصرّف الملوك وارباب الاحكام الى ان وصل الكلام الى الملك ولي نعمة ذلك القائد الشاب . فوقعت جلالته هدفاً لسهام الطعن والقدح والثلب فقذفت بحقه الحاضرون وقرّفوه تقريفاً صادراً من عداوة جنسية قديمة العهد بين الطائفتين وضاعفتها بواعث حديثة تجددت بينهما . فاضحت من ثم حكومة ذلك الملك وادارته للامور ومقصده وغاياته واخلاقه ومزاياه الشخصية وادابه وذوقه وسائر تفاصيل حياته وسيرته موضوعاً للهجو والطعن والتهكم المر المؤلم *

فترى ما الذي احاق بذلك الشاب لدى استماعه

تلك الاقاويل المرة والطعن القادح ضد الملك مولاه .
فانه قال في نفسه اذا ما دافعت عن الملك مولاي
وغضبت وحنقت واظهرت امارات الانفعال
والاحتداد فتزدري الحاضرون بي ويوسعوني هزوءًا
وسخريةً فاصحى من ثم العروبة الجمعية . ولربما لزم
الامر ايضاً في ان اجرّد سيفي واخاطر بنفسي .
فاجتناباً لكل هذه البواعث واحتياطاً من وقوع ما لا
يُبتغى وقوعه قد تظاهر خلافاً لما كان عليه من
التأثيرات النفسية . فلم يقاوم سهام الطعن
والقدح المتجه ضد مولاه . بل انه بقي على حال
واحدة ولم تظهر على وجهه سوى امارات الهدو
والسكينة . وقد كان احياناً يتبسّم ضاحكاً ويزيد على ما
تفوهت به الحاضرون الفاظاً ذات معاني لئلا يظهر
على نفسه بان خضوعه للملك مولاه ما هو الا عن
عماه وجهل . فجارى الجمعية على اخلاقها وسايرها
على مزاياها . وغب نهاية الزيارة خرج فرحاً لنجاته
وتخلصه على احسن حال من تلك التهلكة
السيئة العاقبة *

فبلغ الخبر مسامع الملك فاستشاط غضباً وحنقاً . ولما

رجع ذلك القائد الى البلاط الملوكي وتجاسر على الامتثال بحضرة الجلالة الملوكية اوعبه الملك خزياً واحتقاراً وطرده من امامه بكل اهانة وعار *

فهذا ما يناله جم غفير من المسيحيين من سوء المعاملة لدى امتثالهم بحضرة يسوع المسيح مخلصهم * فهذا الاله المتأنس هو ملكنا ونحن عبيك فينبغي اذاً ان نقاوم مقاومةً صادقةً كل ما اهانه والحق به العار . وان نظهر ذواتنا في كل زمان ومكان باننا خدّامه وخاصّته وان نحتمل لاجله ونقاسي الاهانات والمشقات وﻻّ نصادق اصلاً على ما نُقال من الكفر والتجاديف ضله تعالى والاّ نسكت مطلقاً عمّا يُهان به مجك . فيا لعظم ذنب مسيحيين كثيرين ويا لقبح اثامهم . فانهم في اوقات كثيرة وفرص عديدة يختشون من ان يظهروا بانهم مسيحيين بل ويتظاهرون بانهم ليسوا مسيحيين *

انك تجد في جمعية حافلة اناساً لا دين لهم يتفلسفون متسافهين بدون استحياء ولا خجل على معتقدات الديانة . فيذكرون بعضها ويحتملون بعضها . فيلغون هذه ويبثون عوضها عقائد تلقّنها افكارهم ذات الجنون . فانهم يحاربون الديانة التي تعتقد بها

ويجعلونها هدفاً لسهام كفرهم وضلالهم . فتارةً ينسبون اليها الرفض واخرى يحرّفون معانيها ويجعلونها موضوعاً للهزؤ والسخرية حتى وانهم حال كونهم مبتلين بسرسام نفاقي يتقحّون على مشترعها الالهي ويسنّون نبل السنتهم ضدّ لاسمه السجود . فترى ما الذي تبديه حينئذ . وما الذي انت فاعله . فخوفاً من ان تعدّك الناس ساذجاً وتحسبك رجلاً اميّاً قصير الباع والبصيرة مترفضاً في مذهبك اذا ما تجرأت وقاومت مثل هولاء السفهاء مدافعاً عن ديانتك . فانك تسكت وتصمت بل وقد تتبسم ضاحكاً وتشاركهم في احاديثهم لكيلا تظهر عدم المصادقة لهم او تبان كأنك شككت باقاويلهم . وآسفاه لقد برُز القضا ضدك ونادي الانجيل بدينونتك وشجبك حيث يقول السيد له المجد . من يستحي بي قدام الناس فاني استحي به قدام ابي الذي في السماوات *

انك تحضر الذبيحة الالهية مع رفقائك وخلانك . فمن الواجب ان تسجد راكعًا لدى الهياكل المقدسة وتنشغل بالصلوة والتامل محتشماً اديباً

متخشعاً متورعاً . فضميرك يؤكد لك ما نقوله . وانت تجيب مصادقاً عليه . لكنك اذا ما تصرفت على هذه الصورة فتعدك الناس متعبداً مترفضاً من اهل الخرافات فتهزاء بك رفقاؤك وتزدري بك عشراؤك الذين يقفون حينئذٍ على اقدامهم ويجولون بنظرهم في كل ناحية المعابد المقدسة . ويحدقون نظرهم في تي وتلك متسامرين ضاحكين متمازحين كأنهم في مرسح مشاع . فخشيةً من وقوع الازدراء بك فانك تمتنع من اتّباع نور الضمير . بل انك تقتفي اثار هولاء الاثمة الكافرين وتشاركهم بشكوك يلقونها في افكار الناس . فيا للجبانة القبيحة . قل لي ناشدتك الله . ما الذي تؤمله من معلمك الالهي الذي تخونه مداجياً على تعاليمه . فاسمع القضا والحكم عليك : من يستحي بي قدام الناس فاني استحي به قدام ابي الذي في السماوات *

انك اذا ما وجدت بين اقوامٍ سفهاء من اهل الخلاعة والفساد . اقوامٍ حناجرهم قبور مفتحة يتسافهون في الكلام ويتقحون في المقال متلفظين بالفاظٍ سمجة

ذات معاني ملتبسة . قد سنّوا السنتهم شرًا وطعنوا في حق الاخرين. فانك قادر بما انت عليه من اهابة المقام واعتبار الحال وما انت عليه من السن ان تكبح افواههم وتردعهم من تلك الالفاظ المسمّة والاحاديث السفيهة . وما ذا الا من الواجب اللازم عليك .لكنك تفتكر حينئذٍ قائلاً :ترى ما الذي تفتكر الناس بي . وما الذي تقوله عني . فيعدونك موسوسًا مضطرب الضمير جزوعًا خرفانًا رجلاً خشن الاخلاق عديم المسايرة متوحشاً . فانك ترتعد خائفًا من ان تتوهمك الناس على هذه الصورة . ومن ثم لئلا تقع في افكارهم كذا موقعًا فانك تسكت وتصمت ولا تظهر على ذاتك النفور من مثل هذه الاحاديث المقوتة . لعمري ما هذا الا اثم فظيع *

لكن فلنفرضنّ بان لاسلطة لك على كبح افواه هولاء الجهلة السفهاء . فاقله قد يمكنك اظهار امارات الغيظ وعدم الرضا وان تصمت صمتاً يدل على عدم مصادقتك لاقاويلهم وتظهر على نفسك بانك لاتشاركهم باحاديثهم . لكنك تقول في نفسك قد تعدني الناس جاهلاً ساذجاً وتحسبني اميًا ان لم اتفوه

بكلمة واحدة . فتظهر بذلك انك رجلاً مسيحياً وانك تمقت كلما يهين الله تعالى ويثلم الحشمة والاداب ومحبة القريب . ولا بأس بافكار من ترجم افكارك على خلاف ذلك . فلا تعباء بهم ولا باقاويلهم . فان الاختشا من مثل هولاء الاثمة الاشرار لا يمنعنك اصلاً عن ما تفرضه عليك الديانة والاداب . ومع ذلك اننا نرى بان مثل هذه الاوهام تصدك وتمنعك فلكي تظهر على نفسك اللطف والمسائرة وانك من اهل الذوق والصفا وانك شروح مزوح فانك تنشرح باقوال خلانك . بل وقد حركتهم على ذلك بنزولك معهم لميدان الخلاعة . اي انك تستحي بيسوع المسيح قدام الناس . فلا تنذهل متعجباً اذا ما استحى بك يسوع المسيح لدى ابيه السماوي في يوم الدينونة الرهيب *

* المثل الحادي والاربعون *

* في رموز الالام والشهوات *

انه اذا ما حاصرت الاعداء المدينة . فتسهيلاً لأخذها

وافتتاحها يجتهدون بايقاع المخابرة والدسائس بينهم وبين البعض من سكانها . لانه يوجد غالبًا بين اهل المدينة اناس عديمو المروة سيمتهم الخيانة والمكر يبيعون وطنهم بالارتشاء والمال . فانهم يتعاهدون مع الاعداء وتجري المراسلات السرية بينهم فيعلمونهم بحال البلد والقلاع والقوات والذخائر . ويتفقون معهم على طرق بها يسلمونهم المدينة ويدخلونهم اليها ويولونهم عليها . فقد ندر سقوط مدينة مثل هذه تحارب من داخل ومن خارج . فمع ذلك قد يتفق احيانًا وجود والي ذي همة ونشاط حسن التيقظ والسهر على ولايته فيطّلع على تلك الدسائس وعلى خيانة اولئك المكّارين فيقبض عليهم ويغللهم بالقيود . واذ يقطع على هذا الوجه والصورة اتصالياتهم مع العدو فيلاشي عمليتهم ويبطل حيلهم وخداعهم *

ان قلبنا هو قلعة تحاصر من اعداء اقوياء الداء وهم العالم والجسد والشيطان . فانهم يهجمون عليه هجمات قوية ويثورون عليه ثورانًا شديدًا . ومما يُخشى منه ويخاف حدوثه من افتتاحه واستيلائهم عليه هو وجود مخابرة سرّية ومراسلات خفيّة . على ان اميالنا وشهواتنا

ما هي الا اقوام خائنون مكارون يتفقون سراً مع اعدائنا فيولّونهم على قلبنا فمن ثم ينبغي له ان يسهر ويستيقظ منتبهاً لكي يكتشف على مكائد اعدائنا الخفية الذين هم ضمنه. فحينئذٍ اذا ما غللهم بالقيود. واعدمهم حربةً خطرةً ذات عواقب مشومة. فانه يسلم من مفاعيل مراسلاتهم ومخابراتهم مع اعدائنا الخارجين ويمنع افتتاح حصن قلبنا ويوقيه من الدسائس الخطرة الموذية *

فاذا ما العربي كانت خيول عربيته جموحة جفولة فيكبحها باللجام مقصرًا العنان فيستولي على كل حركاتها ويسوقها كيفما شاء واراد. لكنه اذا ما عيي من المصارعة معها ولم يستطع كبح قوتها واطلق لها العنان. فحينئذٍ تجري تلك الخيول بعزم لا يلخص. فتركض وتقفز وتهجم ولا يعلم الى اين تتجه. ولا ماذا تريد. فتطوف من كل ناحية الى ان تسقط متدهورةً في هاوية او تلاطم في حائط فتتهشم وتنكسر العربية وتقتل من كان راكباً فيها *

فهذه الخيول الجموحة هي رمز لامنا وشهواتنا فهي جموحة قوية عزومة. فمن ثم ينبغي كبحها على ممر الدقائق

والساعات ويقتضي ضبطها واستشارها . فاذا ما عيينا عن مقاومتها وتغافلنا عن السهر المقتضي للاستيلاء عليها فقد هلكنا لا محالة . فانها تسحبنا بعزم وتجرنا بقوة الى فساد وآثام يُستحى منها . وتدهورنا في حماة الادناس وفي فواحش فظيعة . فلا يصدها حينئذ العقل ولا الديانة ولا شرف الذات ولا غايةً اخرى حميدة عن الثوران والهجوم ولا شي يوقفها في سيرها الجموح *

ان اولاداً يرون في سيرهم ارضاً خضراء تغطّيها الزهور ويفوح فيها شذا العطور ورائحة الرياحين . فامتزاج ازهارها مع غض اخضرارها يسبي البصر لدى النظر اليها . فترى اوليك الاحداث يطربون فرحاً ويهنئون انفسهم على اكتشافهم على تلك المناظر الجميلة فيبادرون الى الراحة على ذلك الحشيش الغض اللين الناعم ويحزمون باقات الزهور المتلالئة . لكنهم حالما ذاقوا ما أمّلوه من اللذة واذا بهم قد شعروا بلدغ الافاعي المخبوّة تحت تلك الزهور * فهكذا تخدعنا شهواتنا وتمكر بنا الامنا . فشأنها

ان تقدم لنا ملذات وملاهي . فيبان لدينا اذا ما طوّحنا انفسنا بها اننا نتمتع باعظم الملذات ونذوق اكمل المسرات . لكن القلق والاضطراب والغم والاكدار ونخز الضمير والمصائب تذيقنا حالًا مر عذاب يلاشي فينا ذكر كل لذة سابقة *

فمن شأن البخل ان يغشنا ويخدعنا اذا ما راينا صناديقنا مملوة ذهبًا وفضة . لكن لعمري ان رغبة احتشاد الاموال والخوف على فقدها وخسرانها . الخوف الذي يعذب البخيل ليلاً ونهاراً يجعله اتعس الناس وانكدهم حظاً في وسط كنوزه المجموعة *

ان من احب الانتقام والاخذ بالثار يستولي عليه ميله فيتوهم لذةً لا توصف في ما يرومه من الانتقام من عدوه . لكنه اذا ما اروي غليله فيضحي قلبه فريسة القلق والاضطراب والخوف والرعب ونخز الضمير فتضحى حياته ممزوجة بكل عذاب *

فان المخبرة تؤكد لنا جليًا بان كل شهوة ولذة انما هذه عاقبتها وهذه هي غايتها ونهايتها *

فان لم يُحصر النهر ضمن سريره بجدران مرتفعة فانه يطوف متدفقاً على البراري والبساتين فيخرب

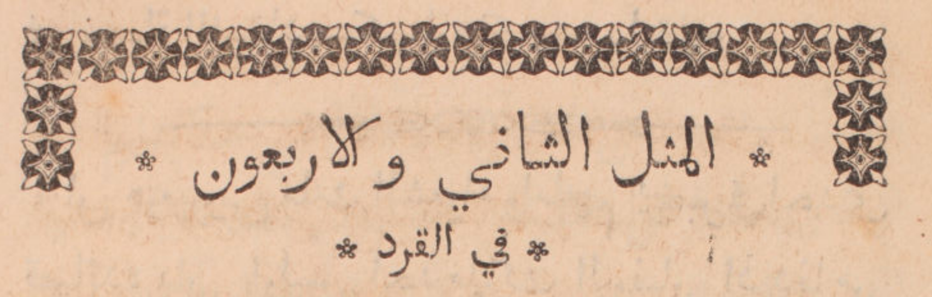
كل ما كان قدامه ويزعزع البنا والعمار ويهدمه ملاشياً . فنجاةً من هذ الآفة قد يُنبي سدّ يقاوم قوة المياه ويصدّها من الطوفان فحينئذٍ تلك المياه ذاتها التي كانت تسبب سنوياً خراباً فظيعاً اضحت تاتي بمنافع ثمينة ومحاصيل كثيرة تقوم بها تجارة الاهالي المجاورة فيقتضي من ثم المحافظة على تلك الجدران وابقائها على احسن حال . لانه اذا ما انثلمت ولو قليلاً فتتحول قوة المياه الى تلك الجهة الضعيفة فتخرقها وتتدفق تلك المياه ثانيةً في البرية فتخربها *

فيا ايها الخطاة الذين تشعرون في نفوسكم بخراب صادر عن ميل منحرف مفسود بادروا الى توقيفه وحجزة بقيامكم جدراناً وحيدة تضبط تلك الشهوة . فهذه الجدران تقوم في المثابرة على الصلوة . والتامل . والتقدم المتواتر الى اقتبال الاسرار المقدسة والاعمال الصالحة . لكنه ينبغي ان تواظبوا بعزم وثبات على ممارسة الطرق الموصلة للخلاص . والتي تجتنون منها اكثر فائدة واجزل نفعاً لنموكم الروحي . فاذا ما رجعتم عن عزمكم وتراخيتم متوانين فان شهواتكم تتغلب عليكم وتغرقون

في حماة الفساد كما كنتم سابقًا *

ان هوميروس ملك الشعراء وامامهم يخبر في احدى قصائده بان اوليس احد ملوك اليونان اذ دنا من جزيرة فيها ساحرة فتّانة تُدعى شيرشا فلسوء حظه رأى جميع رفقائه قد تحوّلوا الى صورة حيوانات من تلك الساحرة الملعونة . واما هو فلم ينجُ ويخلص من تحويله الى صورة غير بشرية الا بقوة حشيشة قد كان حباه اياها الاله المشتري *

ان هذا الاختراع الشعري يبيّن لنا ايضًا رمزًا حسيًا عن الشهوات . فبالحقيقة من شأن هذه الشهوات ان توطي الانسان وتذله وتجعله كالحيوانات المنجذبة من مجرد ميلها ولا تهتم سوى بان ترضي شهواتها الحيوانية . فنحن لا نستطيع ان نجتنب هذا الذل والهوان سوى باستعمالنا العقل والصواب الموهوب لنا من الله تعالى المرموز به بتلك الحشيشة الكريمة التي حباها الاله المشتري للملك اوليس *



* المثل الثاني والاربعون *

* في القرد *

ان احد المصورين الايطاليين كان بامر اسقف الابرشية يصور تصويرًا وينقش نقشًا على حائط الكنيسة الاسقفية. وقد كان مضى ايام عديدة وذلك المصور يشتغل دائماً في ذلك النقش والتصوير واذا في صباح يوم ما حضر الى الكنيسة فرآى كل عمله منزوعًا مخروبًا مشنّعاً فكأنّ يداً مجهولة جرّت عليه اقلاماً فنزعت هيئته. فلا حاجة لتبيان ما استولى على ذلك المصوّر من الغم والكدر فاستشاط غيظاً متوهمًا بان احد حسّاده دخل الكنيسة سراً وعامله بمثل تلك المعاملة. فتشكى متذمرًا من الاهانة. فحينئذٍ شار عليه اصحابه بانه كل ليلة عند انصرافه من شغله يدور في الكنيسة كلها ويتبصر في كامل جهاتها لئلا يختفي احد فيها ثم يقفل الباب ويذهب الى محله. فعند المساء سار بموجب ما شير عليه. فعب ان اصلح ما خرب من العمل قفل الباب وتوجّه الى منزله. لكن يا لعظم غيظه وشدة حنقه لما في غد ذلك اليوم حضر

الي الكنيسة ورأى التصوير مخروبًا منزوعًا كما جرى واتفق في اليوم الماضي . فافتكر بان وكلاء الكنيسة وحرّاسها اتفقوا مرتبطين مع اخصامه واعدآئه فخامروا عليه وخانوه بمثل هذه الخيانة . فبعد ان حنق واغتاظ وشتم اهل التهمة واهانهم قصد في ان يختفي هو نفسه ضمن الكنيسة ويمضّي ليله فيها عسى ان يقبض على من تعدّى عليه *

فاجرى رأيه في العمل . فكمن في جهة من المحل وجرّد اسلحته راصدًا لعدوه قاصدًا ان يذيقه ما من شانه ان يردهُ عن سبل التعدي . فمضّى الليل كله ساهرًا فلم يرَ احدا . وعند بزوغ الفجر اراد الذهاب الى داره واذا به قد سمع صوتًا فصغي وانتبه ورقب راصدًا ليعرف ما هو سبب ذلك الصوت مستنظرًا وقوع احد حسّاده بين يديه لكي يحسن استقباله ويعامله بما يستوجبه . واذا به قد راى مصوّرًا تقدّم نحو العمل . لكنه كان مصوّرًا جديدًا مختلف الجنس والنوع . لانه لم يكن من جنس البشر بل كان قردًا يخص احد جيران المحل . فهذا المصور الجديد قد كان راى المصور الاول يصور حيطان الكنيسة وينقشها بالنقوش فتحركت فيه الهمة

وجادت القريحة فتاق الى العمل فعمد من ثم على الحضور كل يوم صباحاً الى الكنيسة لكي يمرّن قريحته في تلك النقوش الاولية . فكان يدخل اليها من طاقة عالية كانت تُترك مفتوحة ويصعد على الدرج المنصوبة الى المصوّر يجلس فوقها ويأخذ القلم ويطمسه في اي لون كان ويمرّه على تلك النقوش والتصاوير . فعزم في ذلك الصباح حسب مألوف عادته على تكرار العمل فصاح به ذلك المصوّر وطرده خارجاً *

ان هذا القرد يمثّل لنا تمثيلاً طبيعيًا فلاسفة العصر الذين ما هم سوى قرود يقلّدون الاله . فانهم بعد ان تاملوا هذا العالم الموجودين فيه ارادوا ان يوجدوا عالماً اخر شبيهاً به . فقالوا ما الذي يلزم لذلك سوى الهيولى والحركة . فاخذوا من ثم الهيولى والحركة كاتخاذ ذلك القرد القلم والالوان ورتبوا تلك الهيولى وقسموا تلك الحركة حسبما توهمت مخيلتهم نظير القرد الذي كان يمر القلم ويأخذ الالوان كيفما شاء واراد . فاوجدوا من ثم عالماً حديثاً جاء بفضل اوهامهم مطابقاً للعالم الحقيقي وفق عمل القرد لتلك النقوش ولذلك التصوير الاصلي . فمن حظ هولاء الفعلة الاذكياء انهم لا يباشرون عملاً سوى بمخيلتهم

وتصوراتهم ولا يستطيعون تمرين قريحتهم على عالم حقيقي كما اتفق لذلك القرد لكي يعمل في عمل ذلك المصور . فالله عليم بما كانوا يفعلون وكيف كانوا يرتبون بهباء مشبكة وكتل الية وهلم جرّا من الاوهام والاضاليل. لعمري فاية خاوية خالية لكانوا اقاموها مقام هذا العمل العجيب . مقام هذه الدنيا الغريبة الاحكام التي كل اجزائها ترتبط بحكمة تفوق الوصف والادراك فينتج عنها كمال الترتيب وتمام النظام . فقصاصا لوقاحة هولاء المهندسين الجهال يقتضي ان يُحكم عليهم بالسكنى في عالم موافق لاوهامهم ومصنوع ومنتظم وفق تخيلاتهم *



* المثل الثالث والاربعون *

* في مريضَين *

ان ابًا مرض ولداه فاسرع بطلب الطبيب . لان اصغرهما كان يشكو الامًا مرّة لايطاق احتمالها . فحضر الطبيب حالاً وفحص حال المريض فامر له بادوية استصوبها لتلك العلة . ثم اتجه نحو الاكبر وسأله عن

حاله . فاجابه بانه على احسن حال بل ويظن بانه قد حاز الشفاء . لانه لم يعد يشعر بألم البتة . اما الطبيب فبعد ان فحصه وجس نبضه امر له بعلاج وخرج من عنده . فتبعه ابوهما وقال له : اني لا اخشى على الولد الاكبر كأنه قد توجه الى العافية وما رأيته عليه من الراحة والسكون انما هو علامة تسرنا وتؤملنا بتقدمه الى الصحة . لكنني اخاف على الاصغر . فان عزم المرض وشدة النوبة التي اعترته في هذا الصباح تدلنا على سوء احواله وتقطع املنا من شفائه . فحينئذٍ اجابه الطبيب قائلًا لا تخف ولا تخش ولا تقلق افكارك عليه . فيا ليت اخاه لم يكن على اقوى خطر منه لكنت اضمن لك حينئذٍ صحة كليهما . فاندهش الاب من هذا الكلام وقال له . ما الذي تقوله يا مولاي . قد يلوح لي بان الابن الاصغر هو على اكثر خطر من الاكبر . فاجابه الطبيب قائلًا : لقد اخطأت رأيًا . اي نعم ان الابن الاصغر يبان بانه يقاسي الامًا مرّة لكن هذه الالام نفسها هي اكبر دليل يطمئنك على سلامته . فبما انه يحس بالالم فهذا دليل واضح بان القوة الحيوية لم تزل على عزمها ونشاطها . وما هو عليه من مقاساة الالام

المرة ما هو سوى نوبة موافقة تأتي به الى الصحة والعافية. فمن ثم لا امل بشفا اخيه نظير املي بشفائه . فانه لا يشكو الماً ولا يقاسي وجعاً . فما هذا الا لان القوة الحيوية قد ماتت فيه . فان حواسه تلفت وعادت غير قابلة التأثير . فما هو عليه من الراحة والسكينة ما هو سوى انحلال تام في الطبيعة ولقد اقول لك بكل غم وكدر اني لا افتكر بانه يبقى للغد حيًّا *

فمن معرفة هذين المريضين يسهل علينا الوقوف على خاطئين مختلفي الاحوال . فان احدهما تراه مضطرباً قلقاً ومعذباً من نخز ضميره ويشعر بوقر اثامه . فخطاياه امامه في كل حين لا تدعه ان يذوق راحة البتة . اما الاخر مع انه اكثر اثماً واقبح سيرةً فتراه بغاية الراحة والاطمئنان فيتمتع بلذات الحيوة بدون خوف ولا قلق . فان ضميره لا يوبخه ولا يقلقه اصلاً . فو الحالة هذه فمن منهما اسوأ حالاً بامر خلاص نفسه . لا شك بان ثانيهما في خطر مبين . لان تنهدات اولهما الكاوية وحدّة اوجاعه ومرارة توبته وتوجعه واضطرابه وخوفه كل ذلك يدل على عظم اثامه . كما وان هذه الاعراض بكمالها تدل في الوقت ذاته

بان الايمان لايزال حياً في نفسه. فمن ثم هذا الايمان يقلق ضميره بتوبيخ باطن وما يقاسيه من شدة الالام والاوجاع ما هو سوى نوبة خلاصية تأتي بثمار التوبة والارتداد. اما الاخر فانه فيما يظهره من الراحة والاطمئنان وصفاوة البال والفرح والسرور يعطي سبيلاً للتوهم بان ضميره لايحس بوقر خطاياه ولا يوبخه على آثامه. فبالحقيقة ان ضميره لا يكلمه بذلك لكن ذاك الصمت المشوم ما هو الا دليل واضح بان الايمان قد انطفئ في نفسه. فعدم وجود الايمان في قلبه جعله لا يحس بقبح حاله وبشناعة ما هو عليه من الاخطار. والحال حيث ليس ايمان فلا امل للخلاص *

* المثل الرابع والاربعون *

* في شاب كرجي *

ان شاباً كرجياً حضر يوماً الى القسطنطينية لكي يشاهد عماً له مستخدماً في سراية الملك املاً بنوال المساعدة من لدنه. فوصل اليها والليل قد اقبل فاجلسه عمه معه على السفرة. فرأى ان الولد الذي لم يرَ في

كل حياته سوى جبال بلاده قد هام شوقاً وغراماً لمشاهدة جمال القسطنطينية وبهاء السراية الملوكية. فمسكه عمه بيده وادخله الى السراية وسار به من محل الى اخر وحيث جلالة الشوكة الخاقانية قد كانت وقتئذٍ توجهت ركابها السنية الى اطراف مصر القاهرة فسنحت الفرصة لذلك الكرجي في ان يجول في كامل جهات السراية ويري ابن اخيه كل جمالها وبهائها. لكنه قصداً بالمزاح جال به كل تلك الاماكن بدون ضياء حتى ان ذلك الشاب لم يستطع ان يرى شيئاً. فمع ذلك كان عمه يصف له وصفاً جلياً مفصلاً كل ما ازدانت به تلك السراية من الجمال والبهاء ومن ظرافات البنا وحسن التقسيم وبديع الصناعة قائلاً له: تامل هذه القاعة وتلك العواميد الرخامية وذلك النقش وتلك البركة وذلك الشدروان. فان هذا من بديع الصنائع ومن ملح الدهر. تامل هذا المنظر الجميل وهذه الشبابيك التي تكشف على البر والبحر فترى القسطنطينية كلها بلحظة واحدة واقعة تحت نظرك والمراكب بخارية وغير بخارية تملئ الميناء وتغطي البحر مكوّنة مدينة ثانية تحملها الامواج.

تامل هذه الجنائن والحدائق المزدانة باحسن الاشجار واجمل الازهار. تامل هذه الاقنية وهذه الحياض والبرك. تامل فرش القاعة من الطنافس العجمية والاقمشة الافرنجية. تامل الخز والديباج الموشحة به الحيطان. تامل الاستار المسبولة. فان هذا مما يدهش العقول ويذهل الالباب. تامل هذه الساعات ما اجملها منظراً واتقنها واحكمها صناعةً. فان بعضها يدق الدقائق والساعات وغيرها الاشهر والسنوات. أفما ترى هذه المرايا الجلية ذات البراويز الثمينة. وهات الان نرحل من هنا وندخل الى محل العجائب الطبيعية. تامل انواع السمك من كل الالوان والاجناس. تامل هذه الصفد. تلك النباتات. هذه الطيور. تلك الحجار الكريمة. هذه الاشياء المعدنية. تامل كل ما وقع تحت نظرك واسدِ حمداً لباري البرايا على ما ابدعه من عجيب مخلوقاته وغريب مبرواته واسدِ الثنا على همة صاحب الشوكة والاقتدا سلطاننا المعظم الذي بايام دولته الجليلة ازدانت هذه السراية بما طاب منظراً ولذ وصفاً *

وعلى هذه الصورة وصف ذلك الرجل لابن اخيه

كل جمال السراية الملوكية ومحاسن الاعتاب الهمايونية ٠
اما ذاك الشاب فالتفت الى عمه قائلاً : لعمري
ان كلما تصفه لي جميل ظريف . لكنني لا ارى شيئاً
من كل ذلك . فاني اثق بكلامك واصادق
على مقالك واستوثق بصحة كل ذلك لمجرد قولك لاغير .
فبعدما جال الرجل بابن اخيه في كل تلك الاماكن
شيّعه مودعاً وسأله في هل انه انسر من تلك الفرج .
فاجابه ابن اخيه قائلاً . لقد جذلت فرحاً لحسن
وصفك كل ما تنطوي عليه تلك السراية من المحاسن
الفريدة العجيبة والاشياء الثمينة البديعة . ولا شك
بان النظر اليها اجمل من استماع وصفها والاطناب
بها . واني بغاية التوقان الى ان يبزغ النهار لكي اشاهد
بناظري ما قد سمعته عن هذه الاعاجيب . فقال له عمه
انشاء الله تعالى غداً صباحاً نشرع في الجولان حسبما
تبتغي وتريد . فلا حاجة للقول بان ذلك الشاب بادر غلساً
لدى عمه وبسط الرجا لديه بان يقوم في وعده . فلما
لاح النهار وانكشف الظلام عن الابصار نهض الرجل
مسرعاً لمرضاة خاطر نجل اخيه . لعمري من يستطيع ان
يصف ما احاق بذلك الشاب من الحيرة والاندهاش

وما استولى عليه من الحبور والانشراح لدى مشاهدته تلك المناظر الباهرة والملح العجيبة الفاخرة. فيا ما اعظم التأثير الذي اثره به ذلك المنظر البهيج. فرام ان يكون كله اعيناً لكي يرى في وقت واحد معاً كل ما وقع تحت نظره من المناظر البهية والمحاسن السنية. فبعد ما تأمل برهةً واندهل متحيراً واستولت عليه الدهشة فسكت ثم التفت الى عمه وقال. مهما كان عندي من سمو التصور وعلو الافكار بما قد وصفته لي البارحة عن هذه المحاسن العجيبة لاشك كاد الا يكون سوى بعض الاشارة عمّا اراه الان عياناً. شتان بين لذةٍ نشأت عن استماع ما وصفته لي وبينٍ ما اذوقه الآن من المسرة لدى تأملي هذه الاشياء عياناً ❊

لاشك اننا في هذه الدنيا على حالة تشبه حال ذلك الشاب الكرجي عندما وصف له عمه مفصلاً محاسن السراية الملوكية قبل ان يريه اياها عياناً. اي نعم ان الديانة تصف لنا على هذه الصورة جمال السماء. وبهاء السعادة المعدّة لنا. واننا نومن مصدقين بكل كلامها. لكنه مهما تسامت افكارنا وتعالت تصوراتنا واستحضرنا في

عقولنا تلك المحاسن العجيبة والسعادة الغريبة . فمع ذلك شتان بين تصوراتنا وبين الحقيقة . على ان الحقيقة تفوق وتعلو ذلك فووقًا يفوق ادراك العقول . لعمري اي اندهاش وانذهال اي تهليل وحبور لا يحيق بنا ويستولي علينا عندما نلج مقر السعادة اي فرح لانشعر بهِ عندما ندخل بلاط ملك الملوك ورب الارباب . فيا ما اعظم الفرق الواقع بين التأثير المتأتى عن صدق الايمان الثابت بتلك المحاسن العديمة الوصف وبين ذلك التأثير الذي نشعر بهِ لدى مشاهدتها واستيلائنا عليها *

* المثل الخامس والاربعون *

* في الساعة *

قد اراد رجل ان يخرب ساعته ويفكك كل اجزائها غب ذلك اراد ترجيعها وردها الى حالتها الاولى . وكان ذلك منه على ما يأتي . فانه شرع في ان يخلط معًا الدواليب والزناجير والابر والزنبلك . ثم انه وضع الساعة على طاولة امامه وبدأ يلقي ويرمي

ضمنها على وجه الصدفة والاتفاق تلك الاجزاء والالات المختلفة كيفما جاءت . وغب ان انتهى من القاء تلك الالات ورميها اخذ يبحث في اذا كانت اضحت محكمة النظام واذا كانت من ثم تمشي وتدور على ما ينبغي . فتأكد بانه لم يكن شيء من ذلك . فلم يندهل ولم يتعجب من عدم نجاح مسعاه تلك المدة الاولى . فكرر العمل ثانيةً وعوضاً عن انه يرمي تلك الالات ضمن الظرف واحدةً فواحدةً . القى كثيراً منها دفعةً واحدةً . على انه كان تارةً يلقي اثنتين اثنتين واخرى ثلاثةً ثلاثةً وغيرها اربعاً اربعاً . وتارةً كان يلقيها كلها معاً كيفما جاءت . فلم ينجح مسعاه اكثر من المرة الاولى . فانه رأى دائماً عدم النظام في الظرف ولم يرَ قط بين تلك الالات ائتلافاً ولا ارتباطاً ولا حركة . فلم يفشل ولم ييأس بل انه صرف النهار كله في هذا العمل المستغرب مخالفاً القاء الالات ورميها في ذلك الظرف على انواع شتى وانحاء مختلفة . لكنه لم يستطع ان يضع آلةً واحدة في محلها . بل انه لو اتفق ورأى ذلك مرةً . فكان يعكسه في عمله الثاني ويحيد تلك الالة عن محلها الاصلي الى محل اخر *

فيا ايها القاري . لاغرو بانك تقول في نفسك ان ذاك الرجل ما هو الا مجنون . لعمري ان نتيجتك صوابية وواقعة في محلها . اي نعم انه انسان مختل العقل . لكنه بما ان جنونه كان هادئًا راكنًا : على انه لم يكن يضرب ولا يقتل ولا يؤذي انسانًا فلم ترد اهله حبسه في دار المجانين . فمن ثم كان يعيش معتوق الحرية في بيته . لكنك اذا ما حكمت على هذا الانسان بانه فاقد العقل مجنون لكونه اراد تصليح الساعة ووضع كل الة منها في محلها وذلك بالقاء تلك الالات ورميها في الظرف كلها معًا كيفما جاءت . لعمري ترى ما الذي يقتضي ان نحكم به على اوليك الانام الذين يدّعون بذواتهم بانهم فلاسفة ويجادلون مماحكين بان العالم كله والسماء والارض وغلاتها والاشجار والاثمار والازهار والمعادن والحجار الكريمة والانهر والابحر والحيوانات حتى وانفسنا ذاتها قد تكوّنت باجتماع اجزاء هيولية قد انضمت وارتبطت على سبيل الصدفة والاتفاق . وان تلك الاجزاء المتحركة والمتطايرة من دون نظام ولا ترتيب بل حسب الصدفة والاتفاق فانها بقدر ما تصادمت في بعضها

وتعلّقت على انواع كثيرة قد امتزجت واختلطت اخيراً واندمجت على هذا النظام وعلى هذا الترتيب الذي نشاهدها عليه . وان حركات الكواكب المنتظمة وتوالي الفصول الثابت وخصب الارض ونمو الحيوانات هو ثمرة دقيقة واحدة قد انتظمت فيها كل اجزاء الهيولى انتظاماً محكماً لكي تبدي وتظهر كل هذه العجائب والمستغربات التي نراها في الكون . قل لي ناشدتك الله ما الذي تحكم به على اوليك الذين يدّعون بانفسهم انهم فلاسفة . اما انهم يبانون لديك اجن واحمق الوف الوف مرات من هذا الرجل الذي ادعى بانه يصلح الساعة . اي نعم انهم يفوقون جنوناً عليه بقدر ما ان ايجاد العالم يفوق ويعلو تصليح ساعة وتعميرها *

لكنك قد تستعلم مني مستفهماً في هل انه توجد اناس هكذا مجانين حتى انهم يتصورون مثل هذه التصورات . لعمري ما هم الا كثيروا العدد . فلا اذكر لك منهم الّا واحداً قد بيّن افكاره بهذه الالفاظ قائلاً :

اعلم انه اذا كانت امكانية ايجاد الكون على سبيل الصدفة والاتفاق هو امر صغير . فان كمية الرميات هي بدون نهاية اي ان صعوبة الحادث هي اكثر

من معوضة بكثرة الرميات (افكار فلسفية) *

فانك ترى من ههنا بان هذا الرجل يفتكر اكيدًا بان في رميات هيولية لا نهاية لها انوجد الاتحاد الناتج منه الكون . فكاننا نقول انه لو امكن لصاحب الساعة عوضًا عن ان يستعمل يومًا واحدًا راميًا على سبيل الصدفة والاتفاق تلك الاجزاء في الظرف ان يواصل العمل بدون نهاية لقد كان اتى يوم فيه حاز بغيته بمشاهدته حالاً وفجاءةً ساعته راجعة تمامًا وكمالاً الى حالتها الاولى معيّنة الدقائق والساعات بكل ضبط واحكام . فيا له من جنون وهذيان *

لكنّ اصحاب هذه الافكار السامية لا يهتدون الى امر جوهري وهو انه ولو امكن فيما بين اتحادات لا نهاية لها بانه قد انوجد الاتحاد الذى تقدمه لنا اجزاء الكون المختلفة . فمتى افترضوا بان احدى رميات الهيولى اعطت هذا الاتحاد ولا يخربه اتحاد اخر فان كل ذلك غير كاف لايجاد العالم على ما هو عليه . لانه لا يوجد فقط في العالم انواع موجودات مختلفة منتظمة بنظام ما . لكنه توجد ايضًا شرائع ثابتة تحفظ هذا النظام . منها الشرائع التى تنظم دوران الافلاك والشرائع التي

تنظم نمو النباتات والشرائع التي تنظم نمو الموجودات ذات الحيوة وهلمّ جرًّا . فوالحالة هذه اما انه من الواضح البيّن للعيان بانه ولا شريعة واحدة من هذه الشرايع يمكن ان تكون نتيجة اتحادات الهيولى *

* المثل السادس والاربعون *

* في نوعي حب الذات *

ان شابين دُعيا الى وليمة من احد اصحابهما وكانا ممن بطونهم الهتهم لاينشغلان النهار كله سوى في رفاهية الجسد والتنعمات والراحة وبكلما لذ وطاب من العيشة الهنيئة الرغدة . فقصدا من ثمّ ان يستغنما الفرصة من تلك الدعوة متنعماً كل منهما على ما شاء واراد. فاحدهما مرضاةً لشراهته ولما يلذذ حواسه اكل من كل الاشكال والالوان وشرب من سائر المشروبات ولم يفتئ آكلاً شاربًا الى ان ابت معدته تناول الاطعمة. فنهض عن السفرة فرحاً مسروراً مهنئًا نفسه على ما كان من صحة معدته وكيفية قابليته . اما الاخر فمع انه كان يحب المأكول والمشروب ومغرماً بما لذ وطاب لجسده

فقد اظهر بعض القناعة وكبح شراهته ممتنعاً عن بعض المأكولات التي كان يحبها ويرغبها لانها كانت عسرة الهضم على معدته. فتناول ما لذ لديه وطاب وارضى ميله بتشكيل المآكيل لا بكثرتها وهكذا تصرّف بالمشروبات. فشرب ما فخر منها وذكى طعماً ولم يعرّض نفسه لكثرة الكمية ولا لتشكيل المشروب. وكان منه هذا حباً بذاته. فانه اراد ان يحب بطنه ويتنعّم بالمأكول والمشروب لكن من دون ان يضر صحته فاصاب بذلك. فمن ثم صرف الليل بكل راحة واستفاق في الغد على احسن حال من الصحة والعافية. امّا صاحبه الذي حباً بذاته ايضاً لم يكبح شراهته فقد تعبت معدته فعسر عليها الهضم وكان ذلك علة موته *

ان شابتين دعيتا معاً الى ليلية حافلة بالاغاني وآلات الطرب والرقص والانشراح وكلتاهما كانتا مغرمتين بحب الرقص فعزمتا على استغنام الفرصة بارضاء ميلهما. فاحداهما اطلقت العنان لميلها. فكلما ارتاحت لحظة كانت ترتد حالاً الى الرقص فلم تستطع الجلوس برهة. فكأنّ رجليها أبتا الراحة فاذا ما ارتاحت

دقيقة كانت تعد ذلك زماناً ضائعاً ومن ثمَّ تعويضاً لما فرط منها كانت ترجع حالاً الى ميدان الرقص بهمة ونشاط تعوض بهما ما مضى . وعند نهاية الليليَّة اخذت تحسب بكل فرح وسرور عدة الرقصات التي رقصتها وكان ذلك كثيراً . فعظم الحركة والاختباط حرّك معها الدم حتى انها لدى رجوعها الى منزلها اعتراها من النوازل ما عجّل سفرها للآخرة *

اما صاحبتها فتصرّفت بحكمة وتعقل . لانها ارضت ميلها بالرقص من دون ان تتجاوز الحد في التعب . على انها كانت ترتاح من وقت الى اخر . وعلى هذه الصورة كلما عادت الى الرقص مرةً كانت تذوق لذة جديدة . فخرجت من ثمَّ من تلك الليليّة على ما كانت عليه من الصحة والراحة . فكلا هاتين الشابتين انقادتا من حب الذات الى هذا العمل . لكن هذه المحبة الذاتية اختلفت فيهما دراية *

ان رجلاً مملوًّا من حب الذات محب الراحة وطالب الرفاهية كان يسعى مهتماً بكلما يأول لطيب العيشة وراحتها . فكان يجد ويجهد يشتغل ويسعى ينصب ويتعب فلم يعادله احدٌ همةً ونشاطاً بما لذ للمعيشة وطاب *

فكان لهذا الرجل جار يحب ذاته ايضاً ويرغب راحة نفسه لكنه كان مغائراً له تصرفًا . على انه خشيةً من ان يتعب ذاته ولئلا يثبت مواظباً ويمل ويضجر لم يكن يلبث عند شغلٍ ما مطلقًا . فكان ينام في اول الليل وينهض متأخراً . يتنزه كثيراً ويأكل جيداً . يصرف اوقاته عند جيرانه بالمسامرة والاحاديث . ويصرف جانباً عظيماً من الزمان باللعب والملاهي . فترى ما الذي حدث من ذلك . فان الاول بسعيه ونشاطه بحركته وشغله صار ذا مال وافر . فارتاح بعد ذلك وتنعّم . اما الاخر بعكس ذلك فحيث لم يكن يعمل شيأً فلم يربح شيأً . بل انه قد انفق ما كان بيدهِ واستدان اموالاً ومات بحال الفقر والفاقة . فمع ذلك كل منهما قد انقاد من مبداء واحد وتحرّك من غاية واحدة صدرت عنهما مفاعيل مختلفة . وذلك المبداء وتلك الغاية انما هي حب الذات والراحة *

فذاك الشاب الذي مات من فرط شراهته وتلك الشابة المغرومة بالرقص فاحترّ دمها واعترتها النوازل وماتت . وذلك الرجل الذي لكسله وتهاونه آل به الامر الى فاقة قصوى . فهولاء كلهم الذين قد تصرّفوا

تصرفاً جنونياً خالياً من الحكمة وانقادوا جميعاً
من حب الذات هم رمز اوليك المسيحيين الذين
بسبب هذا الحب ذاته يسلّمون انفسهم في هذه الدنيا الى
كل اميالهم فيرضون بغيتهم . ومن ثم ارضاء لشهواتهم وارواء
لغليل رغبتهم يتجاوزون حدود الشرائع الالهية والبشرية
فلا يكبحون الامهم اصلا ولا يغتصبون انفسهم مطلقاً . فانهم
لا يتوقون الا الى الشهوة واللذة والخلاعة . واذ كانوا
يعيشون مثل هذه العيشة فانهم يدهورون انفسهم في لجة
الجحيم *

واولئك الاشخاص الاخر الثلاثة الذين انقادوا
ايضاً من حبهم الذاتي فقد احسنوا التصرف واقفين عند
حدود التعقل . فامتنعوا عند ما اقتضى الامتناع وسعوا سعياً
في محله فاقتطفوا اثمار قناعتهم وتعبهم فهم رمز اوليك
المسيحيين الذين لكونهم يحبون ذواتهم ويرومون
في ان يكونوا سعداء موفقين فانهم يخضعون بطيبة خاطر
لنير الديانة فيكبحون اميالهم ويحاربون رذائلهم
ويغتصبون اخلاقهم ويرفضون لذات كثيرة يقدمها
العالم لهم . ومن ثم بهذه السيرة الحسنة يستحقون السعادة
العظمى التي يمنحها الله في سماه لعبيله الامناء *

فاذاً حب الذات هو على نوعين فاحدهما يتوقف في ان الانسان يحب ذاته بنوع انه يسعى لكي يؤكد لنفسه سعادةً كاملةً لانهاية لها . واما الاخر فيتوقف بنوع ان الانسان يقف عند التمتع بسعادة زائلة ناقصة قابلة التغيير تلحقها تعاسة مؤبدة . فالاول هو حب ذاتي صادر عن حكمة وهدًى . اما الاخر فهو حب ذاتي صادر عن جهل وجنون . فلنحذرنَّ من ان نخطئ ونغلط في هذين النوعين من حب الذات . فلنحبنَّ ذواتنا . فهذا ميل غريزي فيذا مباحٌ لنا . لكن فلنحبها لكي نحصّل سعادةً حقيقيةً مؤبدةً لا يشوبها تغيير ولا لكي نحصّل فقط مرغوبات زائلة تعقبها شرورٌ لاحد لها ولا نهاية *

* المثل السابع والاربعون *

* في المنقّي السنوي *

ان رجلاً في سياحته مرّ بمدينة كان ساكناً فيها احد اصحابه فقصد مشاهدته فتوجه اليه مومّلاً ان يمضّي معه بعض ايام بفرح وسرور . فرآه مع انه كان

قليل الايام مسقومًا نحيفًا كأنه شيخ هرم . فتكدّر عليه راثيًا لحاله وقال له : ما كنت اومل يا صاح ان اراك على هذه الحالة من الضعف والاسقام . فاني ارى بكل غم وكدر تقهقر صحتك وضعف مزاجك لكنني ارجو لك الصحة والعافية من الله وانشاء تعالى فما هذا الا عارض ويزول وتحصل بعد ذلك على الشفا التام . فلا تأيس من هذه الحال لانها قابلة الشفاء ومرضك ليس بعضال . فاذا ما كانت اطبا هذه البلدة غير ماهرين لا كفاءة بهم لشفائك فالاولى بان تعرض امرك على غيرهم . فقل لي الان ما الذي فعلته وما هي الادوية والعلاجات التي استعملتها منذ انحراف مزاجك للآن . فاجابه العليل قائلًا اني لم استعمل علاجًا البتة . فقال له وكيف ذلك . اما اخذت دواء ولا علاجًا ولا شياء أخر من شانه ان يسكّن اوجاعك ويشفي اسقامك . فاجابه الاخر : اني اخذ سنويًا دواء واحدًا لا غير . وبالحقيقة ارى ذلك كثيرًا وبالكاد اتجرأ على اخذه . فقال له صاحبه : فوالحالة هذه . فلا عجب من ان اراك ضعيفًا مسقومًا عليل المزاج . فكيف يمكن بان منقيًا واحدًا تأخذه سنويًا من دون تواصل العلاج والمداواة . كيف يمكن بان دواء واحدًا يأخذ

مفعوله ويخوّلك العافية . فكان من الواجب بانه منذ ما اعتراك المرض ان تواظب العلاج . فان الادوية تساعد بعضها وتقاوم العلة فتلاشيها وتخوّلك الصحة والعافية . ثم وانه خشية من الانتكاس كان يقتضي ان تاخذ مراراً في بحر السنة منقيات . تنظّف بها تراكم الاخلاط وتتحايد الاسباب المضرة لمزاجك وتتناول ما يوافقك من الاغذية . فمن ثم انه لعدم مداركة صحتك ومحايدتك الاسباب قد ازداد مرضك وآل بك الامر الي هذه الحال من السقم . وكأنّ المرض قد تأصل في جسمك وعادت تخشى عواقبه مع مرور الايام . ومع ذلك فاني اقول ان الفرصة لم تزل موافقة . فباشرنّ المداواة من دون ابطاء ولا تأخير . فاستدعِ منذ الساعة احد الاطبا الماهرين واعرض له امرك واصغِ لقوله ولا تخالف له امراً . بل ثق بدرايته واعتمد على فراسته . فاجابه الاخر : لقد يلوح لي بانك اصبت بما تفوهت . لكنه لا استطاعة لي على اتباعٍ رائك . فاني حسب مألوف عادتي اخذ منقياً سنوياً ولا اكثر . فهذا هو ائتلافي . هذه هي عادتي . فلا اغيّرها ابداً *

فيا ايها القاري الحبيب . ناشدتك الله قل لي

ما الذي تفتكر بهذا الانسان . اهل تقرّ بانه ذو رأي مصيب . فلا غرو بانك تجاوبني بانه احمق مجنون . لقد اصبت بذلك . ومع هذا اننا نرى مسيحيين كثيرين يحذون هذا الحذو ولنا بذلك مثل . على انك ترى هذا الانسان يعيش منذ سنين عديدة في حالة كلّية الخطر نظراً لامر خلاصه فانه قد استولى عليه الم وتملكت فيه شهوة تتأصل يومياً في قلبه وتدنسه بخطايا ورذائل لا تعداد لها. فانه يذبل ويضعف وينسقم فتتلاشى قوة نفسه وعزمها. فكان الاولى به في انه منذ ابتدا تلك الشهوة فيه واستيلائها عليه ان يبادر الى دواء التوبة ملتجياً الى مرشد حكيم ماهر فيتبع رأيه واوامره حرفياً ليوقف سعي المرض ويحسم العلة . ثم لكيلا ينتكس مراراً ويرجع اليه المرض فينبغي ان يتقدم بتواتر لاستعمال الاسرار المقدسة وان يمارس سر التوبة ويتقدم الى سر الافخارستيا المقدسة. فهذه الاسرار انما هي احسن واسطة يتنقى بها من الخطية . لكن ليس هذا رأيه ولا هذا تصرفه بل انه يعترف مرة واحدة في السنة لكي يفي فصحه. هذا ولا اكثر. فباطلاً ترشده وتقول له بان اعترافات مثل هذه بعيدة المدة لاقوة

كافية لها لتشفي امراض نفسه شفاء تاماً . وانه ان لم يستعمل بتواتر ما تقدّمه له الكنيسة من الاسرار. فان ملكاته الردية تقوى وتزداد ولن تضعف البتة. وان سقمه الروحي يعود يوماً عضالاً لا شفاء له. فانه يجاوبك بهدو وسكينة بان مألوف عادته هو ان لا يتقدم من الاسرار الخلاصية الا في عيد الفصح فقط وانه لا يغير هذه العادة ابداً *

* المثل الثامن والاربعون *

* في اللصوص *

ان شاباً من اهل القرى والبر كان ساكناً في قرية كبيرة قد اعتاد على الحرام والسرقة . ففي حال صغره قد كان يأخذ خفية من ابيه قليلاً من الخبز والجبن وبعض فواكه كالتفاح واللوز والجوز وهلمّ جراً . لكنه مع نموه في السن كان يذهب خفيةً الى بساتين جيرانه والى املاكهم واراضيهم ويأخذ ما امكنه من الفواكه والخضرة . ثم بعد ذلك لم يقف عند هذا الحد فقط ولم يأخذ مأكولات بل انه كان يسرق من والديه ما وقع تحت يده من الدراهم ويأخذ ايضاً من رفقائه وجيرانه ما وصل

لديه من الدراهم واشياء ذات قيمة . لكنه كان يخفى امره حتى انه لم يرتب به احد *

وقد كان يسمع كثيراً في بيته وعند اصحابه وفي قريته عن العذابات المحكوم بها على اللصوص اذا ما وقع القبض عليهم . فكان يسمع بان لصاً قد مات شنقاً والاخر قُطعت يده . وهذا قد حُكم عليه بسجن موءبد . فهذه القصص والاخبار قلقت افكاره والقت الخشية في قلبه فصدته عن ان يتظاهر بالسرقة وان يتبع بحرية هوآ نفسه . فبما انه قد كان تقدم بهذا الفن وانحط من مباشرته وقد كان اجتنب دائماً الاسباب فاخفى امره ولم تقع عليه شبهة ولا ريبة قصد من ثم المداومة على اجراء ميله . فاطمئناناً لنفسه وتوطيداً لمآربه قال في نفسه ان كل القصص والاخبار عن جماعة اللصوص المحكوم عليهم بالعذابات لم تكن الا حكايا مخترعة لالقا الخوف والرهبة في قلب من رام السرقة . وانه نظراً اليه لم يرَ قط مشنقةً ولاشاهد سجناً . وانه وما من احد ممن تُقص عنهم هذه القصص وتتناقل الناس اخبارهم . فما من احد منهم قد رجع واخبر بمثل هذه الاخبار . فمن ثم اخذ يرتاب في حقيقة القصاصات وبما

انه كان يرغب عدم صحتها . وكان مما يوافق خيره ومرغوبه عدم وجودها . لانه اذا ما رفع هذا الوهم من ذهنه فانه يسلم نفسه لهواه بدون خوف ولا اختشا فانتهى اخيراً بان لا يصدق بوجود سجن ولا لومان البتة . ولا مشنقة ولا شيء من العذابات المحكوم بها على اللصوص مطلقاً . وانه لا يختشي سوى من الفضيحة اذا ما ظهر امره واشتهر لدى الناس وانه يخاف من اصحاب الاموال اذا ما علموا به . وقبضوا عليه حال ارتكابه السرقة . وانه اذا ما تصرّف بحسن دراية واستعمل الحيلة والدهاء فانه يسلم من كل امر تخشى عواقبه . فبناءً على هذا الاقتناع واعتماداً على فراسته وخبرته قصد مقاصد كثيرة رام اجرائها . فجمع معه من شبان القرية افراداً من ميله وذوي استعدادات موافقة لفنه . وبما انه كان مستولياً عليهم ما بافكار الناس من عقوبة اللصوص ومن ثم كان خوف القصاص يوقفهم عن اجراء ميلهم نحو السرقة . فاكد لهم بان ما تلك الا اوهام صبيانية تلقنوها منذ صغرهم وتمكّنت في اذهانهم وانه هو نفسه قد كان يتوهم نظيرهم مصدقاً بمثل تلك الاراجيف الصبيانية . لكنه قد اطلع اخيراً على كذبها ووقف

على عدم صحتها . فمن ثم رغبة اولئك الشبان بالاموال واطماعهم بالارباح . الرغبة التي كانت تتوقد مشتعلةً في قلوب اولئك الاشقياء اقنعتهم ببرهان امامهم وتعليل كبيرهم . فوافقوا مباديه واعتنقوا مذهبه واذ اقتنعوا بان المشنقة والسيف والسجن وباقي العقوبات ما هي الا اوهام صبيانية حينئذٍ تحركت فيهم الحمية وانطووا تحت لواء قائدهم الذي بعد ان مرّنهم زماناً على الصناعة وفقّههم في مباديها وزّعهم على القرية وعلى كل نواحيها فجدّوا في اظهار ما كان عندهم من الاستعداد ولم يخيبوا امال امامهم فيهم . فحالاً كنت تسمع في تلك الاقطار الاخبار عن السرقات الكثيرة وعن المبالغ المسلوبة من دون ان تُعرف الغرماء . على ان الجماعة قد كانوا اعدوا لهم في الغابات المجاورة مغراً تحت الارض اودعوا فيها سراً اثمار سرقتهم . فاتفق بانه في احدى الليالي اثنان منهم قد كانوا متوجهين ليضيفوا على تلك الخزينة المدفونة امتعةً قد كانوا حينئذٍ سرقوها فصادفهم رجل من سكان تلك القرية كان راجعاً الى بيته والليل قد اقبل . فكأنّ ذلك الرجل لاشغال خصوصية وحباً بالصفا

والانشراح قد كان تاخّر عن الرجوع الى القرية . فعرفهم واندهل من مشاهدته اياهم حاملين احمالاً في تلك الساعة من الليل . اما اوليك الاشقياء اذ رأوا بان شرهم قد ظهر للوجود فخافوا من تقدمة التشكيات ضدهم ومن ان تهجم الاهالي عليهم فيقتلوهم انتقاماً عن ارتكاباتهم . فاما هم استدراكاً من حلول تلك البلية بهم فهجموا على ذاك الرجل الذي شاهد خطاهم ووقف على حقيقة حالهم فقتلوه واعدموه الحيوة ممزقينه ارباً اربْا *

فضاجت اهالي القرية من حادثة هذا القتل . وتأكدوا بانهم محاطين من جماهير اللصوص وقاطعي الطرقات فاعرضوا الامر للحكومة واستدعوا ازلامها واخذوا بالبحث والتفتيش فوجدوا اثر الغرماء فقبضوا على القاتلين وافتكروا بسانه ولا بد من ان يكون اوليك الاشقياء هم ارباب السرقات المتكاثرة التي شاع خبرها وازدادت في تلك المدة وحيث كانوا يعرفوا اتصالياتهم مع ذلك الانسان وجماعته فوقعت الشبهة ايضًا عليه وعلى اصحابه فأُتهموا بالشراكة في السرقات فرموا القبض عليهم واخذوا

يفحصون على اعمالهم ويفتشون منازلهم فرأوا امتعة ثبّتت الظن ضدهم . واكتشفت الناس رويداً رويداً على اموره اكّدت ذنب اولئك الاثمة واشتراكهم بالراي والعمل مع القاتلين *

فقبضت ازلام الحكومة على كل اولئك الاشقياء الذين وقعت الشبهة عليهم فاوثقوهم بالقيود واستاقوهم الى محل الحكم وقامت الدعاوي ضدهم . فلدى وصولهم الي سراية الحكومة القوهم في سجن مظلم . فمن يقدر يصف انذهالهم وتعجبهم لما رأوه من سوء المعاملة ضدهم . فكانوا يزدادون عجباً بقدر ازدياد العقوبات المحكوم بها عليهم . فوقفوا حينئذٍ على صحة ما قد كانوا سمعوه عن قصاص الاشرار وعذابات اللصوص وارباب الاثم والارتكابات . وتأكدوا صدق الاخبار ولم يعدّوا ما قد كانوا سمعوه بهذا الشأن حكايا مخترعة لالقا الخوف والرعب في قلوب القليلي الجرأة والعزم . اخيراً اقتنعوا بذلك اقتناعاً لم يشوبه ريب عندما سمعوا تلاوة الحكم ضدهم وتسلمتهم الجلادون فشنقوا بعضهم وقتلوا بعضهم وارسلوا الباقين الى سجن مؤبد *

فمما يقتضي اعتباره وملاحظته هو انهم جميعاً قبل

ان يقاسوا تلك العقوبات المريعة اقرّوا معترفين بانهم حال ارتكابهم السرقات وسلبهم اموال الناس وتعدّيهم على حيوة الاهالي كانوا يشعرون احياناً بخوف سريّ من العقوبات وانهم رغماً عمّا كانوا يطمئنون به انفسهم من نكرانهم صحة ما كانوا يسمعونه عن تلك القصاصات كانوا يرتابون احياناً بها ويقلقون من جرائها . لكنهم كانوا يعدّون ذلك ويحتسبونه بقايا اوهام صبيانية وفضلات خرافات عجائزية تمكّنت في اذهانهم . ومن ثم كانوا يقاومون ذواتهم ويغتصبون انفسهم لكي يمكّنوا افكارهم في معتقدهم ذلك الحديث *

أما انه ضرب من الاهانة ضد فلاسفة العصر اذا ما رأيناهم ممثّلين بهولاء الابطال الصناديد الممثّلين بهذا المثل . فمع ذلك لايستطيع الانسان ان ينكر تمام المشابهة الواقعة بين الفيئتين *

ان ذلك الشاب القروي الذي اطمئناناً لافكاره وراحة لضميره في ذلك الميل المفسود نحو السرقة والحرام أخذ يرتاب بما كان يُقال له عن عقوبات اللصوص الى انه اخيراً اقنع نفسه بان لا وجود لها . اما ان ذلك رمز تام وصورة كاملة عن ذلك الانسان المتفلسف

الذي لكيما يسلّم نفسه من دون قلق واضطراب الى الشهوات المنحرفة والاميال المفسودة يأخذ اولاً في ان يرتاب في حقيقة الجحيم وبصحة العقوبات المؤبدة التي تتهدد بها الديانة الخطاة الاثمة وينتقل بعد ذلك من الشك الى الاقتناع . فالبراهين التي برهنها ذلك الشاب والتعليلات التي علّلها أما هي عين براهين فلاسفة العصر . البراهين التي يرومون تائيدها وصحتها . اما اننا نسمع يومياً هولاء المختلسين اسم فلاسفة قائلين ان جهنم ما هي سوى حكاية اخترعتها اولوا السياسة لضبط الشعوب وكبحها . وانهم لم يروا قط تلك الهاوية ولا نارها . وانه ما من انسان قد رجع اليهم واخبرهم عن ذلك *

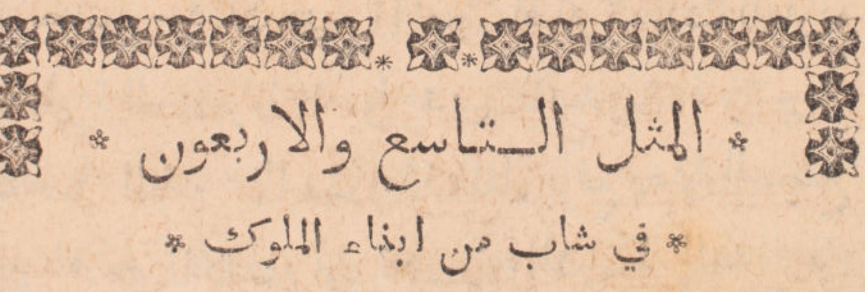
ان هذا الشاب الممثّل بهذا المثل اتفق مع اناس اشقياء من ميله ومشربه . ولكي يهيّجهم للشر اخذ يقنعهم بان ما كان عندهم من الخوف من العقوبة والقصاص ما هو الا وهمٌ اقتبسوه من التربية وانه يقتضي من ثم خلعه عنهم والقاؤه من قلوبهم . وهكذا من يدّعي الفلسفة يعتني في ان يتخذ له جماعةً ويتلمذ تلامذة من مشربه وميله ولكي يقبلوا تعليمه ويخضعوا لمذهبه

وارآئه. يؤكد لهم بان الديانة وكل تخويفها ما هي الا اوهام الطفولية والصبوة. اوهام اقتبسوها من التربية فينبغي من ثم خلعها وتبديدها من الاذهان بواسطة نور الفلسفة *

لكنه كما ان اوليك اللصوص عرفوا لكن متاخراً صحة القصاصات المعدّة للقاتل والسارق لمّا رأوا الحكم ضدهم وذاقوا صرامة العقوبة . فهكذا اوليك الانام المدّعين الفلسفة . اوليك الفلاسفة الاشقياء سيعرفون لكن متاخراً ويقرّون معترفين بوجود جهنم وبعذابات مؤبدة معدّة للمتكبرين والشهوانيين والكفرة والمنافقين وجماعة الاشقيا والاشرار عموماً من سائر الانواع والاجناس . وذلك متى ابتلعتهم افواه تلك الهاوية المضطرمة السعير واضحوا مدى الابدية فريسة للهيبها المتقد . ياليت هذا المثل يرفع هذا البرقع عن اعينهم ويجعلهم ان يجتنبوا ذلك الحظ الشقي *

فمع ذلك يكفيهم ان يصغوا لصوت ضميرهم . لانهم مهما قالوا وتفوهوا . وكيفما عللوا وبرهنوا . فليس هم باكثر راحة وطمانينة من اولئك الشبان الممثّلين بهذا المثل . فانهم يقاسون نظيرهم القلق والخوف والاضطراب

الذي يعتنون في ان يبعدوه من عقولهم . فيؤكدون قائلين بانهم مقتنعين راكنين الضمير . الامر الذي يبتغونه لكن لا يحصلون عليه . اي نعم انهم يجتهدون بان يكونوا حاصلين عليه بل ويتوهمون حصولهم عليه لكن الدليل بانهم ليسوا كذلك هو انهم متى دنوا من القبر وانعم الله تعالى عليهم في ان يعرفوا ذواتهم فانهم يتفقون جميعًا بانه لم يمكنهم قط ان يرفعوا ذلك الارتياب من عقولهم ولا ان يطمئنوا ضميرهم اطمئنانًا كاملاً ضد الخوف المقبل . بل وما كانوا يتظاهرون به من الاقتناع كان يكذّبه قلق ضميرهم واضطراب قلبهم قسرًا واضطرارًا *



* المثل التاسع والاربعون *

* في شاب من ابناء الملوك *

كان لاحد الملوك ولد ذو اخلاق ومزايا مضادة تضادًا تامًا لمقامه وشرف اصله . فانه لم يكن لذلك الشاب لذة اعظم من محادثته مع ادنى خدمة البلاط الملوكي . فمن ثم رغمًا عن توبيخ معلميه

كان يستغنم الفرصة لكي يذهب صارفاً اوقاته مع الاتباع وخدمة المطبخ والسيّاس . فهذه كانت جمعيته المحبوبة منه ولم يسرّ ولم ينحظ الا بها . فاذا ما غاب ساعةً فمن المؤكد انه كان يوجد اما في المطبخ او في الكرار او في محل الطيور والاوزّ او في اصطبل الخيل والدواب . وكان يسر ويفرح بوجوده في تلك الاماكن اكثر من جلوسه في قاعات البلاط الملوكي الفخيمة . مع ان تلك القاعات والمجالس وتلك السراية بكمالها كانت تزدحم دائمًا بالعظمآء والسادات وبالستات الشريفات . وكانت من ثم جمعية يلذ الاجتماع بها والجلوس في وسطها . جمعية تليق به واهل لمقامه . فكان مع ذلك يقتضي ان يُغتصب لكي يحضر اليها بل وانه كان يفضّل الأكل خفيةً في المطبخ ممّا فضُل وبقي من سفرة الملك والده على الجلوس على السفرة الملوكية في ولائم احتفالية . وكان في ذلك البلاط الملوكي قاعة عظيمة معدّة للنوبة والات الموسيقى وكثيرًا ما كان تصير فيها الليليّات الحافلة حيث الرقص والاغاني والطرب . حيث اهل الفن وارباب الموسيقى كانوا

يعتنون في ان يرضوا السامعين ويحصلوا على انظار تلك الجمعية الشريفة . فلا يُخال لذهنك في ان ذلك الملك الشاب كان يوجد فيها . بل انه كان يصرف اوقاته وقتئذٍ بالصفا والانشراح باستماع موسيقى الذّ لديه من ذلك كله . امّا تلك النوبة اللذيذة والموسيقى العذبة لديه فكانت في مكان الطيور والحيوانات في تلك الاماكن المملوة من الدجاج والبط والاوزّ والطاووس *

فاننا لانستطيع ان لا نحتقر هذا الشاب الذي كان يظهر ذوقاً واخلاقاً لا تليق بابناء الملوك . فاذا لماذا نحذو حذوه مقتفين اثاره . فاننا نحن ابناء الله . فالسماء عرشه هو المقرّ الذي نُدعى اليه من قبل شرف اصلنا . فكان من المقتضى ان نتوق دائماً الى ان نُقبل في ذاك المقر الالهي حيث اله الالهة ورب الارباب ومكوّن الكائنات يرينا ذاته وجهاً بازاء وجه في بهاء جلاله . حيث الملايكة والقديسون القائمون حول عرشه يؤلفون جمعية جليلة تليق بالعزة الالهية . حيث وليمة موبدة تشبع الانفس الطوباوية وتهيّج فيهنّ دائماً جوعاً جديداً . حيث الطغمات السماوية والاصوات الملايكية تسبّح على

الدوام ممجدةً العلي بتراتيلها . لكننا فضلاً عن اننا لانتوق هذا التوقان الصوابي ولا نرغب هذه الرغبة المحقة العادلة . فاننا نخشى من الذهاب لكي نتمتع بكل تلك الخيرات . فاننا نبعد حسب استطاعتنا دقيقة تملّكنا اياها واستيلائنا عليها . فاننا نتعلق بالارض ونُسر ونفرح مبتغين طول الاقامة فيها . فترى ماذا اقول وبماذا لا اتفوه . فكم وكم من المسيحيين الذين يعدلون طوعًا واختيارًا عن كل حقوقهم في السماء مرتضين بان يُنفوا منها مؤبدًا لو امكنهم الاقامة دائمًا على الارض وان يعيشوا فيها عيشةً شهوانيةً متنعمةً قد ائتلفوا عليها وعاشوا فيها . وكم من الذين مع كونهم على اسوأ حال في هذه الدنيا فانهم يقيمون فيها مع ذلك بفرح وحبور لوكان امرهم بيدهم ومن ثم فانهم لا يطلبون المجد الابدي ولا السعادة المخلدة في الفردوس *

والحال ان تفضيل سكنى الارض على سكنى السماء وارضاء الحواس والشهوات البهيمية على ينابيع اللذات النقية الطاهرة الغائصة فيها الارواح الطوباوية وتفضيل جمعية الاشرار الاشقياء والارذال والمفسودين على الاجتماع به تعالى نفسه وبالملائكة

والقديسين أما انه شيء واحد. بل أما انه اقبح واشنع شناعةً لا حدّ لها ولا نهاية من تفضيل اصطبلٍ على بلاط الملك والاجتماع مع الاتباع وخدمة المطبخ على العظماء والسادات وعلى تفضيل بقايا وليمة وصراخات الدجاج والطيور على الالحان السماوية والتراتيل الملائكية *

* المثل الخمسون *

* في الناسك والقروي *

ان احد ابناء البر والقرى. اذ كان يسير في بريّة ضاع عن الطريق. وبعد ان تاه زماناً طويلاً في ذلك القفر وصل ليلاً الى مغارة ناسك فقبله ذاك الرجل البار بحب وترحاب وقسم معه ما كان عنده من الزاد واوعده بانه في اليوم المقبل يهديه الى الطريق. فبعد ان أكلا ما وجد من الزاد الفقري الذي وجداه مقبولاً شهياً بسبب الجوع. اخذا يتحدثان سويةً مستنظرين اوان الراحة والرقاد. وحيث ان احاديثهما جرت عن احوال الناس

المختلفة فحينئذٍ قال القروي للناسك . اني اقرّ معترفًا لديك يا ابتِ . باني لدى مقابلتي حالي مع حال اغنياء المدن كاد ان يستولي الحسد عليّ . فاقول حينئذٍ في نفسي . لماذا هولاء الناس هم محظوظون سعداء فيما اننا نحن اهل القرى والبر فقراء تعساء *

الناسك

لقد كان يمكنني ان اجاوبك قائلاً لك . يا ولدي انه ينبغي في ان كلًّا منا يمتثل خاضعاً لامر العناية الالهية . لكنني حتى اقتلع من قلبك الحسد فابين لك ان حسدك بغير محله . فانك تفتكر متوهمًا بان هولاء الاغنياء الذين يقهرونك بعظمتهم وفخفختهم هم اسعد منك . فالامر بالخلاف وانك من ثم على ضلال فظيع *

القروي

فكيف هذا . فهولاء الاناس الحاصلون على كل بغية قلوبهم أليسوا اكبر حظًا مني انا الذي التزم بان آكل خبزي بعرق جبيني *

الناسك

كلّا يا ولدي . لايخدعنّك ظاهر الامور . قل لي ناشدتك الله : اهل انك تضجر وتملّ احيانًا *

القروي

كيف اضجر ولا وقت لي للملل والضجر *

الناسك

فمع ذلك ان هولاء الاناس الذين تحسدهم وتغار منهم فانهم يضجرون من الصباح الى المساء . ومن ثم رفعاً للملل والضجر انهم ينتقلون من لذة الى لذة . لكن كيفما اتجهوا فيصحبون الضجر معهم . فانهم يحسّون به في وسط افراحهم . وبالحقيقة ان الضجر هو سم الحيوة واكبر عدو للحظ والانشراح *

القروي

انهم حاصلون على كل ما يبتغون . فكيف يملّون ويضجرون

الناسك

ثق متاكداً بانهم غير محظوظين . لان قلب الانسان لا يشبع ولا يُروى فانه يتوق دائماً وابداً الى شيء يتمناه

القروي

قل ما شئت . امّا انا فاني لا استطيع الّا افتكر بانهم اكبر حظاً واوفر سعداً مني . فانهم ذوي ملابس

فاخرة وفرش ناعمة ومساكن باهرة *

الناسك

لقد صدقت بقولك . لكنّهم لا ينامون في تلك الفرش الناعمة . واذا ما ناموا فما ذاك الا بئس النوم والرقاد . فيما انك على خلاف ذلك . لانه حال كونك ترقد على الحضيض وعلى الحصير فانك مع ذلك تنام مرتاحًا ملتذًا في رقادك *

القروي

ان موائدهم كثيرة الالوان والاشكال فتهيّج القابلية للأكل *

الناسك

لقد صدقت بذلك . لكنه يستولي عليهم من قبل ذلك عدم الهضم . فتضعف معدتهم وينحرف مزاجهم . فيما ان قلة المآكيل تحفظ مزاجك في حال الصحة والقوة والعافية *

القروي

انهم يشربون الذ الخمر ويذقون اطيب المشروبات *

الناسك

لقد اصبت في مقالك . لكنّه يعتريهم من قبل ذلك

اوجاع الرأس المرة والنوازل الصعبة فتعدمهم كل لذة فيصيحون صياحاً أليماً ويضحون طريحي الفراش مدة اشهر عديدة . فاما انت فانك بحوله تعالى سليم من كل ذلك . فلا تشعر باوجاع الرأس ولا بامراض الركب فانك تجول بكل خفة وراحة *

القروي

لعمري . أفلا تعدّ شيأ تلك الملابس الفاخرة المالئة خزائنهم . فانهم في كل فصل يلبسون اشكالاً جديدة . أفما انهم سعداء لحصولهم على كل ذلك *

الناسك

انهم معتادون على هذه العظمة والفخفخة وعلى اختلاف الملابس . فمن ثمّ لاتأثير لذلك في عقولهم . فانهم يلبسون الحرير والمخمل كما انك تلبس الصوف والخام . لكنّ الفرق الواقع يقوم بكون ملابسهم الناعمة تغطّي امراضاً واسقاماً صادرة من البطالة وعن الرذايل المتأتية عنها . فيما ان الخام الذي تلبسه يغطّي جسماً قد حفظه الشغل وقلة المآكيل بحال الصحة والعافية فبقي سليماً قوياً *

القروي

فلا تستطيع ان تذكر بانهم يذوقون افراحًا ويتمتّعون بلذات، تفوق افراحنا ولذاتنا وساير مسراتنا *

الناسك .

اني انكر ذلك نكرانًا مطلقاً ولا اسلّم بشي ممّا تظنه وتدعيه بهذا الخصوص . بل اني افتكر خلافاً لما تفتكر وتتوهم . فان افراح اهل البرّ ومسراتهم هي مسرات حقيقية نقية طاهرة نظير نقاوتهم وخلوصهم يقبلونها من يد الطبيعة فانها تقدم لهم ما يسرّهم ويشرح خاطرهم . ومن ثم ان الفرح المستولي على قلوبهم اللامع على وجوههم هو فرح صادق وسرور منبعث من صميم الفؤاد . فليس هكذا حال الاغنياء وارباب الكرامات . فانهم يحصلون على مسرات مصنّعة وافراح كاذبة وسرور غشاش خدّاع . ومن ثم لا يفرحون من صميم قلوبهم واذا ما ضحكوا فما يضحك فيهم سوى شفاههم فضلاً عن ان كثيراً من افراحهم وملاهيهم هي ذات اخطار واسباب رديئة بل ومحرّمة اثيمة *

* القروي *

فاقلّه انهم يستطيعون على ارضاء مرغوباتهم حيث

لاتنقصهم الوسائط . أما ان هذا حظ عظيم ونعمة كبيرة *

الناسك

كلّا ثم كلّا . بل بالعكس فما هذا الا مصيبة عظيمة وسوء حظ كبير. لانه كما جاء في امثال المتقدمين: انه متى امكن للانسان كل ما اراد فيعسر عليه الّا يطلب سوى ما يقتضي طلبه . فقد كان الاوفق والانسب لاغنياء كثيرين ان لايستطيعوا على مرضاة انفسهم في كل شيء . وعدا ذلك ان سهولة تحصيل اللذات لاتدع لها امتيازاً بل انها تجعلها مألوفة حيث انها تطفىء في القلب التشوُّق اليها . لان الغني الذي يلعب ويطرب يومياً وينام ويرتاح وينشرح متنزهاً على قدر ما شاء واراد فانه يذوق اقلّ لذة في اللعب والراحة والتنزه من قروي قد ابتاع ذلك بعرق جبينه واتعابه في كل السّبة *

القروي

فمع ذلك كله اني ارغب ان ارتاح واتنزه وانشرح يومياً ممّا ان اذوق مثل هذا الانشراح في نهار الاحد والاعياد لاغير *

الناسك

لقد ضللت واخطأت . فان كل اللذات انما هي نظير لذة الاكل . أما انك تذوق لذة في اية مآكيل كانت وذلك اذا ما كنت صرفت زماناً طويلاً بدون اكل وكان من ثم يقحمك الجوع . أما تذوق لذة اكثر ممّا تذوق في الاكل المألوف المرتب باوقات معيّنة حالما لم تكن فعلمت ما يهيّج بك القابلية *

القروي

لاغرو بذلك . ولنا بذلك مثل في الآن الحاضر . على انني لم اكل قط اكلاً الذّ واطيب ممّا قاسمتك به في هذا المساء . على ان كثرة ما صرفته من الرواح والمجي في البرية لكي اهتدي على الطريق قد هيّج بي جوعاً كلياً *

* الناسك *

فعلى هذا الوجه والصورة ان الانشراح هو الذ واعذب لديك حينما لا تحصل عليه سوى في ايام الاحاد والاعياد . الامر الذي لكنت عدمته ولا تحصل عليه ابداً لو كنت تواظب عليه يوميًا . فانه من المشهور المتواتر ومن الخبرة الثابتة هو ان العادة

تثلم وتطفئ قوة اللذة . فان اولئك الاغنياء الشرهين الشهوانيين المتنعمين في المأكيل لايذوقون جزءًا من الف ممّا يذوقه من اللذة انسان معتاد ألّا يأكل سوى خبز وجبن لو سنحت له الفرصة وملّكته الحرية في ان يرضي قابليته . لعمري انه لايوجد في المدينة انسان مع كل ما وجد على سفرته من المآكيل النفيسة قد تناول أكلاً كذا لذيذاً شهيّاً كما قد التذيتَ من الخضرة والفاكهة التي ذقتَها عندي هذه الليلة *

* القروي *

لاشك بذلك . فاني ارتائي نظير رائك لانه لايوجد اصلاً مآكيل واشكال والوان تهيّج القابلية اكثر ممّا اذا كانت القابلية موجودة من عين ذاتها *

ان الانسان الذي يلتذ بالمآكيل المألوفة . أمّا انه اسعد واحسن حال ممّن لا يستطيع ان يتناول سوى الاطعمة الفاخرة ومع ذلك لا ينسرّ بها الا قليلاً . وقد خطر في بالي نكتة حسنة الوقوع موافقة لما نحن في صدده . وهو ان احد الصيارفة العظام ذهب ان امتلأ اكلاً اخذ يسير متنزهاً بجانب داره تسهيلاً لهضم الاطعمة فصادف اذ ذاك رجلاً فقيرًا التمس منه صدقةً باسطًا له

يديه شارحاً له سوء حاله مؤملاً في ان يحرك قلبه للشفقة عليه فقال له : لقد هلكت جوعاً يامولاي . فلمّا سمع الصرّاف هذه الكلمات احدق نظره في ذلك الفقير وتفرّس به وقال : ان هذا الصعلوك السعيد الحظ هو جائع . وحوّل وجهه عنه ولم يعطه شيأً *

القروي

لعمري ان هذا امر مكروه ممقوت . دعنا من هذا الكلام فلا تذكرنّ حديثاً عن ذلك . فقد تأكدت الآن بان جميع الاغنياء المتمولين ليسوا سعداء محظوظين نظير ما كنت افتكر متوهماً . فلا عدت احسدهم اصلاً ولا اغار من حظهم مطلقاً . فاني ارتضي مقتنعاً بما قسمه لي المولى من الحظ والسعادة . فمهما كان حظي قليلاً فانه يعلو حظهم *

الناسك

فانك لقد كنت تزداد اقتناعاً بذلك لو اطلعت على همومهم وعرفت قلقهم واضطرابهم وارتباكهم باموالهم لاسيما اذا ما استولى البخل والطمع على قلب الغني الامر الذي كثيرٌ وقوعه . لكنّ هذه الاحاديث قد يطول شرحها . فانك تعبان وتضطر من ثمّ الى النوم . فذُق الآن لذة الوسن

وارقد براحة وسلامة وثق متأكداً بان اغنياء كثيرين مع كونهم راقدين على فرش ناعمة في اسرّة فاخرة لا يذوقون لذة النوم نظيرك *

* المثل الحادى والخمسون *

* في الجهل والغباوة *

فلو علمت ياصاح بان احد اخوانك غب أن غاب عنك زماناً مديداً ولم تسمع عنه خبراً ولم تقف على ماحصل عليه من الحظ والتوفيق قد جمع اموالاً وافرة فاضحى من الاغنياء الكثيري المال موفق الاحوال بل وانه قد اضحى وزير الصدارة ونديم الملك وامين اسراره وان في يده توزيع الوظائف واعطاء المناصب والمقامات . فانه يعزل ويولّي ويمنح الرتب السامية ثم وتحت ادارته ومطلق تصرّفه اموال الخزينة الملوكية وان الملك لا يرى الا ما يراه ولا يعطي شيأً الا عن يده .واذا ما عرفت مع ذلك كله بان اخاك هذا هو طبعاً كريم سخي يبسط يده للعطاء . وزد على ذلك بانه يحب سائر اعضاء عائلته حباً مفرطاً

فيتحنن عليهم مترآفًا بل انه يسرّ ويفرح اذا ما اعانهم وساعدهم وسعى في حظهم وتوفيقهم . قل لي ناشدتك الله : أما انك تسرع مبادرًا اليه لكي تستغنم فرصة علو مقامه وحسن نفوذه لتحسين احوالك وتاييد امورك مستفيداً من رغبته وميله في مساعدة اهله واقاربه *

والحال ان ما قدمته لك من الافتراض ما هو الا حقيقة ذات صحة راهنة . على انه لك اخ يتنعم و يتمتع بانعام اقدر الملوك واقواها في مملكة اجمل واحسن واغنى وازهى الممالك كافةً وهو يسوع المسيح موضوع مسرّة الاب الازلي المالك معه في السماء . فانه قادر على كل شيء . وفي يده كل شيء . وانما اقصى بغيته هو ان يرى اخوته مجتمعين اليه لكي يشاركهم بمجده وبسعادته . فلِمَ تفتكر وتكترث قليلاً في ان تشاهد وتعرف هذا الاخ الكلي القدرة والجزيل السخاء وان تستغنم من وفور حنوه نحوك . فيا للجهل والغباوة *

فلنفترضنّ افتراضاً اخر قائلين: انه اذا ما علمت بانه قد خصّك في بلدة بعيدة ارثٌ كثير القيمة من شانه ان ينقلك الى اسعد حال . وانه من حضن الفاقة التي انت منطرح فيها برفعك الى اوج الكرامات . ومن حال

كونك فقيراً محتاجاً يجعلك غنياً ذا ثروة دائمة، فترى ماذا يكون فرحك . فبأية حرارة ورغبة لا تذهب وتستولي على ذاك الارث *

والحال ان هذا الافتراض هو حقيقة ايضاً. فالسماء هي ارثٌ مستحق لك لا دعوى فيه ولا منازعة. ارثٌ لا يعلو عليه غنى ولا مال. ارثٌ يغيّر حالك تغييراً عجيباً ويكون لك ينبوع مجد وغنى ولذات لا تفرغ. وبالاجمال من حال كونك مائتاً ضعيفاً يجعلك شبيهاً بالله نفسه. قل لي ناشدتك الله: لماذا تعتبر هذا الارث اعتباراً كذا قليلاً . ولماذا ترغب قليلاً في ان تذهب وتستولي عليه . أَما ان هذا جهل وغباوة يُرثى لهما *

* المثل الثاني والخمسون *

* في حيلة صديق غيور *

ان القديس اغناطيوس لما كان عامياً ولم يكن تقدم بعد الى الدرجات الكنائسية ولا برز النذور الرهبانية قد كان ارتبط بصداقة صدوقة مع احد الشبان . أَمّا

ذاك الشاب فضلاً عن انه لم يستفد ولم ينتفع من مشورات ذاك البار ونموذجاته الصالحة فانه قد طوّح ذاته بالاخطار فعلق اخيرًا باشراك احدى النساء الفتّانات الى ان سقط معها بالمآثم . فعلم القديس افناطيوس بذلك فقصد من ثم بذل العنا والجهد في اصلاح صديقه واشفائه من داء تلك الشهوة المميتة ❊

فمن ثم حرّكته الغيرة المقدّسة . فذهب ليلةً ورصد لذلك الشاب الجاهل في طريقه . واختار بحيرةً مجلّدةً كَمَن له داخلها فغاص فيها حتى العنق مقدّماً لله تعالى ماقاساه من شدة البرد ضمن تلك المياه المجلّدة مؤمّلاً الحصول على نجاح مسعاه منتظرًا دقيقة نوال تلك النعمة ❊

فلمّا رأى ذلك الشاب مقبلاً صاح به بصوت مخيف قائلاً له : الى اين تذهب يا ايها الشقي . أما ترفع نظرك نحو الله منتقم يلاحظ تصرفك ويرقب سائر خطواتك ضابطاً صاعقة الغضب مرفوعةً فوق رأسك ولا يستنظر سوى تلك الدقيقة التي تضحى فيها ثملاً بخمرة مآثمك لكي يرميك بتلك الصاعقة ويدهورك في جهنم النار . فاذا كان هذا

المنظر لايرعبك ولا يؤثر بك فاذهب وارو غليل شهوتك الحيوانية . اما انا فاني امكث ههنا في وسط هذا الجليد املاً بان ارد اسلحة العدل الالهي المجردة ضدك *

فلنتصورنّ في اذهاننا انذهال ذلك الاثيم وخوفه ورعدته لدى سماعه هذا الصوت الصارخ الغير المنتظر منه . والغير المتوقع حدوثه . فانه عرف حالاً صوت صاحبه البار . متأكدًا غيرته . فاثر به تأثيراً حياً لافتكار باله استشاط غيظًا ورجزًا . باله كان يرقبه ويرصده رافعاً ذراعه القوي ليعاقبه عن آثامه . فاستفاق على جهله عارفاً عظم الخطر الذي كان عتيد ان يلقي نفسه فيه . فرجع الى الوراء مفعماً خزيًا وخجلاً *

فيا ما اعظم حظنا واكبر سعادتنا اذ ما في دقيقة انجذابنا من ثوران الشهوات وهيجان الالام تعامينا وكدنا ان نغوص في بحر المآثم فجاء صديق فاضل واوقفنا حالاً عن ذلك صارخاً بنا بعزم وثبات قائلا : ما الذي تقصد ان تفعله . يا ايها الشقي . ان الله ناظر اليك ومع هذا فتتجاسر ان تهينه . فمن هو الذي لايرتعد خائفا لدى هذا

الفكر ولا يعدل من ثمّ راجعًا حالاً عن قصلع الاثيم *
فلنقل اذاً نحن انفسنا لانفسنا ما لايتجراء ويقوله لنا اخر.
ولنستحضرنّ استحضاراً حيًا في تلك الاوقات الدركة
الصعبة في حال هيجان الشهوة والالام.
فلنستحضرنّ تلك الحضرة المهابة. تلك الالحاظ الثاقبة
حضرة من هو مولانا ورب حياتنا. الذي اذا ما اغظناه
فيقدر في دقيقة واحدة ان يذيقنا مرّ الانتقام.
ولنسألنّ انفسنا في اذا كنا نريد أن نعرّض ذواتنا لهذا
الخطر ونلقيها في مثل هذه التهلكة *



* المثل الثالث * ٢٣ *

* في الحب الابنيّ *

أن شابًا ولد في مدينة من مدن هذه البلاد ولم
يكن له نصيب في أن يتمتع بمشاهدة من اعطاه
الوجود . ولا بان يحوز من لدنه القبلات الابوية
والملاطفات الوالدية . لانه بعد ولادته بايام قلائل
اضطر والده ان يبارح وطنه ويسافر الى بلاد بعيدة
لادارة بني جنسه المهاجرين اوطانهم والمقيمين في تلك

البلاد التي اتجه اليها . امّا هذا الشاب فبقي تحت ادارة والدته وتربى تحت انظارها فسمع من ثم مراراً عديدة من فم تلك الام الفاضلة الثناء والمديح عن ابيه المجمّل بالصفات المملو حبًا وحنوًا . الذي كانت تفصله عن عائلته الابحر الكبيرة . فكثيرًا ما قد وصفت له والدته اوصاف والده الجميلة ومزاياه الحميدة وحبه نحو ولده. واعلمته بما قد وجّه بل ويوجّه نحوه من الانظار لتربيته ونجاحه ويبذله من الجد والاجتهاد في تهذيبه ليكون ابناً اهلاً لشرف اصله وابانت له شدة رغبته في ان يراه مجاوباً على مقاصد ابيه نحوه . واعلمته بان ما هم عليه من اليسر وحسن الاحوال وغزارة الاموال ما هو الا من فضل وسخاء ذلك الاب الجوّاد . وان كل ما يراه حوله وقدامه وما هو لخدمته وراحته وما كان لمنفعته وخيره وان ما يُقدّم له من الوسائط والتسهيلات لانشراحه ما هي الا انعام من لدن احسان من كان علة وجوده الذي لا يزال يوجّه انظاره نحوه ويفتكر به و باحواله مقدّماً له ما يلزمه ويحتاج اليه من ضروريات المعيشة وراحة الحيوة وانشراحها . وكثيرًا ما كان يحظى برسالات ذلك الاب الحكيم المضطرم حباً نحو ابنه .

وكان يصف له عظم شوقه اليه وفرط حنوه له ويعظه بعظات مفيدة وارشادات موافقة . وعلم اخيرًا ذلك الولد بان اباه قصد ان يستدعيه حالاً اليه لكي يقيمه في مقام سامٍ شريف جزآءً عمّا اظهره من الفضائل وحسن الصفات وما تجمّل به من العقل والمعارف *

فذلك الشاب مع انه لا يرى بل ولم يرَ قط اباه اهل يمكن بانه لا يحبه حبًا قويًا شديدًا . واذا ما فتر عن حبه . أَما انه يُعدّ لدينا خائنًا وناكر الجميل والاحسان غير اهلٍ لان يكون ابنًا لمثل هذا الاب *

ان معنى هذا المثل سهل المأخذ . فنحن نعيش في الارض بعيدين عن الله ابينا الحقيقي الساكن في العلا ونحن عادمون لذة مشاهدته . أَما ان الكنيسة امنا التي تربينا في حضنها . أَما انها تخبرنا دائمًا عن كمالاته الغير المتناهية وعن حنوه نحونا . وعمّا فعله واجراه لخيرنا وسعادتنا وعن شدة رغبته ووفور شوقه في ان يرانا مجاوبين على نعمه واهلاً لان نحصل دائمًا على الانعام والافادات من لدنه . أَما اننا غائصون في بحر احسانه . أَما اننا محاطون بجزيل افضاله . فالسماء والارض وكل المخلوقات التي قصد

بها غايةٌ في ان تقدّم لنا ما نحتاج اليه وان تخدم لراحتنا وانشراحنا. امّا انها تعلّمنا بلسان حالها البليغ وتفهمنا جليًّا حبه خيرنا. وفضلاً عن ذلك كله. امّا ان الصحف الالهية التي على رأي ذلك العظيم بين القديسين انطونيوس الكبير. امّا انها رسالات تأتينا من لدن ابينا السماوي يقدّم لنا فيها التعليمات الخلاصية. ويوضح لنا سمو حنوه وتعطّفه علينا. ويعدنا بحسن الجزاء والثواب. ويعلمنا بانه يستدعينا بعد قليل لديه لنتمتّع معه بسعادةٍ ابدية جزاءً عن امانتنا بخدمته. فاذاً يقتضي ان نتقد حبًّا نحوه. واذا ما فترنا عن حبه متعللين بكونه جالسًا في مقرٍ بعيد عن نواظرنا وان كمالاته الغير المتناهية لا تقع تحت حواسنا. فحينئذٍ نموذج هذا الشاب الممثّل بهذا المثل يكون حكم وقضاء على شجبنا ❊

* المثل الرابع والخمسون *

* في الكاهن والرجل العالمي *

ان كاهنا باراً ذهب يوماً لزيارة احد السادات الشهيرين من ابناء رعيته وكان ذلك الرجل يمتاز عقلاً وفضلاً وفضيلةً • بل وقد كان على جانب من الديانة والتقوى . لكنه حيث لم يكن عالماً ماهراً فكان يقتنع بسهولة بافكار العصر من دون ان يتحسب من عواقبها • واذ كان وقتئذٍ فكر العصر ورأيه بان جماعة الرهبان والراهبات المحبوسين ضمن حوش الاديرة لاينشغلون سوى بالصلوة والتامل من دون وظيفة خارجة هم اناس لامنفعة ولا فائدة بهم للجنس البشري • بل وانهم بذلك يضرون الجمعية فهذا الرجل أخذ ينادي صارخاً ضد تلك الرهبنات • وفيما كان يتحدث مع الكاهن جرى الكلام بهذا الشأن • فمن ثمَّ كرر ما قد كان سمعه من كثيرين حيث لم يكن الاَّ صدى اقوالهم *

فقال ما المنفعة وما الافادة من جماعة الرهبان

والراهبات العائشين في الخلوة والتوحّد ولا منفعة منهم للجمعية البشرية . فما هي الفائدة للجنس البشري من تلك الحصون التي انما هي ملجاء الكسل ومقرّ البطالة . وما الذي يعمل اوليك الشبان الاصحاء الاشدآء المدفونون داخل الاديرة *

أما ان الاولى بهم ان يتقلدوا الاسلحة ويدافعوا عن الوطن او انهم يخدمون باحدى الخدم والوظائف التي تأول لخيره ومنفعته . فما الذي تعمله شابات كاد لا يُحصين عدداً محبوسات داخل الاديرة جامدات ضمن مخادعهنّ . اما هو أولى وانسب ان يكنّ امهات عائلات وينشغلن بادارة البيوت ويلدنَ اولاداً لخدمة المملكة والجمعية البشرية . ان حسن لديك يا أبت الجليل سلّم موافقاً بان كل هذه الجماعات الرهبانية لا منفعة بها . وان الاوفق والاولى محوها وملاشاتها *

فالكاهن تعجّب منذهلاً لدى سماعه ما تفوّه به ذلك الرجل بهذا الخصوص . فمن ثم جاوبه متبسماً قائلاً له ياولدي الحبيب : انه قد ابطئ وتأخر بالظهور الى الوجود الرأي بعدم منفعة وفائدة بل وبمضرة الجمعية

البشرية المتأتية عن رهبنات موسسة من قديسين ومثبّتة من بيعة الله تعالى التي تفتخر بها وتعدّها من خاص زينتها وجمالها . الرهبنات التي حازت الشرف والنظر مدة اجيال عديدة متوالية من لدن الملوك العظام ذوي العقول الثاقبة الممتازين بذكاء السيرة الجزيلي الغيرة لما يأول لخير الجمهور وحظه ومنفعته *

الرجل العالمي

لايخفاك يا ابت بان عصرنا هو عصر النور والضياء . فاننا نرى ما لم تره اجدادنا . على اننا اكثر نيّرة ممّن قد تقدم وسلف *

الكاهن

لاشك بذلك ان الناس قاطبةً قد كانوا دائماً غائصون في بحر الظلام المدلهم الحالك الى الجيل الثامن عشر فاتت فلاسفة العصر فقالوا فليكن النور . لعمري . فكم ينبغي للجنس البشري ان يكون مديوناً ممنوناً لهذا المعروف والاحسان *

الرجل العالمي

انك تستهزي ضاحكاً . لكنه من المعلوم الواضح انه

منذ جيلٍ للآن العقل البشري قد تقدّم ناجحًا نجاحًا يذهل العقول *

الكاهن

في العلوم والمعارف الطبيعية مسلّم . اما في الآداب فامر مستبعد ان اوافقك على ذلك. لكنّ هذه المباحثة من شأنها ان تبعدنا عن المسئلة التي قدمتها . المسئلة التي اروم ان اجاوب عليها جوابًا جدّيًا سديدًا *

انك تسأل مستفهمًا ما الذي تفعله في الوحدة والاختلاء رهبان وراهبات لا اتصالية لهم مع الجمعية البشرية . فانهم يداومون الصلوة والطلبات لاجلنا نحن المعرّضون لاخطار العالم . انهم يتوسّلون لاجل ملوكهم ولاجل نجاح المملكة وتوفيق مسعاها ويصلّون متضرعين لاجل كل مراتب المملكة ووظائفها وخدمتها وعساكرها وانهم يتضرعون لاجل ابناء الوطن ولاجل المحسنين والاهل والاصحاب بل ولاجل الناس جميعًا . لان الناس كلهم اخوة. أما ان هذا امر يستحق الانشغال *

الرجل العالمي

ان ذا انشغال باطل عقيم لاثمرة منه ولا فائدة للجمعية البشرية . أما ان كل هؤلاء الاتقياء الكسالى

والمحبي البطالة لكانوا اكثر منفعة وفائدة لو اعتنقوا في هذه الدنيا مصالح يستطيعون على النفوذ بها *

الكاهن

كلاّ ثم كلاّ. فاني افتكر خلافاً لما تدعي به فاقول: انهم يقدمون خدمة جوهرية للوطن بتضرعهم لاجله . فان هذه خدمة انفع وافود ممّا لو توظفوا وانشغلوا باي شغل كان خارجاً هذا الانشغال الخيري *

الرجل العالمي

لعمري ان هذه بدعة تعلو كل البدع *

الكاهن

ان هذه حقيقة أؤمّل اقناعك بصحتها . أما انه امر حقيقي لا يشوبه ريب وهو ان كل الحوادث تتعلق بالله تعالى وان امر الملوك والشعوب هو بيده عزّ وجلّ. على انه رب المسكونة وسيدها المطلق . وانه لا تسقط شعرة واحدة من رؤسنا بدون ارادته حسبما قال السيد المسيح له المجد *

الرجل العالمي

اني اسلّم لك ايضاً بكل ذلك *

الكاهن

اذا ما رمنا التمتع بكل هذه المنافع فيقتضي ان نحوزها وننالها من لدن من هو السيد الوحيد والمولى المطلق الذي يوزعها حسبما يشاء ويريد *

الرجل العالمي

لاشك بذلك ولا ريب *

الكاهن *

لكنه لاجل نوالها واكتسابها . أمّا يقتضي ان نطلبها ونلتمسها بل وان نطلبها بحرارة وثبات وبقلب طاهر ونية مستقيمة *

الرجل العالمي

اني لا اخالف لك رأيًا بذلك *

الكاهن

فاذا كان ذلك كذلك فهذا هو بحصر المعنى انشغال المتوحدين المتصل . هذا هو انشغال جماهير الرهبان والراهبات الذين تعدّهم اناساً بطّالين ووجوداً عدماً . فمتى كان الانسان في العالم فلا وقت له للتضرع والابتهال . وان كان له وقت فلا يفتكر بالصلوة . فان الناس تصلّي نادرًا بل وبكل فتور . فانهم يصلّون ويتضرعون بشفاههم

فلا يشترك عقلهم ولا قلبهم بتلك الصلوة. أَهل هي الواسطة
لنوال نعم الله التي نحتاج اليها . فما الذي اقول
وماذا الذي اتكلم به . أَهل ان النوع الذي
تتضرع به الناس لله تعالى أَما هو قابل ان
يهيّج غضبه الالهي عوضاً عن ان يهدّئ رجزه وان
يجلب عليهم انتقامه عوضاً عن ان يجلب انعامه
واحساناته الالهية . فمن ارتاب بهذا واراد ان يقتنع
بصحة ما قلته فيكفيه ان يدخل الكنائس حين احتفال
الاسرار المقدسة . لكنه فيما ان العالم ينشغل بمصالحه
واموره ويغوص بكامله في بحر الارباح الزمنية ولا يفتكر في
ان يكون مقبولاً لدى مَن بأمره تجري الحوادث
قاطبةً فانفسٌ بارة نقية مستظلة بظل الاحواش الرهبانية
ترفع نحو ذاك السيد المطلق والرب الاعظم بخور
الصلوات العاطرة والتضرعات الحارّة . الصلوات التي
تتكرر دائماً بغيرة العبادة وحرارة التقوى المتجددة مستندةً
على نقاوة الخصال وطهارة الآداب وتقشفات حيوة حيّة
بالتوبة وبفضائل شتى سامية . فكأَنَّ تلك الانفس النقية
البارة تغصب الرب الجوّاد في ان يهطل فيض خيراته
على الملوك وعلى رعاياهم *

فلنفرضنّ بان هولاء المسيحيين انفسهم عاشوا في العالم عوضاً عن ان يسكنوا الوحدة ويلازموا الاختلاء. هل ان اشغالهم وعقولهم وغيرتهم على الخير العام وانعكافهم على المساعدة به تكون انفع وافود للجمعية البشرية من الصلوات والتضرعات التي يقدمونها لاجلها داخل الاديرة . كلاّ ثم كلاّ. لان اشغالهم وشطارتهم ونشاطهم وغيرتهم لاتجلب بذاتها البركات السماوية التي يتعلق بها كل توفيق ونجاح فيما ان صلواتهم تأتي بهذه البركات وتستمد لنا سوابغ النعم *

الرجل العالمي

لكنّ هذه الانفس الصالحة تستطيع ان تصلّي في العالم كما في الوحدة والاختلاء بل وفي الوقت ذاته تقدّم للجمعية البشرية خدماً ومنافع على قدر طاقتها وحذاقتها *

الكاهن

لو ان هولاء المسيحيين الذين قد كرّسوا ذواتهم للوحدة في الاديرة بقوا في العالم لربما قد كانوا أخذوا روح العالم وعاشوا كما تعيش اهل العالم . ومن ثمّ لكانوا صاموا وصلّوا وتعبّدوا نظير عبادة اهل العالم واني

لواثق بانه توجد في وسط العالم انفس نقية طاهرة تعطي لله ما هو لله ولقيصر ما هو لقيصر . الانفس التي تتضرع وتبتهل كثيراً وتستحق بفضائلها اجابة طلباتها لكنّ عدد هذه الانفس قليل جداً. افما انه اوفق وانسب بل انفع وافود بانه نيابةً عن هذا العدد الصغير توجد جمعيات كاملة قائمة من جماهير الرهبان والراهبات تنشغل خاصةً بالقيام بفروض الصلوة التي بها تنال انعام الوجود الاعظم والسيد الاكبر محولةٌ ضربات غضبه الالهي *

الرجل العالمي

اني ارى حسناً يا ابت بان هولاء المنقطعين عن العالم يتوسلون لاجلنا . لكنّهم لماذا في الوقت ذاته لا يقدّمون خُدم اخرى للجمعية البشرية كما تعمل وتتصرف باقي الرهبنات *

الكاهن

ان هذه ليست دعوتهم . لان الله تعالى قد دعاهم فقط لحيوة الصلوة والتضرعات . وهذا هو مفعول جودته الالهية نحونا فاذ اراد تعالى ان يرحمنا ويترأف علينا قد اقام فيما بيننا جماعةً دعوتهم هي في ان

يلتمسوا رحمةً دائماً بلا انقطاع وان يغصبوا قلبه الابوي اغتصاباً مقدساً بتكرار صلواتهم الحارّة . فما الذي تشكى منه . هل انك تتجاسر وتقول ان هولاء المتوحدين لايعملون شيأً لاجل خير الجمعية البشرية فيما انهم يعملون كل شيء . فقلتُ كل شيء . لان كل النجاح والتوفيق هو ثمرة صلواتهم *

تذكّر ياصاح ما جاء في تاريخ الكتاب المقدس . فان هذا مما يؤيد هذه المسئلة تأييداً تاماً . انه لما كانت العبرانيون يقطعون البرية متجهين نحو ارض الميعاد ارتجفت منهم قبائل كثيرة واخذت تحاربهم . فمن جملة اعدائهم كانت اهل عماليق فانهم أتوا لمحاربة العبرانيين في مكان يُدعى رافيدّيم . فاستعد موسى حالاً لحسن استقبالهم . فمن ثم اقام يشوع ابن نون قائداً على ابطال الاسرائيليين وامره في ان يصلي نار الحرب مع اولئك الغلف . فقال له موسى امّا انا فاني اقف على قمة هذا الجبل ملتمساً المساعدة من لدن رب الجيوش . فلو وجد بين العبرانيين فلاسفة كما في ايامنا هذه لقد كانوا قالوا من دون شك ولا ريب لدى مشاهدتهم رجل الله البار قائماً على

تلك الحال : ما الذي يفعله موسى على قمة هذا الجبل فيما اننا نعرّض انفسنا لاخطار الموت . فيقال لهم بانه يصلّي . فيجيبون أما انه اولى به وخير لنا ان يحارب قدامنا من ان ينعكف بهدو وسكينة بهذا الانشغال ذي البطالة . فمع ذلك انما بثبات موسى على ذاك الانشغال المدعو بطالةً قد توقّف نجاح الحرب . فأعلم الله تعالى بذلك اعلاماً ظاهراً حسياً لهارون وحور اللذين كانا مع موسى على الجبل . وبالحقيقة طالما كان ذلك النبي رافعاً يديه نحو السماء فكانت الغلبة للعبرانيين والانتصار ظاهر. لكنه عندما كانت يداه تنحطان لتعبهما فكانت تتغلب العمالقة وتدفع العبرانيين الى الوراء . فلما لحظ هارون وحور تلك الحال عزما على ان يسندا ايدي موسى لتبقيا مرتفعتين ولا تنحطان من التعب. فحينئذٍ تغلبت العبرانيون وحازوا ظفراً تاماً *

* الرجل العالمي *

فهذا ممّا يؤكد فاعلية صلوة موسى . لكنّ المتوحدين والنساك ليسوا كلهم موسى *

* الكاهن *

اني اسلم لك بذلك . لكنه اذا ما علّمنا الوحي بان ذلك البار قائد اسرائيل ونبيه حالما كان يبان متفرجاً على الحرب بطالاً فكان بالحقيقة يرتّب نجاحها بقوة صلواته . أما يحق لنا ان نفتكر بان تلك الصلوات المتجهة نحو العلا من حضن الوحدة . الصلوات المقدّمة من انفس بارة نقية . من انفس مضطرمة بنيران المحبة . من انفس متحدة بالله اتحاداً حيًا ومن ثم كليّة المقدرة لديه تعالى ينلن كذلك للملوك وللرعايا انعاماً كثيرةً ويحولن عنهم ضربات الانتقام الالهي . فهكذا كان من دون شك ولا ريب يفتكر قسطنطين العظيم لما كان يوصي دائماً ويسلّم ذاته الملوكية وعائلته ومملكته الى صلوات القديس انطونيوس العظيم اب النساك وقدوتهم

الرجل العالمي

ان قسطنطين لم يكن فيلسوفا

الكاهن

انه كان فيلسوفا أكبر واعظم من اولئك الذين يدّعون بانفسهم انهم فلاسفة . وانما لانه كان

حقيقةً فيلسوفاً كان يعرف قيمة ومنفعة اولئك المسيحيين. الذين حال كونهم عائشين باتحاد دائم متصل مع الله تعالى فلهم مقدرة وحق على قلبه الالهي ويعدون حقاً وشريعةً لهم استعمالهم هذا الحق بشأن اخوتهم *

الرجل العالمي

لكنّ كل فلاسفتنا الذين يُقال عنهم انهم متنوّرون يفتكرون خلاف ذلك. فانهم يزعمون بانه ما من شئ انفع وافود للجمعية البشرية من محو ولاشاة كل تلك الرهبنات التي لا تنشغل سوى في التامل والصلوة *

الكاهن

انهم يضلون منخدعين. فانه بعكس الامر انها تكون بلية عظيمة ومصيبة جسيمة للجنس البشري اذا ما قُبل عموماً هذا الراي بابادة الرهبنات. لانك تسلّم حقاً بان الفساد والخراب من كل نوع وجنس قد وصل الى أعلى درجة من القباحة والشناعة في عصرنا الشقي. العصر الموسوم بدعوى روح الفلسفة. الروح الذي هو كخميرة مفسودة افسدت مجموع سائر القبائل. العصر الذي اضحى فيه الكفر ضرباً من الآداب قائماً

مقام الصفات العقلية والفضل الشخصي . العصر الذي اضحى فيه الايمان ضربًا من العار والسخرية . العصر الذي فيه حتى وفيما بين جنس النساء اللواتي ببساطة ايمانهنَّ وشهرة تقواهنَّ اضحين فخرة الكون يوجد الآن بينهنَّ مَن تدّعين الفلسفة ويفتخرن متباهيات بالكفر وعدم الايمان . العصر الذي فيه الاعتزال عن كل الاديان وعدم الالتفات اليها اضحى ديانةً متملّكة . لان هذا الاعتزال هو دين لمن لا يروم ديانةً . العصر الذي فيه فساد السيرة والآداب يسبق سن البلوغ . العصر الذي فيه الشاب العاقل الحكيم اضحى اجنبياً وغريباً عن العالم واضطر في ان يعيش خارج كل جمعية بشرية . العصر الذي فيه محبة الذات المكروهة حيث انها قد حصرت كل شيء في دائرة الخير الذاتي فقد قطعت رباطات الالفة والاتحاد التي ترتبط الناس مع بعضهم به . ويتحد حبل وصالهم . فمن ثم تنفخ في كل جهة وجانب وفي كل محل ومكان نفخة الاستقلال والتمرُّد وتلاشي الخضوع والطاعة محرّكةً الاولاد على القيام ضد والديهم . والتلامذة على معلميهم . والرعايا على رعاتها . والصغار على الكبار . والفقراء على الاغنيا . والعبيد على

السادات . العصر الذي فيه حقوق الطبيعة ورباط الدم واتحاد الجمعيات وشروط الآداب وانصاليات الجنس والوطن والعائلة تُعدّ اوهاماً عجائزية لا تليق بعاقل وتحسب قيودًا حاشا ان تستعبد فيلسوفاً . العصر الذي فيه يُنادي جهاراً بالديانة الطبيعية لكي ينعتق الانسان من الديانة المسيحية . لكنّه لا تحفظ احداهما . العصر الذي فيه يُنادي بالتحمّل ويؤذن يومياً باعمال عدم التحمّل الشهيرة الظاهرة للعيان . العصر الذي كأنّه يقدّم فيه الاكرام الالهي لمن نشر رايات النفاق والفساد وبلّغ النفاق والفحش اعلى درجة . فيُعطي هذا الاكرام الى فولتير الفيلسوف الفرنساوي الذي هو اب جيل الكفرة الذين انفسدت بهم المدن . لان تآليفه هي خزينة الفساد . هي قلعة تتسلح باسلحتها اهل الخلاعة لتحارب الازلي وتقاوم المسيح . لان فولتير ابا العصر كان العدو الهائج العدو الالد للديانة المسيحية ولمشترعها الذي مجده وافتخاره يجب بل يلاشي فخر المنافقين الكاذب *

فمن ثمّ اذا ما كان العالم في عصرنا هذا على ما

وصفناه لك . فاذا ما اقفرت حصون الفضيلة حيث اعين الرب لكدرها من مشاهدة الكفر والفساد العام ترتاح بمسرة . ترى ما الذي لا يقتضي ان نخافه ونختشي منه متى تغيّرت هذه المساكن المقدسة وتحوّلت الى مساكن للاثم والنفاق . فانها لا تقدم لدى اعينه المقدسة تلك الذبائح الطاهرة النقية تلك الانفس المكرّسة له التي تسعى بتهدئة غضبه الالهي . فمتى لا يعد يرى تعالى دموع هولاء النساك تهطل ولا يسمع نحيبهم وبكاءهم ولا صوت زفراتهم يتصاعد ليلتمس العفو والمغفرة للخطاة . فلنخفنّ حينئذٍ من انتقامه حيث ليس من يوقفه ولا من يهدّئ غضبه . فينقض حينئذٍ كالصاعقة على رؤس الاثمة ويسقط كالنار والكبريت الساقط من السماء على صادوم وعامورة لما خرج منهما لوط وعائلته *

الرجل العالمي

اني ارى يا ابت ان غيرتك قد اتقدت بهذا الشأن . والحالة هذه فلنضربنّ صفحاً عن ذلك . فمن قبلي اني اقر معترفاً وانادي علناً بان برهانك ثابت قوي واني اخرج بالمسالمة مع تلك الانفس النقيّة التي لم اشجبها والومها الا بموجب كلام الناس

من دون ان اعرف السبب ولا العلة *

* المثل الخامس والخمسون *

* في الجمرة *

ان ناسكاً كان يتفاوض يوماً مع تلميذ في السيرة الروحية وكان ذلك في ايام الشتا وهما اذ ذاك يصطليان على النار. فذاك الانبا البار الذي كان يغتنم كل فرصة لارشاد تلميذه التفت اليه وقال له. تامل يا فتى كيف ان الحطب اذا ما وضع على النار يتحول رويداً رويداً الى جمر نار ونتج من ذلك نتيجة ادبية سامية. فقال له. تامل يا ولدي الحبيب بانه حتى تضحى قطعة الحطب الموضوعة على النار جمرةً خالصةً ينبغي ان تتلاشى رطوبتها وتفنى بقوة اللهيب. وطالما بقي شيء من جوهرها فلا تزال سوداء والدخان ينبعث منها. لكنه متى تلاشت الرطوبة فانها تضحى حمراء وتتعبا النار بكل اجزائها فتصير حينئذٍ جمرةً خالصةً *

فهكذا يا ولدي الحبيب ينبغي ان نار حب الله تعالى تلاشي وتفني كل ما هو بشري في قلبنا حتى ان

هذه المحبة تملك فيه ملكًا تامًا وتستولي عليه استيلاءً مطلقاً . فطالما ان الحب الالهي لا يدخل في كل قلبنا وان هذا القلب يحفظ ايضاً شيئاً بشرياً ينبعث منه كدخان يظهر ويتضح بالنقائص والهفوات . لكنه متى استولى عليه حب الله تعالى استيلاءً كاملاً فلا يعود حينئذٍ الا حبًا ونارًا الهية ولا يُرى فيه اثر نقائص البشرة. وهذه هي حالة الطوباويين في السماء. امّا في هذه الارض فانه يُوجد دائمًا مكان ينبعث منه الدخان ماخلا في القديسين ذوي الرتبة الاولى في القداسة *

* المثل السادس والخمسون *

* في انتصار النعمة *

ان قوة النعمة ربما لم تظهر قط على نوع حسّي جلي مؤثر في العقول والالباب كما ظهرت في الظروف المختلفة من الخبر الاتي . فالتائبة الشهيرة في الباس والشجاعة التي هذا الخبر خبرها وهذه القصة قصتها قد صرفت نصف حياتها على اقبح سيرة والنصف الاخر بممارسة

الفضائل . فسيرة حياتها وما اظهرته من الامثال الصالحة والنموذجات المبهرة العقول لايزال محفوظاً في دير الراعي الصالح في مدينة اورليان من اعمال فرنسا حيث تُوفيت هذه السعيدة الذكر في سنة ١٧٣٩ في عمر ٨٣ سنة . فهذه التائبة الجليلة التي ندعوها جوليا ضاربين صفحاً عن ذكر عائلتها احتشاماً قدكان لها ام تقية خائفة الله القت في قلبها منذ نعومة اظفارها حب الفضيلة والتقوى . لكنّ تلك التعاليم الخلاصية والتأثيرات الدينية انمحت حالاً من نموذجات ابيها المفسودة . لانه كان رجلاً عارياً من التقوى والدين مفسود السيرة مذموم الخصال . فانفسدت الابنة وغاصت في بحر الرذيلة منذ عشر سنوات من عمرها . فعبثاً سعت والدتها وجدّت في ان تقوّم خطوات ابنتها وتردها عن طريقها المفسودة . فانها لم تكن تسمع نصائحها الوالدية سوى بازدراء واحتقار ولم تكن تقابلها الا بالاهانات والشتائم . امّا ابوها ففضلاً عن انه لم يكن يوبّخها على سيرتها الممقوتة فانه كان يصمت عنها بل ويغريها عليها . فتلك الام المأيوسة نظير ام اغوستينوس كانت تذرف الدموع السخينة امام الرب ممارسةً افعال التقشف والاماتات سراً وفاء

عن فواحش زوجها وفساد سيرة ابنتها املاً بارتدادهما الى الله تعالى بالتوبة . فشدة الغم والاحزان انهكتها وقصّرت حياتها فتُوفيت الى رحمة المولى تاركةً بكل حزن وكدر ابنتها العزيزة بين يدي والد من دأبه تكميل فسادها وتتميم هلاكها *

فالاب وابنته لم يباليا بفقد تلك التقية الخائفة الله لكنه قد اصابتهما في الوقت ذاته بلية جعلت الاب ان يغوص في بحر تأملات نُرجى منها الافادة . فانّ احد الخدام نزل والضوء بيده الى قبو مملوء زيتاً وعرقاً وبعض المسكرات فلعدم فطنته شعل ذلك القبو فاحترقت الدار كلها وكل ما كان فيها *

فهذه البلية العظمى مع موت تلك الزوجة الفتية اثرت بذلك الرجل وافاقته من سبات غفلته فحينئذٍ اقر بيد الله التي كانت تؤدبه فخضع ممتثلاً لامره تعالى محتملاً الضربات المتجهة ضده . فقصد من ثم ان يفي للعدل الالهي بتوبة تعادل آثامه . فبالحقيقة اختفي حالاً عن مدينة اورليان ولم يُعلم ما حلّ به ولمْ يوقف له على اثر الّا بعد مرور سنتين وكان ذلك على سبيل الصدفة والاتفاق . فانه وُجد في غاب من البرية المجاورة حيث

قد كان اختلى متنحياً عن العالم مقتاتاً بعشب الارض واثمار اشجار البرية فرأته حطابون يروى ظماءه من مياه نهر يجري في ذلك الغاب . فقلق الحطابون من منظره واضطربوا . اما هو ففرّ هارباً الى حيث كان مأواه خوفاً من ان يراه احد . فالقى هربه الشبهة عليه فاعلمت تلك الجماعة اهل القرى فتأكد الجميع بان ذلك الانسان لم يكن الا لص يختلي في ذلك الغاب . فتسلحت الناس واجتمعوا فمشت الحطابون امامهم واتجهوا جميعاً نحو المحل الذى انفرد فيه ذلك التائب . فاحاطوا به واستدعوه لكي يخرج من ذلك الكهف . فياما اعجب واغرب دهشة اولئك الناس لدى مشاهدتهم شبحاً لا انساناً قائماً امامهم . فاصفرار وجهه ونحول جسمه وعيناه الغايرتان وخداه المنسكبة عليهما سواقي الدموع وملبوسه الرث الخلق جعلهم ان يفهموا حالاً بانه ليس من اهل التهمة والشبهة . لكن ترى من كان ذلك الرجل ومن هو . فالحوا عليه بان يقرر مصرحاً . واذ لم يكن له استطاعة في ان يكتم امره فاباح حينئذٍ بسره . فحالما سمّى اسمه واذا باولئك الاهالي الذين كانوا جميعاً شركاه وخاصته

خرّوا على قدميه ساكبين ابحر الدموع متأسفين لوجودهم مولاهم على تلك الحالة . فتوسلوا اليه مسترحمين منه لكي يرتضي ويرجع الى اورليان فلم يستجب طلبتهم بل بقي مصراً على قصده ولما علم بانه في مدينة جارجو كانت وقتئذٍ الاباء المرسلون يعملون رياضات روحية للشعب اتجه لهنالك بدون ابطاء ولا تأخير . فحضر الرياضات بكمالها ولم يعرفه احد . لكن الحال التي كان عليها من قبل طول توبته وصرامة تقشفاته أثّرت بكل الحاضرين فأضحى لهم نموذج التقوى والعبادة . واعترف اعترافاً عاماً مظهراً شعائر الندامة العجيبة والمقاصد الحميدة الغريبة . وبعد مسالمته مع الله تعالى بمدة وجيزة وقع مريضاً ومات برائحة القداسة . فما هذه الا نعمة مستحقة الذكر قد استمدتها ونالتها له عروسه الفاضلة . فلدى وجودهما معاً في السماء ترى بأيّة حرارة قد التمسا من مراحم المولى ارتداد ابنتهما العزيزة . لكن وآسفاه ان زمان ارتدادها كان بعيداً . فان تلك الشقية قد قاومت النعمة زماناً طويلاً قبل ان تسلّم لمفاعيلها وترتد راجعةً الى الله ربها *

فبعد ان فقدت تلك الابنة الشقية امها وتُركت من والدها اصبحت في حالة من الشقا يُرثى لها. فتشفقت عليها احدى الستات الشريفات فاخذتها لدارها واعتنت بتربيتها . وكان لتلك الست ولد اكبر من جوليا سناً. لانها لم يكن لها من العمر حينئذٍ سوى اثنتي عشرة سنة. فهذا الشاب المدعو منا اسكندر هام غراماً بتلك الابنة واظهر ميله نحوها وبانت عواطفه فلم يَخفَ ذلك على امه. فمن ثمَّ تحسباً للعواقب وخشيةً من وقوع ما لا يُرام وقوعه قصدت تلك الام ان تزوج ابنها. لكنَّ قصدها هذا كان متأخراً لان الزيجة لم تكبح ما كان استولى عليه من الشهوة التي تمكنت فيه من سهولة وجوده مع موضوع حبه. ومن ثم لم يزل يعاشرها سراً عشرةً اثيمة. فبعد وفاة ابويه اراد ان يزوّجها فاعطاها لرجل، تاجر تستدعيه اشغاله الى الاسفار وعدم الاقامة في حضن عائلته. وكان ذلك التاجر رجلاً فاضلاً اديباً لم يخطر قط في باله شبهة ولا ريب بان زيجته كانت برقعاً لستر سيرة زوجته المفسودة . فاما جوليا فكانت ذات حيل ودهاء وحذاقة وذكاء فعرفت ان تخلّص

ظاهر الامور فحازت من ثمّ حسن السمعة والاعتبار. فجاءها اولاد كثيرون من زوجها هذا. لكنّها مع ذلك لم تزدد تعلقًا به ولا ميلًا نحوه بل لبثت على سوء معاشرتها مع ولي نعمتها السابق . لكنّه رغمًا عن احتراس كلا الفريقين باخفاء تصرفهما وتحذرهما من اعطاء ادنى اشارة تفشي سوء معاشرتهما فاشتبه زوجها بحالها . اما هي فقد استطاعت في ابتداء الامر ان ترفع من ذهنه كل شبهة وريبة ضدها . لكن اخيرًا ظهرت دلائل واضحة على خيانتها فاكّدت ظنه بها فوبخها على قبح سيرة، تستوجب كل توبيخ . ومع ذلك لاطفها مترفقًا بحالها املًا في انه يستميلها عن طريقها ويردّها الى ناموس الله تعالى. لكن الشقية لما رأت ما بان واتضح من رداءة سيرتها ولا سبيل لها اذ ذاك في ان تخفي امرها وتبرر نفسها فخلعت عنها حجاب الحيا ولبست الخلاعة وهزأت مزدرية باقوال زوجها ورفضت ارشاده ولم تعبإ بتوبيخه . فهذا الرجل العاقل الاديب أيس من عنادها واصرارها على الشر فأخذ ينوح ويبكي امام الله تعالى على خطايا زوجته وآثامها اكثر من بكائه على فضيحته وعار اسمه . فاشتد حزنه

وازداد غمه حتى انه انطرح مريضاً. فانغم وضعف وانسقم ففنيت صحته وكان القبر تعزيته ونجاته من عار زوجته *

فحالما ترمّلت جوليا واضحت معتوقة من رجل ترمّل ايضاً اسكندرولي نعمتها الاول. فلما رأيا انفسهما معتوقين من ناموس الزيجة قصدا الاقتران ببعضهما امّا هذا الاقتران فلم يتم ولم يجرِ بالعمل . لان النعمة الالهية كانت تستنظر جوليا عند هذه الفرصة . فقد كانت طرقت مراراً عديدة باب قلبها وكلّمتها وهي مع ذلك تغوص في بحر الادناس وخاطبتها في وسط فواحش متصلة تألفت منها سلسلة حياتها المفسودة. اما الشقية فكانت تقاوم النعمة دائماً. لكن زمان ارتدادها قد أتى وحان اوان رجوعها الى الله تعالى *

فاسكندر وجوليا قد كانا اعدّا كل شي للزيجة وقصدا التوجه في اليوم المقبل الى املاك لهما خارج المدينة ليتكللا هنالك . فبعد ان انهت اشغالها رقدت في فراشها . لكنها لم تذق لذة الوسن ولم تغمض اجفانها . ففي حال قلقها دخلت ضمن نفسها واخذت تتامل ظروف حياتها الماضية وتردد في ذهنها قبح سيرتها المتنوعة بسائر القبائح . فاستولى عليها القلق

والاضطراب وتمكّنت الرعدة في قلبها فشعرت بوقر خطاياها وثقل اثامها واذ كانت على تلك الحال المريعة، الحال التي لم تحصل عليها قط قبل ذلك نهضت من فراشها وجثت على ركبتيها وصرخت من صميم الفؤاد هاتفة بعواطف التوبة والندامة قائلةً: اللهمَّ ارحمني. هذا كل ما فاهت به ولم تستطع ان تفوه باكثر من ذلك وعادت الى فراشها وكان ذلك لتشعر بهجوم النعمة ثانيةً فتصورت ذاتها بانها في يوم الدينونة الرهيب واذا بشعاع نور انبعث من عرش السيد يسوع المسيح. فانار ضميرها وحملها على ان تتفرّس فيه وتتلو مفصّلاً سيرة حياتها المرسومة على صفائح ضميرها. وكأنها سمعت القاضي العادل الرهيب يصرخ بها موبخاً اياها على كثرة خطاياها وقبح آثامها ورأت الابالسة مستعدين ان يجروها الى الجحيم. فلدى هذا المنظر المهول ازداد بها الخوف والرعبة فنهضت ثانيةً من فراشها وانطرحت على الارض وسكبت العبرات واصعدت الزفرات والتمست ببكائها ونحيبها بتوجّعها وابتهالها بتوسلاتها وتضرعاتها رحمةً من لدن ابي المراحم. وصرفت الليل كله

على هذه الحال. ولم تعلم ما الذي يقتضي ان تعمله ولا كيف يستقر بها الحال. فمن ثم على مثال شاول الملقى في طريق دمشق صرخت قائلةً : ربي والهي ما الذي تريد ان افعله . ولما اصبح الصباح نهضت من فراشها وقفلت باب دارها خارجةً عن دائرة الهدى ولم تعلم الى اين تذهب ولا ماذا تريد . لكنّ الرب الاله كان يقود خطواتها فاستاقها الى باب كنيسة احد الاديرة وحالاً جددت عزمها وعوّلت رأيها وطلبت من البواب ان يأتيها بكاهن تعترف له بخطاياها . فحضر اليها الكاهن فكشفت له ضميرها مستمدةً منه المشورة . فشار عليها ذلك الكاهن البار التقي بان تختلي بعض ايام ممارسةً الرياضة الروحية لتستعد متأهبةً الى اعتراف عام تفتقر اليه غايةً. فقبلت مشورته وانسّرت بحسن رأيه فاقتادها حالاً الى دير الراعي الصالح وسلّمها للام الرئسة ولمرشد اولئك الراهبات . فاعلمت جوليا اهل الدير بحالها وعرّفتهم بذاتها ولم تخش الفضيحة والعار بل قصّت لهم قصتها بكل صدق وخلوص من دون ان تخفي شيئاً البتة . وحمدت المولى لانه اقتادها الى ذلك الحصن الرهباني منةً من لدنه وباعجوبة

الهيئة من مراحمه وصرحت بانها لن تخرج منه ابداً والحت بطلب ثوب التوبة و الارتداد وارادت ان تتشح به الى نهاية حياتها. فحينئذٍ قال لها مرشدها. انه لا يمكن ان تترك بنيها واولادها وانه ينبغي اولاً ان ترتب امورها قبل ان تهجر العالم. فاجابته مؤكدةً له بان الله تعالى قد استدعاها الى دير الراعي الصالح وانها لن تخرج منه اصلاً وانه يمكنها ان ترتب امورها وتفتكر بامر اولادها وعائلتها وتنهي اشغالها من دون ان ترجع الى بيتها . وقد اتمت ذلك واكملته بواسطة احدى محبّاتها من الستات ذوات الهمة والغيرة كما وان نيافة الكردينال كواسلين حينئذٍ اسقف اورليان القى عليها انظاره باذلاً الهمة بما لاحظ امور تلك التائبة الصادقة *

اما اسكندر فكان يستنظر جوليا في بيتها ولم يعلم ما قد كان حلّ بها ولا ما جدّ عليها. فانذهل متعجباً واندهش متحيراً لدى مشاهدته اناساً اجنبيين حضروا من قبلها وبيدهم وكالة مطلقة بموجبها يأجرون الدار ويبيعون الامتعة ويضعون الاولاد في اماكن ومصالح توافقهم. فبان لديه ذلك امر مستغرب بل وانه ضرب من الاحلام

واضطر ان يخرج من الدار من دون ان يهتدي على حقيقة الحال. لكنّه قصد ان يبحث بحثاً مدققاً ليطلع على محل تلك الخائنة التي تركته على تلك الحال. فلندعه الآن فريسة الغيظ والحنق ويرجع كلامنا الى جوليا المدعوة هيلانة بعد قبولها بين عدد اوليك التائبات *

فاول اختلاء مارسته لتنقية ضميرها اوعبها حباً وممنونية نحو الله تعالى الذي تنازل برأفته الالهية والقى عليها لحاظ الشفقة والرحمة. ومن تلك الساعة تغيّرت سيرتها وكأنها اضحت شخصاً اخر فبدأت من ثم ان تسير سيرة من شأنها ان تمحو الماضية وتزيل من عقول الناس تصرفها السابق. ومع ان معيشة ذلك الدير المكرّس للتوبة كانت صعبة قشفة فهيلانة كانت تراها حلوة عذبة بل وباذن مرشدها ورأيه كانت تضيف على ذلك تقشفات واماتات اخرى كثيرة وكرّست ذاتها لادنى الخدم واتعبها واكرهها معدّةً ذاتها اكره خاطية دخلت في ذلك الحصن المقدّس بل وكانت تعتبر بانه من عظم حظها قد تحمّلت سكّانه وجودها فيه. فمهما كانت دنية وطية بحقها الحال التي اضحت فيها فكانت مع ذلك تتمتع بسلام تام. لكنّ ذلك السلام لم يثبت مدةً طويلةً*

فان الشيطان خزاه الله تعالى لم يرمق بعين الرضا تلك الفريسة التي نجت من يديه . فقصد من ثم ان يستعمل كامل صناعته وتمام حيلته الجهنمية ليوقعها ثانيةً باشراكه . فسمح الله تعالى بذلك . لان تلك التجارب والمحن كانت مفيدة حسب مقاصد عدله الالهي ان تكون وفاءً عن مآثم تلك التائبة . فاول حرب حاربها بها عدو خلاصها كانت تجربة قطع الرجاء . فكان يصرخ نحوها ضمن قلبها قائلاً لها بلسان حاله : أهل تؤملين الخلاص بعد ان صرفت اربعين سنة في الانهماك والفساد والقبائح . افهل ان الله تعالى يقتبلك بعد هذا كله . فاين عدله . فأين قداسته . كلّا ثم كلّا . لا مغفرة لك . فباطلاً تعذبين ذاتك بالتقشفات والاماتات . باطلاً تمزّقين جسدك بالضرب والجلد . فانما بذلك تبتدئين في عذاب جهنم منذ الآن . فيا جاهلة حيث ولابد من ان تهلكي لماذا لا تتمتعين اقله طالما انت في هذه الارض بما تستطيعين عليه من مرضاة مرغوباتك وارواء غليل اميالك . اما هيلانة ففي حال قلقها واضطراب ضميرها كانت تبادر الى مرشدها والى الام

الرئيسة . فهذا كان الدواء الحقيقي لتجربتها والواسطة الاكيدة لطرد المجرّب . لكنّه خزاه الله تعالى لم يكن يرتجع عنها برهةً الا لكي يرتدّ اليها ثانيةً باكثر عزم وقوة . فتارةً كان يقدّم لها خطاها وغلطها بحق اولادها . على انها لكانت ترتب لهم مصالح موافقة وآئلة لخيرهم باقترانها بتلك الزيجة التي قد كانت قصدت عليها . وكان يمثّل لها امام اعينها اولئك الاولاد اليتامى المساكين الذين قد تركتهم وافترقت عنهم قساوةً وظلمًا . فكانت تراهم محزونين مأيوسين لايدرون ما يحلّ بهم ولا كيف يأول الامر بهم وما هو مستقبلهم لاعنين تلك الام القاسية الظالمة التي كانت سبب شقائهم . فلم تكن تستطيع احتمال هذا المنظر فكانت تتمزّق احشاها وتهطل الدموع ويضعف من ثم عزمها وترتخي مقاصدها . لكنها كانت تحصل حالًا على قوة جديدة عند كشفها لرؤسائها ما قد كان ثار عليها من التجارب والمحن *

وتارةً كان يتمثّل لديها اسكندر نفسه وكان يُخال لذهنها بانها تسمع صوته موبخًا اياها على عدم التفاتها نحو محب قد احبها حبًا لاحدّ ولا قياس له . وكان يستحفلها بما لطف من الكلام وعذب من المقال

ويستميلها برقة الالفاظ ودقة المعاني لكي تحضر اليه وتكمّل ما اوعدته به مؤكداً لها بان الزيجة الشرعية تغطّي ما عاب وقبح من عشقهما بل وانها كانت تلتزم باعتناق ذلك تعويضاً لشرفها ولقيام اعتبارها . فكان يقول لها اخرجي من هذا السجن المحزن حيث تذبل زهرة حياتك وهلمّي لدى حبيب ذاب شوقاً اليك وتاق في ان تشاركيه باعظم حظ يعدّه لك . فيا ترى هل ان هيلانة كانت تستطيع ألّا تشعر بعذوبة مثل هذه الاحاديث . فكان يُخال لديها بان ذلك عدل وصواب . فتزعزعت مقاصدها وكادت ان تُغلب لكن امانتها بالمبادرة الى ذلك الدواء الخلاصي خلّصتها من التجربة . فحالما استنارت من مرشدها عرفت الفخ المنصوب لها . وحاشا من انها تدع ذاتها ان تقع فيه . فانها قد ازدادت عزماً وثباتاً في حسن مقاصدها المقدّسة . لكن حرباً مثل هذه قوية متواترة كانت تهيّج نفسها تهيجاً قوياً وتقلقها قلقاً عظيماً وتؤثر من ثم تأثيراً كلياً بجسدها وصحتها . فانطرحت من ثمّ مريضة مرضاً قتالاً . وعندها هجم عليها المجرب مستغنماً الفرصة . فكان

يوسوس لها قائلاً : لو كنت في بيتك وفي حضن عائلتك . اما كنت على احسن حال وكنت تذوقين لذة حسن المداراة والخدمة الاهلية . فكنت ترين اولاداً مملوين حباً نحوك وخداماً يتوقون لحسن القيام بخدمتك . واصحاباً ذوي همة وغيرة يبادرون لاجراء ما به راحتك . فيبذلون الجد والجهد بشفائك . فيما انك هنا الان منفردة متوحدة متروكة لا تعزية لك . مضطرة ان تأخذي العلاجات المألوفة الاعتيادية التي لا ثمن لها ولا قيمة . ولندع هذا كله جانباً أما ان جنونك وغباوة تصرفك وامانتك الصادرة عن الجهل وعدم الفطنة قد القتك مريضةً بمرض قد تموتين به وضميرك يوبخك بعدل وصواب قتلك ذاتك . فهجمات ابليس خزاه الله مع ثوران المرض القى هيلانة في حال يُرثى لها . ومع ذلك قد انعم عليها الله تعالى وقوّاها على مقاومة هذه المحن والتجارب . لكنّها لم تلبث زماناً على هذه الحال من الراحة والسكينة . لان عارضاً جديداً هجم عليها فاقلقها وسلب منها كمال الراحة *

فان اسكندر الذي كان يسعى دايماً مجداً في

طلب مَن كانت عتيدة ان تكون عروساً له خال لذهنه بانها لا بد من ان تكون ضمن دير الراعي الصالح ولكي يتحقق ذلك ويتأكده صعد على حائط دير قريب يكشف على بستان الدير الذي كانت فيه هيلانه . فدخل الى ذلك الدير وكمَن في كمين يرى منه تلك الراهبات التائبات في اوان فرصة التنزه من دون ان يراه انسان . فرأى هيلانة تتنزه مع جمهور الراهبات . فقصد من ثم بذل الجد والجهد لاخراجها من ذلك السجن المكروه . وقد كان يروم ان يكلّمها لكن امتنع ذلك عليه . فترى ما الذي عمله وما الذي ابداه واجراه . فانه التجئ الى امراة تقية خائفة الله . لكنها على جانب عظيم من السداجة والبساطة واغراها في ان تذهب الى دير الراعي الصالح لدى الاخت فلانة واعلمها باسم عائلة تلك الراهبة . لانه كان يجهل اسمها في الرهبنة وان تسلمها من ثم كتاباً سطره لها . وافهم تلك الامراة البارة بان ذلك خير يستحق الثواب والجزاء . على ان الغاية هي ترجيع ام لاولاد يفتقرون غاية لوجودها وترجيع عروس الى عريس قد أيس حزناً

وغماً. فقبلت تلك الامرأة كلام اسكندر واوعدته بمساعدة مقصده. فذهبت من ثم الى دير الراعي الصالح وطلبت الاخت المعهودة لكي تتحدث معها عن امر مهم جداً. فمن كون تلك الامرأة كانت مشهورة بالتقوى وخوف الله تعالى فحصلت على الاجازة بمواجهة الاخت هيلانة وسلّمتها كتابة اسكندر وقد كان سطّر فيها كل ما من شأنه ان يحرّك قلبها ويؤثر بها ويهيّج بها عواطفها واميالها السابقة ويحيي فيها الانسان القديم. أمّا هي فانها تحرّكت من ذلك وهاجت بها الآلام. لكنها اخذت ترتاب وتقف عن التسليم لما شعرت به وتحرّكت اليه. لكنّ رسولة اسكندر ومحامية دعواه دافعت عن رأيه وحامت عن دعواه وأيّدت مقاصده حتى ان هيلانة لم تعد تستطيع المقاومة. فارتضت ان تهجر ذلك الدير. ومن ثم عيّنت اليوم والساعة التي فيهما ينبغي على اسكندر ان يحضر قدام باب ذلك الدير لياخذها الى داره. فهذا ما كان من قصد هيلانة وعزمها وما عوّلت عليه رأياً. لكنها قبل اجراء رغبتها قصدت تخبر بها مرشدها. فيا ما اعظم اندهاش ذلك

الاب البار وبا ما اشد حزنه وكدره عندما بلغه هذا الخبر فمع ذلك اخذ يخاطب هيلانة بكل رقة ولطف وشار عليها بان تعلم الام الرئسة بمقصدها وافهمها بانها قد عجّلت باعتناقها ذلك القصد وانه ينبغي اولاً ان تمعن النظر بذلك التصرف قبل ان تجريه بالعمل وانه تكميلاً لذلك يقتضي اولاً ان تختلي بعض ايام . فلم ترتض هيلانة بكلامه بل انها رفضت قبول نصائحه وارشاده فرفضت اوامره ومشوراته وصرّحت علناً بانها تروم الخروج من ذلك الدير بدون ابطاء ولا تأخير . اما ذلك الاب البار الحكيم فابان لها بان ذلك ما هو الا خداع من قبل ابليس اللعين الذي اذ لم يستطع الى ذلك الحين ان ينتصر عليها ويظفر بها فقد اخترع تلك الحيلة لينزعها من حصنها لكي يتمم امر هلاكها . وقال لها اني لا اتعجب يا ايتها الاخت العزيزة من ان اراك قد وقعت في هذه الاشراك لكنه امر منوط بك ومتوقف على همتك في ان تخيّبي آمال عدوك . فهذه الاقوال المساعدة من النعمة المشتغلة في قلب هيلانة اقنعتها

اخيراً . فامتثلت من ثم خاضعةً لاوامر رجل الله وذهبت لدى الام الرئسة فقصّت عليها كل ما جرى لها واستماحت منها الدخول في رياضة الاختلاء . فعانقتها تلك الام الحنونة ساكبةً عليها دموع التعزية والفرح . وبكل سرور وحبور استجابت سؤالها وحيث انها علمت من تلك الحادثة الخطر المتأتي عن وطوء حيطان الدير فامرت حالاً باحضار فعلة يحصّنونه ويعلّون بناء جدرانه *

وها ان الان تلك التائبة تغوص في بحر التاملات . فندمت ندامة مرة ساكبةً دموع التوبة والتوجع . واستولى عليها توبيخ الضمير فتعذبت من جرايه حتى انه اقتضى ان تقصر ايام اختلائها لكي تحضر الى وسط الراهبات حتى ان معاشرتهنَّ والاجتماع بهنَّ يبددان من عقلها ذلك الحزن العميق . لكن خطاياها كانت امامها في كل حين ولم يُوجد ما يوقف انحدار دموعها . فانها كانت تجري منسجمةً حتى انه خُشي على فقد نظرها . ولعمري قد كان هذا الاختشا في محله . على انه قد جرى بالعمل ما قد كان يُخشى منه . فاضحت الاخت ميلانة فاقدة البصر عمياء . وكان هذا

امتحان جديد اراد الله ان يمتحن فضيلتها به .
فصبرت على ذلك نظير طوبيا البار . فجوزيت نظيره
على صبرها واحتمالها . فانها باعجوبة الهية شفيت
من عمائها بعد سنتين . وكان الامر على ما يأتي
بيانه *

ان اكبر تعزية هيلانة في ما كانت تقاسيه من المحن نفساً وجسماً كان تقدّمها بتواتر الى مائدة سر الافخارستيا المقدس . فكانت تقول هي نفسها انها في وسط تجاربها الصعبة كانت تجد قوةً يختص بالله وحده اعطاؤها . فمن ثمّ فيما كانت مستعدةً للتناول في عيد تطهير العذراء فالقى الله في قلبها في ان تستمد بشفاعة العذراء القديسة والقديس فرنسيس شفاء بصرها . فمع ذلك لم تكن تتجراء على ذلك الطلب لكونها لم ترغب سوى تكميل مشيئة الله تعالى القدوسة . لكنها عند تقدّمها الى المائدة المقدسة لاح لها بانها تشاهد العذراء القديسة ومار فرنسيس المعظم يشجعانها على بسط الطلب لدى يسوع الحبيب . فامتثلت لهذا الالهام وفي دقيقة دنو الكاهن منها وهو ماسك بيده البرشانة المقدسة

انفتحت اعينها ورأتها متلالئة بالضياء لامعةً كالشمس .
ومن ثم لم تظهر شيأً مما قبلته من النعم فتركت
ذاتها ان تُقاد الى مكانها على جاري عادتها . لكنه
عند نهاية القداس خرجت الراهبات من الخوروس
فنهضت هيلانة وذهبت وحدها الى الام الرئسة التي كانت
باقية في الصلوة واخبرتها بالنعمة التي قد انعم الله
بها عليها . فاندهشت الام الرئسة متعجبة من ذلك .
فحالاً طلبت منها اشارةً تؤكد ذلك . فاخذت هيلانة
كتاب الاقتدا وشرعت تقرأ . فاستدعى الكاهن الذي
قدّم الذبيحة لكي يكون شاهداً على تلك المعجزة . اما
هو فصرخ قائلاً انه لم يتعجب من ذلك الخبر . لانه عند ما
ناول الاخت هيلانة رأى اشعة نور تلمع على وجهها فتاكد
بانه حينئذٍ جرت نحوها اعجوبة . فاجتمعت الراهبات
ورتلن افعال التسبيح حمداً وشكراً عن تلك النعمة .
امّا هيلانة فغاصت في بحر الحب والممنونية عمّا حباها
الله من النعم . فضاعفت امانتها بنصح الخدمة وتكميل
واجباتها بكل دقة واحكام وضاعفت ايضاً حرارة التوبة
والامانة واظهرت علائم الاتضاع والخضوع والامانة
والمحبة والتخشع والتورع اكثر من ذي قبل . فاضحت

قدوة الراهبات ونموذجهنّ محبوبةً من جميعهن من المتوظفات والغير المتوظفات وكانت تقدّم لهنّ الخدم التي تستطيع عليها كانَّ ذلك من الفروض المتوجبة عليها وكانت تظهر فرحًا وسرورًا بمباشرتها ما انحط من الوظائف ❊

فلما دخلت دير الراعي الصالح كان لها ابنة فتيّة قد وُضعت في الدير . وكانت تشتهي ان ترى تلك الابنة العزيزة قبل موتها . فطلبت الاجازة من سيادة اسقف اورليان فارتضى بذلك بل وقد اراد في ان تلك المواجهة تكون في دار اسقفيته . فمن ثم حضرت الام وابنتها معاً . امّا هيلانة فذاقت مرّ ما قد ذاقته من التعزية في اول دقيقة من تلك المواجهة . على ان تلك الابنة التي كانت في سن اثنتي عشرة سنة اندهشت من معانقتها امها فوقعت مغشيًا عليها . فبُودر حالاً الى مساعدتها لكنّ التاثير كان شديدًا ففعل في جسمها فعلاً قوياً فماتت من جرى ذلك بعد ايام قلائل . لعمري فكانت هذه مصيبة عظيمة وبلية جسيمة على تلك الام المسكينة الموعبة حبًا وحنوًا نحو ابنتها . فمع انها قد كانت اعتادت على كبح الطباعها وقهر اخلاقها فلم

تستطع ان تطفئ بها احساسات الطبيعة. فحينئذٍ استغنم ابليس خزاه الله تعالى الفرصة في ان يقلق ما كانت تتمتع بهِ من السلام منذ مدة طويلة . فهجمت عليها التجارب وثارت المحن المتصلة حتى انه لم يعد لتلك النفس البارة زمانٌ ترتاح فيه . فكأنَّ الله تعالى قد اعطى لذلك الروح الجهنمي كل سلطة على هيلانة كما انه قد كان اعطاه هذه السلطة مرةً على عبده أيوب البار. فمع ذلك لم يتزعزع عزمها ولم تضعف مقاصدها . حتى وإنّ وفاة السيد كواسلين محاميها الذي تأسفت عليه تأسفاً شديداً وبكت عليه بكاءً مرًّا لم يضعف فيها ما كانت عوّلت عليه من الاقامة في دير الراعي الصالح الى اخر نسمة من حياتها . فقد جوزيت هذا الامانة وهذا الثبات بهدو عظيم وسكينة طويلة . لكن هذه الراحة عقبتها زوبعة اقوى واشد من كل ما كانت احتملته وقاسته حتى انها لم تفرق بينها وبين الغرق الا قليلاً ❊

ان الشيطان اللعين اغتاظ وحنق لعدم نجاحه بافتتاح قلبهِ قد كان استولى عليه زماناً طويلاً. فجدد قواه ومكّن عزمه وسعى في ان يستولي على ملكه القديم.

وبالحقيقة قد لاح للعيان بانه قد تملّك على هيلانة واستولى عليها استيلاءً تاماً لما ظهر من هذه الاخت العزيزة من عدم الاكتراث والالتفات الى ذاتها . فتهاونت برياضتها الروحية وتراخت باشغالها واعمالها . فحاق بها الملل والضجر من حالها واصحابها اينما اتجهت وكيفما تصرّفت . وما قد كان عذباً لديها شهياً مرغوباً اضحى ممقوتاً مكروهاً لا تطيق احتماله . اخيراً اقتنعت اقتناعاً تاماً بان لا استطاعة لها على عمل خلاصها اذا ما بقيت في ذلك الدير . ومن ثم قصدت قصداً مطلقاً في ان تخرج منه . فنصائح الام الرئيسة وارشاد المرشد ومشوراته اضحت فارغة باطلة . على ان هيلانة أبت ان تصغى لشيء من ذلك اصلاً فعصت وقاومت فهاجت وحنقت وحاربت محاربةً شديدةً كل من قاوم مرغوبها . فهاجت وصاجت كأنها مجنونة فاقدة العقل . فبالحقيقة كنت ترى اعينها نافرات من محاجرهنّ ومنظرها مضطرباً متقداً ناراً وصوتها متهدداً تتوق ان تطوف فوق حيطان ذلك الحصن المنيع وان تكسر الابواب وتخرق كل حجاب ولم يبقَ سبيل لتركين حالها

سوى بالوعد لها بانها تخرج من ذلك الدير بما انها كانت تريد ذلك وتبتغيه ارادةً مطلقةً لا رجوع عنها . فأعلم سيادة المطران فلوريان وقتئذٍ اسقف اورليان بذاك المشهد الذي جرى ضمن دير الراعي الصالح . فذاك الاسقف الغيور ترك كل شيءٍ وبادر حالاً الى اغاثة تلك الغنمة التي اضحت فريسةً للذئاب الخاطفة . فاستدعاها الى كرسي الاعتراف واستعلم منها عن مقصدها . فاجابته بصريح القول بانها تروم مطلقاً الخروج من ذلك الدير وترجته في ان تُردّ اليها ملابسها الاولية . فاجابها برقة ولطف بانه يرضي خاطرها على ما تشتهي وتريد قائلاً لها : ان دير الراعي الصالح ليس هو بسجن تُغصب السكان على الاقامة ضمنه . وانه لا يلزم احد على الابقاء فيه رغماً عن رضاه وخاطره . لكنه قبل ان أن تخرجي من هذا الدير التمس منك امراً . فاجابته مُر مولاي فاني خاضعة لامرك . فقال لها الاسقف اني ارغب منك ان تنطرحي امام القربان المقدس وتتلي هلم ايها الروح الخالق مستمدةً انوار الروح القدس واني اتحد صلاتي بصلاتك وفي الوقت ذاته صمد القربان

وسجد امامه معها. وفيما انها كانت تكمّل امر راعيها شعرت بتغيير عجيب فانذهلت ممّا جد فيها من الانقلاب ونسبته الى صلوات راعيها فصرخت من ثم نحوه قائلةً : لقد انتصرت غالباً ياسيدي . فلا عدت اطلب منك الخروج من ههنا بل اني ارجوك ان تحتملني ههنا الى اخر نسمة من حياتي . فنهض الاسقف ذارفاً الدموع السخينة حتى انه غسل بها المكان حيث قد كان وضع رأسه. فاجابها قائلًا يا ابنتي : ان الله قد حاز الغلبة والانتصار . فانه انسر تعالى من خضوعك وامتثالك . فاحيي بسلام في مقرّ التوبة هذا الذي اقتادك تعالى اليه بعظيم رحمته. قال هذا ومنحها البركة فقبلتها بكل حب واحترام. فهذه كانت نهاية محاربة هيلانة. واكّدت هي نفسها بانها من ذاك الحين لم تعد تجرب اصلاً بتجربة الخروج من ذلك الحصن الرهباني وصرفت ما تبقى من حياتها في ممارسة الفضائل. ورغماً عن تقشفاتها المتصلة وامراضها المتواترة بلغت من العمر ثلاث وثمانين سنة صرفت منها ثلاث واربعين سنة في دير الراعي الصالح وكان مرض موتها قصيرًا وفق طلبها من الرب لانها

لم تلازم الفراش سوى يومين . فصحاوة منظرها عند اخر دقيقة من حياتها انبأت عن سلام نفسها . فان ابليس خزاه الله تعالى الذى قد كان عذّبها كثيراً لم يتجاسر حينئذٍ ان يهيّج ضدها نيران الحرب . فمن ثم سلّمت روحها بكل سلام مملوءةً اياماً وفضلاً ومكرّمةً كقديسة من جمهور الراهبات كافةً *

نجّنا اللهم من التجارب وردنا اليك بنعمتك يا ارحم الراحمين امين *

قال المعلم يوسف ابن الخوري جرجس فيّاض الحصروني احد تلامذة مدرسة ماري يوحنا مارون مقرظاً هذا الكتاب *

كتابٌ راق معناهُ بأمثالٍ حكت دُرّا
بهِ قرّتْ مؤرّخةً عيونُ الحكمةِ الغرّا

سنة ١٨٦٧

---

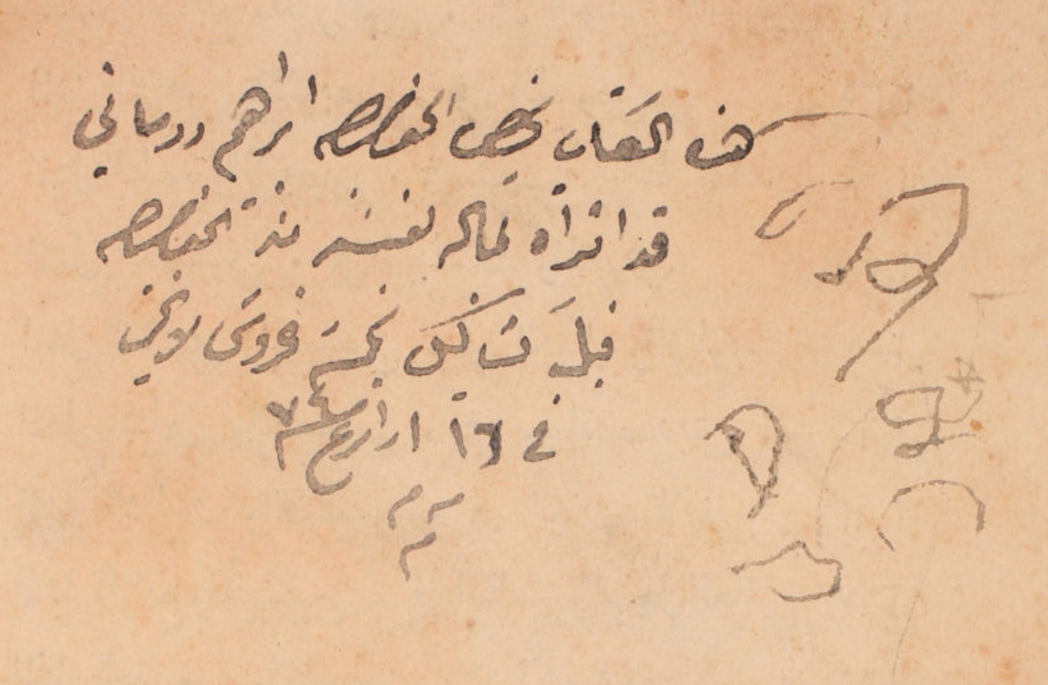
* فهرسة *

الجزء الاول من كتاب القصص والامثال

وجه

فهرسة

الجزء الثاني من كتاب القصص والامثال






Pat_00221


USEK

Au

Le 11 Novembre 1869

[illegible]


USEK

Jelly

صاحبی قلبوغلی

فی [illegible]

~~[illegible]~~

وادنا [illegible]

[illegible]

[illegible] فی بلاد [illegible]

[illegible] المقدسة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]




USEK

اشغال روحية